



جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب



Faculty of Arts

ردمك ISSN: 1858 - 89 48

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية بالشراكة مع
دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السودان

العدد الخامس



مجلة آداب جامعة أم درمان الأهلية علمية دولية محكمة - العدد الخامس سبتمبر 2022م - صفر 1444هـ

ردمك ISSN: 1858 - 89 48



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة آداب Adab Journal

الناشر: دار آرثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي

الخرطوم - السودان.

ردمك: 1858-8948

للتواصل: جوال : 00249 918109938 - 00249911232253

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

الهيئة العلمية والإستشارية

- السودان _ بروفيسور يوسف فضل حسن
السودان _ بروفيسور معتصم أحمد الحاج
السودان _ بروفيسور عمر حاج الزاكي
السودان _ بروفيسور صلاح الدين الفاضل أرسد
السودان _ بروفيسور علي صالح كرار
السودان _ بروفيسور كرار أحمد بشير العبادي
السودان _ بروفيسور جبارة عبدالله محمد الحسن
الجزائر _ بروفيسور أحمد بن بو جمعة
الجزائر _ بروفيسور محمد يزيد سام
العراق _ بروفيسور محمد يسن الشكري
السعودية _ بروفيسور محمد زروق الحسن
السودان _ بروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد
السودان _ دكتور الصديق عمر الصديق

هيئة التحرير

- المشرف العام
د. آدم أحمد آدم عجيل
رئيس هيئة التحرير
د. هالة أبا يزيد بسطان محمد
سكرتير التحرير
د. مصعب أبو بكر أحمد إسماعيل
أعضاء هيئة التحرير
د. الشفاء محمد نور عوض الله
التصميم والإخراج الفني
أ. عادل محمد عبد القادر

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

شروط وضوابط النشر بمجلة آداب

- ترحب مجلة (آداب) بمساهمات الكتاب والمفكرين العلمية المبتكرة وعرض الكتب مع تغطية المؤتمرات العلمية وتلخيص ما جاء فيها من توصيات وذلك بإحدى اللغات العالمية الحية - اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وذلك وفق القواعد الآتية:
1. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو أُجيز للنشر في مجلة أخرى.
 2. أن يكون عنوان البحث مختصراً ومعبراً عن موضوعه. ومكتوب باللغتين العربية والإنجليزية.
 3. ألا تقل عدد صفحات البحث عن العشرين صفحة ولا تزيد عن الثلاثين وجوباً.
 4. يتصدر البحث مستخلصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وفي حالة الأبحاث باللغة الفرنسية، يكون المستخلص بذات اللغة والآخر باللغة العربية، يشمل المستخلص أهمية الموضوع ومحاوره أو مباحثه ومنهجه وأهم النتائج والتوصيات إن وجدت (لا تزيد عدد كلمات المستخلص عن مائتين وخمسين كلمة ولا تقل عن المائتين كلمة بعد تضمين الكلمات المفتاحية أسفل المستخلص فيما لا يزيد عن خمس كلمات وجوباً).
 5. أن يتصدر البحث مقدمة منهجية موجزة تتضمن التعريف به، أهدافه، أهميته والمنهج المتبع في الكتابة وتقسيمه إلى محاور أو عناصر أو مقاصد.
 6. تكتب البحوث العربية بخط نوع Simplified Arabic مقاس 14 بمسافة 1.5 بين الأسطر، أما البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية فتكتب بخط نوع Times New Roman مقاس 12 ومسافة 1.5 بين الأسطر، على أن يكون عنوان البحث بخط مقاس 16 عريض والعناوين الجانبية بخط مقاس 14 عريض.
 7. تترك هوامش 3 سم يمين الصفحة في البحوث العربية ويسار الصفحة في البحوث الإنجليزية والفرنسية، ومسافة 2.5 سم لبقية الهوامش، على أن يكون حجم الورقة عادي (A4).

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

8. التزام الموضوعية وأن تكون وجهات النظر والحجج واضحة ومعززة بالتوثيق العلمي كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية المنهجية العلمية.
9. يتم توثيق المعلومات حسب منهج فانكوفر؛ بالترقيم التسلسلي في المتن. وتكتب أسماء المصادر والمراجع في نهاية البحث تحت عنوان: (الهوامش) بتسلسل الترقيم الوارد في المتن .
10. أن يكون البحث خالياً من أخطاء الصياغة والأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية وجوباً.
11. تورد الملاحق في نهاية البحث، مع وجوب إرفاق الاستبانة المنهجية المعروفة للدراسات التي تتبع هذا الأسلوب.
12. يُرسل البحث لسكرتير تحرير المجلة من نسخة إلكترونية مثبت عليها في صفحة منفصلة اسم صاحب الورقة باللغتين العربية والإنجليزية، درجته العلمية، جهة العمل، بريده الإلكتروني، على البريد الإلكتروني للمجلة adab.journal2021@gmail.com
13. تخضع البحوث المستلمة لمراجعة أولية من هيئة التحرير للتأكد من أهليتها العلمية وللهيئة الحق في قبول أو رفض البحث المقدم في هذه المرحلة أو بعد التحكيم العلمي دون إبداء الأسباب.
14. يُعرض البحث بعد إجازته الأولية لمحكم أو أكثر، وفي سرية تامة للوقوف على صلاحيته علمياً ومنهجياً.
15. في حالة قبول البحث يُعاد لصاحبه لتنفيذ تعديلات المحكمين ومن ثم إرساله مرة أخرى عبر البريد الإلكتروني للمجلة في فترة لا تتجاوز الأسبوع. (ويعتمد النشر بعد سداد الرسوم المقررة)
16. تشجع المجلة البحوث المشتركة من باحث أو أكثر على أن يكون ذلك مبرراً بطريقة البحث وتعدد التخصصات.
17. لا ترد البحوث التي لا تقبل للنشر.
18. تؤول حقوق النشر للمجلة بعد الموافقة على النشر النهائي.
19. المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

المحتويات

- النار في ديوان أفريقيا لنا، شعر محي الدين فارس دراسة دلالية تحليلية.....(9-28)
د. سعد عبدالقادر العاقب سعد
- الصورة الشعرية في نقائض جرير : (دراسة أدبية بلاغية).....(29-46)
أ. محمد الأمين تقي الدين إبراهيم أحمد
- استراتيجيتنا التحسين والتفكيح في الخطاب النقدي تطبيقاً على الخطابين القرآني والشعري مقارنة وصفية تحليلية.....(47-72)
د. عزالدين علي مختار علي
- الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية وانعكاساتها على التصور اللغوي.....(73-88)
د. علي عبد الرحمن إبراهيم طه
- الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في التحريض على العنف دراسة تطبيقية على عينة من شباب ولاية الخرطوم.....(89-106)
أ. عبدالسلام إبراهيم عبدالقيوم نائل
- دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة (دراسة وصفية تحليلية بالتطبيق على عينة من الجامعات السودانية).....(107-130)
أ. محمد عثمان عمر الفكي - د.عكاشة أبو العلا حامد- د. شذى محمود الزين
- «اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق».....(131-146)
أ. قشيش رشيدة

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

كلمة الناشر



وبه نبدأ ونستعين

القارئ الكريم:

بعد التحية والتقدير يسعدنا في دار آرثيريا للنشر والتوزيع- السودان أن ننفذ إلى حضراتكم خامس ثمار تجربة الدار في النشر العلمي الرصين والجاد وذلك بالشراكة مع كلية الآداب- جامعة أم درمان الأهلية السودان.

القارئ الكريم:

إن هذه الشراكة العلمية من الخطوات الجريئة والرائدة في مجال النشر العلمي ونحسبها ناجحة بكل المقاييس بإذن الله تعالى، ونأمل أنها فاتحة خير لعدد من المشروعات النشورية القادمة للدار.

وختاماً نتقدم دار آرثيريا للنشر والتوزيع بخالص الشكر والتقدير لأسرة كلية الآداب بجامعة أم درمان الأهلية السودان ولأسرة التحرير واللجنة العلمية والاستشارية للمجلة ويمد شكرنا لكل العلماء والباحثين والأكاديميين المشاركين بأوراقهم العلمية في العدد الرابع للمجلة، متمنين أن يتواصل هذا التعاون العلمي مستقبلاً.

الناشر

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه

أجمعين

وبعد..

تواصل مجلة " آداب " العلمية المحكمة، الصادرة عن كلية الآداب جامعة أم درمان الأهلية الصدور، بإخراج العدد الخامس منها؛ خدمة للبحث العلمي الرصين، في تخصصات الآداب المختلفة، في إطار سعيها إلى تزكية الفكر المعرفي وترسيخ أهداف وغايات البحث المنهجي الجاد؛ لتضع بصمة فارقة في مجال النشر العلمي المحكم بحول الله.

كما تسعى المجلة لتلاقح الفكر العلمي المنهجي وتبادلته بين أوساط المختصين الباحثين من جامعات شتى داخل القطر وخارجه، ونسعد بل نشرف بكوننا أحد مواعين هذا الفكر العلمي المتقدم دوماً بفضل الله وحوله. ولقد استقبلت المجلة في عددها الخامس، دراسات من جامعات إقليمية: (الجزائر)، وجامعات سودانية: (النيلين، بحري، الجزيرة، السودان للعلوم والتكنولوجيا، أم درمان الأهلية). ونأمل أن يتسع النطاق في الأعداد القادمة، وأن يضيفي هذا المنحى قيمة علمية تعضد رسالتها وتفتح أمامها أفق الانتشار والتشاركية العلمية المثمرة مع الجامعات السودانية والإقليمية - إن شاء الله.

وتجدر الإشارة إلى أننا نستقبل ما يقدمه الباحثين والقراء من ملاحظات، على البريد الإلكتروني، سعياً لتزكية المجلة وتحقيقاً لرسالتها العلمية المنشودة.

والله ولي التوفيق

رئيس تحرير المجلة

النار في ديوان أفريقيا لنا، شعر محي الدين فارس (دراسة دلالية تحليلية)

جامعة بحري، كلية اللغات

د. سعد عبدالقادر العاقب سعد

مستخلص :

درست في هذا البحث موضوع النار في ديوان أفريقيا لنا، من شعر محي الدين فارس، وقد قسمت الدراسة إلى محورين، في كل محور عنوانات فرعية :المحور الأول : أهمية النار وتاريخها في حياة الإنسان وعنواناته : النار والحياة، النار والدين، النار والأسطورة، الطبيعة البشرية والنار، المحور الثاني : دلالات النار في ديوان أفريقيا لنا وعنواناته : النار والشعر، دلالة الحياة والأمل، دلالة الدمار والخراب (الحرب)، دلالة الشهوة والغريزة، استخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث نظرت في الأشعار التي ذكر فيها الشاعر النار في ديوان أفريقيا لنا، ثم تتبع آراء النقاد في دلالة النار في الشعر، ومن المهم الإشارة إلى الحديث عن النار وأهميتها في حياة البشر، وغموض منشئها وظهورها، وما نقل عنها من أساطير صنعها البشر عنها وعن بداية ظهورها في الأرض، كذلك تحدثت عن صلة النار بالدين والمقدسات والأسطورة، لأن الأساطير هي المدخل إلى دلالة النار أدبيًا، تنوعت مصادر الدراسة بين القديم والحديث، وبين المصادر الأدبية النقدية والمصادر التاريخية، وبعض مصادر علم النفس التي ذكرت تأثير النار في النفس البشرية، ليكون ذلك تقويةً للآراء النقدية التي تجعل الانفعال النفسي عند الشاعر مبعثًا لدلالة المظاهر الطبيعية التي يذكرها في شعره. ومن نتائج البحث أن النار ارتبطت ارتباطًا قويًا بحياة البشر، وأثرت فيهم أثرًا عميقًا وأنها أثرت أعمق في الشعراء حتى ظهر أثرها في الأدب فتعددت دلالاتها عند الشعراء، بسبب تناقض صفات النار، وتقلبها بين الخير والشر وغير ذلك من المتناقضات، وأن هذه دلالات كلمة النار وجدت كثيرًا في ديوان أفريقيا لنا باعتباره واحدًا من دواوين الشعر الحديث في السودان. الهدف من هذه الدراسة تبيين بعض ملامح المدارس الأدبية الحديثة في الشعر السوداني، ومن هذا الباب تكون أهمية الدراسة مقترنة بالهدف، ذلك لقللة الدراسات في الأدب السوداني الحديث.

كلمات مفتاحية : النار : دراسة ، محي الدين فارس : شاعر، أفريقيا لنا : ديوان شعر

fire in Mohiyaddin Faris' poetry collection "Africa for Us"

Saad Abdelgadir Elaagib Saad

University of Bahri- Faculty of Language

Abstract:

The present study investigates the issue of fire in Mohiyaddin Faris' poetry collection "Africa for Us". The study has been divided into two axes each of which contains subtitles: the first axis: the Importance of Fire and its History in Human Life and its subtitles are: Fire and life, Fire and Religion, Fire and Legend, Human Nature and Fire. The second axis: Indications of fire in Mohiyaddin Faris' poetry collection "Africa for Us" and its titles are: Fire and Poetry, the Indication of Life and Hope, the Indication of Destruction and Damage (war), the Indication of Lust and Instinct. The descriptive analytic method have been used in the present study as the poetry contained in the above-mentioned poetry collection in which fire has been mentioned is scrutinized, and the viewpoints of critics as regards the indication of fire in the poetry under study have been tracked. It is important to point to the discourse about the importance of fire in human life, and vagueness of its origin and emergence, and the legends that have been made and transmitted about it, and about its emergence on earth. Also the research discusses the relationship between fire and religion, sanctities and legends because legends represent an access to the literary indication of fire. The study resources vary between old and new scientific sources, and between critical literary and historical sources as well as that some psychological sources that discuss the effect of fire on human soul have been consulted, hopefully to consolidate the critical viewpoints that hold that the emotions of a poet give rise to the indication of the natural phenomenon that he/she mentions in his/her poetry. Among the findings of the study is that fire is strongly related to human life and that it has deeply affected people and more deeply affected poets, so that its effect has appeared in literature and its indications have become so many among poets as a result of the inconsistency of fire traits, and its vacillation between good and evil as well as other inconsistencies, and that the indications of fire have been found in Mohiyaddin Faris' poetry collection "Africa for Us" as one of the modern poetry collection in Sudan .

Keywords : Fire : study Mohiyaddin Faris : poet "Africa for Us":. poetry collection

مقدمة :

لا تجد مظهرًا من مظاهر الطبيعة إلا وجدت الشعراء قد وصفوه، إما وصفًا مجردًا أو وصفًا رمزيًا يخفون وراءه معاني أخرى غير المعاني التي عرفتها العامة في ذلك المظهر، والنار من أهم مظاهر الطبيعة التي كثر ذكرها عند الشعراء قديمًا وحديثًا بدلالات شعرية مختلفة، تتشكل بما يكون في نفس الشاعر من نظرة نفسية للنار، في هذه الدراسة تتبّع لمواضع ذكر النار في ديوان أفريقيًا لنا للشاعر السوداني محي الدين فارس، وهي دراسة دلالية تحليلية للنصوص التي كانت للنار فيها دلالات بثها الشاعر في طيات كلمة النار وما يرافقها ويوافقها من ألفاظ، ومحي الدين فارس من شعراء العصر الحديث في السودان، ولد في يناير، عام 1936م، وتوفي في مايو 2008م، وتجربته الشعرية معاصرة لتجارب الشعر الحديث في العالم العربي وظهور المذاهب الشعرية الحديثة، التي عبرت عن قضايا العالم والإنسانية تعبيرًا يختلف عن الشعر القديم، وذلك لاختلاف العصور والثقافة الأدبية والقضايا التي ظهرت مع تلك المذاهب في عصر واحد.

في محاور هذه الدراسة تأصيل لأثر النار في النفس البشرية المفردة وفي المجتمع البشري قديمًا وحديثًا، وعلاقة النار بالغموض الذي حير الإنسان حتى قدس النار ونسج فيها الأساطير التي انتشرت في قارات العالم كله عن نشأة النار، ومن ثم تتدرج الدراسة حتى تصل إلى مضمون عنوانها وهو المتعلق بالنار ودلالاتها في الشعر، مخصصة لديوان أفريقيًا لنا. وذلك بهدف إظهار شيء من ملامح الشعر الحديث في السودان، وهو الجانب الذي يعطي الدراسة أهميتها، لأن البحث في الشعر الحديث في السودان قليل إذا قورن بغيره من البلاد العربية.

المحور الأول : أهمية النار وتاريخها في حياة الإنسان : النار والحياة، النار والدين، النار والأسطورة، الطبيعة البشرية والنار : النار والحياة :

عظّم البشر النار باعتبارها مظهرًا من مظاهر الطبيعة التي تقوم عليها حياة البشر في كثير من جوانبها، وفي نظرتهم للنار كان البشر قديمًا يتخذون النار لغزًا مثل الروح التي تسري في أجسادهم ولا يعرفون مكانها منهم، ولا مصدرها الذي يبيثها في أجسادهم، لذلك كثرت أوجه تفسير وجود النار، (وإذا وضعنا على حدة ما يمكن بالقيمة النفسية للأساطير، فإن عددًا من المؤرخين الذين بحثوا في أصل النار، أعطوا تفسيرات ممكنة عن الوسائل المختلفة التي تعلم بواسطتها الأناث البدائيون استعمال هذا العنصر الهام)،⁽¹⁾ ولكن يظل أصل النار مجهولًا عند الإنسان البدائي الذي انبهر بها وسحرته، ثم جاء إنسان ما بعد البدائية البشرية، فظل يبحث عن الطريقة التي اهتدى بها الإنسان إلى النار ذات الفوائد العظيمة في حياة البشر، (وبالرغم من الفوائد الكبرى التي جناها الإنسان من اهتدائه للنار إلا أننا لا نعرف يقينًا كيف كان اهتداؤه إليها، وقد يكون أول عهد للإنسان بالنار حين أوقدت في الغابة لسبب أو لآخر مثل اشتعال شجرة صعقها البرق، أو بسبب احتكاك أعضان جافة بفعل الرياح أو العواصف أو بسبب اشتعال الأوراق الجافة للأشجار، وربما ساعد على إيقاد النار اندماج لبعض المواد الكيميائية، وربما شاهد الإنسان لأول مرة النيران حين انبعثت من بركان متفجر فتعرف حينئذ عليها)⁽²⁾ وهناك بعض الآثار التاريخية التي عثر عليها إنسان العصر الحديث في بعض مناطق العالم، لكن هذه الاكتشافات لم تقطع أي نتيجة تؤكد أن طريقة بعينه

كانت هي التي اهتدى بها الإنسان إلى النار (وقد عثر الباحثون في كهوف بالحشة على بقايا الإنسان «الآستر الوبتيكوس بروميثيوس»، وهم أقدم من إنسان الصين بكثير وأقل منه في المرتبة الإنسانية، وبجواره آثار تفيد عن استخدامه للنار، غير أنه لا يجدر بنا أن نقرر حقائق في هذا المجال لأننا لا نزال نعرف القليل عن تاريخ النار) (3)

يضاف إلى ذلك أن الخطاب السماوي للإنسان، جعل النار من الآيات التي يعجز البشر عن تفسيرها، وتبعث في نفس الإنسان الإيمان بخالق النار، ولننظر هنا في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) (*) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (*) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (*) (4) فهي تجعل من النار ما يشبه المعجزة أو الهبة الإلهية التي وجدها الإنسان على الأرض، كذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، كانت النار ذات مصدر مجهول رآها سيدنا موسى بعد أن تاه بنو إسرائيل وأضلوا الطريق: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (*) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ..) (5) (ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلاً وأن موسى كان أضل الطريق؛ فلما رأى ضوء النار (قَالَ لِأَهْلِهِ) مَا قَالَ..... لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زند له، وعصاه في يده يهشُّ بها على غنمه نهاراً، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غداً بأهله وبنغمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقندح ناراً لأهله ليبثوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له ناراً، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرأها)، (6) في هذه القصة تتضح صلة النار باستقرار حياة البشر على الأرض، وأن كل أرض خالية من النار، تخلو من الحياة البشرية، فاستبشار سيدنا موسى عليه السلام بروية النار، يدل على أنه لمس فيها وجود حياة وبشر مستقرين في سكنهم، سيعينونهم ويدلونهم على الطريق ثم ظهرت الأهمية القصوى للنار في العصر الحديث، بظهور حاجة الإنسان للصناعة، فليس من مدنية حديثة إلا كانت النار أساساً في نشأتها، ومن غير البحث في أصل النار ونشأتها، فإن الإنسان استخدم النار في إنشاء مدينته الحديثة القائمة على الصناعة، (ولئن بدأت إنسانية الإنسان بالكلام، وبدأت المدنية بالزراعة، فقد بدأت الصناعة بالنار التي لم يخترها الإنسان اختراعاً، بل الأرجح أن قد صنعت له الطبيعة هذه الأعجوبة باحتكاك أوراق الشجر أو غصونه، أو بلمعة من البرق أو باندماج شأته المصادفة لبعض المواد الكيميائية، ولم يكن لدى الإنسان في ذلك إلا ذكاء الذي يقلد به الطبيعة ويزيدها كمالاً؛ ولما أدرك الإنسان أعجوبة النار استخدمها على ألف صورة، أولها فيما نظن أن أخذ منها شعلة يقهر بها عدوه المخيف، ألا وهو الظلام، ثم استعملها بعد ذلك للتدفئة، وبذلك استطاع أن يتحرك مبعداً عن مناطقه الاستوائية إلى مناطق أقل منها إرهاباً للقوى، وبهذا الانتقال أخذ شيئاً فشيئاً يعمر الكوكب الأرضي فيجعله مسكناً للإنسان، ثم بعد ذلك أخذ يستعمل النار في المعادن فيلينها ويطرقها ويمزجها في هيئة أشد صلابة وأكثر مرونة مما وجدها عليه أول ما وجدها) (7)

النار والدين:

الحياة البدائية للبشر أطالت صلتهم بالنار وعمقتها مع غموض النار الذي أعجزهم عن معرفة أصلها، لذلك قدسوها تقديساً بلغ درجة التأليه والعبادة، (لقد بلغت النار في أعين البدائيين من الغرابة ومن

النفع حدًّا جعلها لديه إحدى المعجزات التي تستحق أن تتخذ إلهًا وتُعبَد، ولذلك أقام لها ما لا يحصى عدده من الحفلات التعبدية، وجعل منها مركزاً لحياته وبيته؛ وكان كلما انتقل من مكان إلى مكان، حملها معه معينا بها، لا يرضى لها قط أن تخمد؛ بل أن الرومان أنفسهم أعدمو العذراء الطاهرة عقاباً لها على إهمالها الذي كان من شأنه أن تنطفئ النار المقدسة).⁽⁸⁾

تاريخ النار وصلتها بالبشر وتعظيمهم إياها، يدل على أنهم عجزوا عن تفسير وجودها، فاستسلموا لغموضها وعظمتها في نفوسهم، حتى اتخذها بعض البشر إلهًا، وفي الأرض اليوم كثير من الديانات التي تتخذ النار إلهًا، غير أن ظاهرة تأليه النار وعبادتها، ترجع عند بعض المؤرخين إلى قصة في الجنة، ويقرون بأن إبليس أول من فضل النار على غيرها، (وأن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين)،⁽⁹⁾ (وهذا الرأي يعتمد على الآية عن إبليس: (...قَالَ مَا مَتَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)⁽¹⁰⁾ وهو الرأي الذي جر على الشاعر بشار بن برد تهمّة الزندقة، فهو الذي (صوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار،⁽¹¹⁾

نقلت كتب التاريخ عن الوثنيات القديمة أخبارًا تدل على أن تلك الوثنيات مزجت عبادة أوثانها بشيء من تعظيم النار وعبادتها، فقد (كان قوم تَبَّعَ أهل أوثان يعبدونها، فيما حدثنا به ابن حُميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق. وكان من خبره وخبر قومه، ما حدثنا به مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا عمران بن حُدَير، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام، عن تَبَّعَ ما كان؟ فقال: إن تبعنا كان رجلا من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختار فتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم، حتى أخذ منهم وبايعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم، وبايع الفتية؛ فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحْرِقُ الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوها، سفعت النار في وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تَبَّعَ: لتدخلنها؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها؛ فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تَبَّعَ: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم تَبَّعَ، وكان تَبَّعَ رجلا صالحا).⁽¹²⁾

أكثر ديانة عرفها التاريخ بعبادة النار، هي المجوسية التي كانت منتشرة في قارة آسيا، وكانت معابد المجوس تسمى «بيوت النار»، ويذكر التاريخ أن (أول بيت بناه أفريديون: بيت نار بطوس، وآخر بمدينة بخارى، هو بردسون، واتخذ بهمنا بيتا بسجستان، يدعى كركو. ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى، يدعى قبادان، وبيت نار يسمى كويسة، بين فارس وأصبهان، بناه كيخسرو. وآخر بقومس، يسمى جرير. وبيت نار يسمى كندرز، بناه سياوش في مشرق الصين. وآخر بأرجان من فارس واتخذة أرجان جد كشتاسب وهذه البيوت كات قبل زردشت. ثم جدد زردشت بيت نار بنيسابور، وآخر بنسا. ومر كشتاسب أن يطلب نارا كان يعظمها جم، فوجدها بمدينة خوارزم، فنقلها إلى داا بجرد، وتسمى أذرخر، هو المجوس يعظمونها أكثر من غيرها. وكيخسرو لما خرج إلى غزو أفراسياب عظمها، وسجد لها. ويقال إن انوشروان هو الذي نقلها إلى

كاريان فتركوا بعضها، وحملوا بعضها إلى نسا. وفي بلاد الروم على أبواب قسطنطينية بيت نار اتخذها سابور بن أردشير، فلم يزل كذلك إلى أيام المهدي، وبيت نار بإستينيا، على قرب مدينة السلام لبوران بنت كسرى. وكذلك بالهند والصين بيوت نيران. وأما اليونانيون فكان لهم ثلاثة أبيات ليست فيها نار، وقد ذكرناها. والمجوس إنما يعظمون النار لمعان فيها، منها أنها جوهر شريف علوي، ومنها أنها ما أحرقت الخليل إبراهيم عليه السلام، ومنها ظنهم أن التعظيم لها ينجيهم في المعاد من عذاب النار. وبالجملة، هي قبلة لهم، ووسيلة، وإشارة⁽¹³⁾ بعد الإسلام ظلت بيوت النار قائمة في المناطق التي فتحها المسلمون في قارة آسيا، وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن المسلمين الفاتحين تركوا بيوت النار قائمة، ولم يطردوا المقيمين فيها، ولم يمنعوا زوارها من دخولها، (والفتح العربي لآذربيجان يرد بروايات مختلفة في حوادث السنوات من 18 - 22 هـ - 639 - 643 م)، فيقال إن حذيفة بن اليمان فتح آذربيجان في قدومه من نهاوند أيام الخليفة عمر. وقدمت حملات أخرى من شهرزور، وعقد حذيفة صلحاً مع المرزبان الذي كانت قصبته أردبيل، على أن يؤدي المرزبان ثمانمائة ألف درهم، ووعد العرب بالأيسبوا أحداً من أهلها، وأن يحترقوا معابد النار والشعائر التي تقام فيها⁽¹⁴⁾

النار والأسطورة:

ذكرت عظمة النار في نفوس البشر، ورهبتهم منها وسعيهم للحصول عليها، قديماً وحديثاً، والرهبنة من النار وغموضها، من الأسباب التي بعثت في نفوس البشر أسطورة هذه الظاهرة الطبيعية العجيبة، والأسطورة عن النار هي ما يقربها من الفن الأدبي عند البشر، فيصنع الإنسان قصة متخيلة عن الظاهرة المؤسطرة، عن النار في إفريقيا، وتعددت أساطير الشعوب عن النار وكيفية نشأتها أو الحصول عليها، مثلاً: (أسطورة شعب البرغداما الإفريقي تقول أن رجلاً قال لأمرأته: سأجتاز النهر هذه الليلة لآتي بقبس من هناك من القرية البعيدة، فاجتاز النهر من المخاضة ودخل إلى خص الأسد، وأخذ يتبث نظره على إحدى الجدوات - في عرين الأسد، وانقض على الجدوة وفر هارباً...⁽¹⁵⁾ ومما يدل على أن الأساطير في نشأة النار كانت عامة عند شعوب الأرض، أن البشر البدائيين اختلفوا في صنع هذه الأساطير من قارة إلى قارة، ففي أستراليا كانت صنعت قبيلة البوانديك أسطورة تقول إن (مُدخل النار كان كُنُوه، وهو نوع من الببغاوات الكبيرة البيضاء التي يسهل تعليمها النطق، وبموجب هذه الرواية يقال أن النار إنما أتت من عُرف الببغاء الأحمر، فيقال أن واحداً من هذه الببغاوات أخفى النار على قبيلته....)⁽¹⁶⁾

الطبيعة البشرية والنار:

يرى بعض من فسروا خلق الإنسان، أن بعض الطباع البشرية مأخوذة من طبائع النار، وهي دلالة على هؤلاء المفسرين بتناقض أحوال الإنسان وطباعه، ومن تلك الآراء ما يتعلق بخلق الإنسان وأصله، وذلك بالإشارة إلى الفخار الذي خُلِق منه الإنسان، والنار التي جعلت الطين فخاراً، فخلق الإنسان (من صلصال كالفخار، وهو الذي قد أُصلح بأثر من النار فصار كالزخرف، وبهذه القوة النارية حصل في الإنسان أثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى دلّ بقوله: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من نار» . فنبه على أن الإنسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من أثر النار)⁽¹⁷⁾، أما الفلاسفة وأصحاب المعتقدات، فقد رأوا في النار أصلاً من أصول الطباع الموجودة في الأرض والبشر، (فإن الكينوية زعموا أن الأصول ثلاثة: النار، والأرض، والماء. وإنما حدثت الموجودات من هذه الأصول

دون الأصلين، الذين أثبتهما الثنوية. قالوا: والنار بطبعها خيرة، نورانية، والماء ضدها في الطبع، فما كان من خير في هذا العالم فمن النار، وما كان من شر فمن الماء، والأرض متوسطة. وهؤلاء يتعصبون للنار شديداً، من حيث أنها علوية، نورانية، لطيفة، لا وجود إلا بها، ولا بقاء إلا بإمدادها. والماء يخالفها في الطبع، فيخالفها في الفعل، والأرض متوسطة بينهما. فتركيب العالم من هذه الأصول).⁽¹⁸⁾

هناك رأي حديث يرجع بعض رغبات الإنسان إلى النار، ذلك بسبب التعقيد والغموض الذي يحيط أصل النار ونشأتها وطبيعتها، فهو كالغموض الذي يحيط بالنفس البشرية، كما أن الصلة الفوية بين الإنسان والنار تجعل بعض الطبائع البشرية مأخوذة من اللهب الذي يؤثر منظره في النفس البشرية، (لقد كانت النار بالغة التضييل وبالغة العموض معاً، فإن ذلك يقتضينا أن نبدأ كل تحليل نفسي للمعرفة الموضوعية بتحليل نفسي لحدس النار، ونحن لا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن النار هي بالضبط، الموضوع الأول، أو الظاهرة الأولى التي انعكست عليها الروح البشرية، والنار، من بين جميع الظواهر هي الظاهرة الوحيدة في نظر إنسان ما قبل التاريخ التي تستحق الرغبة في المعرفة، من حيث إنها موافقة لرغبة الحب)،⁽¹⁹⁾ في دراسة حديثة يرى صاحبها أن النار جزء من المجتمع البشري، تتحرك بحركة الإنسان، وتمتزج به اجتماعياً، وهنا يمكن النظر إلى أهمية النار في نشأة التجمعات البشرية في الأرض، وإقامة القرى والمدن، (ولربما فاتنا أن نلاحظ، أن النار كائن اجتماعي، أكثر مما هي كائن طبيعي، وليس من الضروري، لمعرفة أساس هذه الملاحظة، أن نقوم بتطوير اعتبارات المجتمعات البدائية حول دور النار، بل يكفي أن نعلم علم النفس الوضعي في درسنا للإنسان المتحضر تكويناً وثقافةً، والحق أن احترامنا للنار، جاء عن طريق التلقين ولم يأت عن طريق الطبيعة).⁽²⁰⁾

المحور الثاني : دلالات النار في ديوان أفريقيانا لنا: النار والشعر :

تتسق بعض صفات النار والشعر، ذلك لأن الشعر محمول انفعالات في نفس الشاعر، وتكون هذه الانفعالات أحياناً ناشئة من اضطراب وقلق، وحركة خفية لا يحس بها غير الشاعر نفسه، وهي الحركة الغامضة، والمشاعر والانفعالات المتناقضة التي تناسب غموض نشأة النار، فالنار (تتألق في الفردوس، وتستعر في الجحيم، عذوبة وعذاب، مختبر بداية ورؤيا نهاية، مسرة للطفل يجلس وديعاً قرب الموقد، غير أنها تعاقب كل عصيان إذا ما أريد الدنو منها كثيراً والعذب بلهيبها، هناة واحترام، إله حارس ورهيب، طيب وخبث، يمكن أن تتناقض مع نفسها، لذلك كانت ولدًا من مبادئ التفسير العالمي)⁽²¹⁾ وليست صلة الشعر والشعراء بالنار ودلالاتها حديثة، بل كانت هذه الصلة تربط الشعراء بالنار منذ ظهور فن الشعر، ذلك لأن انفعالات النفس البشرية تتوافق قديماً وحديثاً، وقد صور الشاعر القديم انفعالاته بوصف النار واستعار منظر اللهب والجمر لكثير من المعاني التي توافقت المظهر الناري، (وإذا كان واقع الشاعر العربي القديم دافعاً إلى التفاعل مع النار، جعله يوظف « المعجم الناري » ما يمكنه من تصوير ذلك الواقع، فوصف نار الحب، ونار الشوق، ونار البعد، ونار الحقد ونار الحرب، وتمثل في شعره بنيران كانت توقدها العرب لأغراض اجتماعية، مثل نار القرى، فإن الشاعر المعاصر وظف «المعجم الناري» انطلاقاً من واقعه الاجتماعي والسياسي، فلم يصف النار، وإنما وظيفها تزييفاً رمزياً للتعبير عن مواقفه، وإثراء تجربته الشعرية)،⁽²²⁾ ثم

انتقل توظيف النار في الشعر إلى العصر الحديث، بظهور المدارس الأدبية الحديثة، وتطور فن الشعر، باتجاه الشعراء إلى الترميز بالمظاهر الطبيعية (ومن المشاهد الطبيعية التي كانت أكثر بروزاً في الدواوين الشعرية، هي ظاهرة النار، التي لها العديد من الدلالات في الشعر الحديث والمعاصر) ⁽²³⁾، وفي هذا الباب شعر كثير قي كل عصور الأدب العربي، لكن استغيت عن الاستشهاد به، لتكون نصوص ديوان أفريقيا لنا شواهداً للدراسة، وذكرت آراء النقاد عن صلة النار بالشعر والشعراء

دلالة الحياة والأمل :

وظف محي الدين فارس النار لتدل على الحياة والأمل، في بعض توظيفاً يدل على ارتباط الإنسان بالنار، واتخاذها سبباً للحياة، أو انبعاث الحياة بعد الفناء، ذلك لأن النار تكون كامنة خفية، ثم تظهر من مكمنها، (إن النار التي تختفي تحت الرماد تشتعل مرة ثنية بنفخة واحدة، وحينما يخمد لهيب النار المشتعلة، ستولد النار بتطريح الحطب فيها، وفقاً لهذا القول، خلود وحياتها بعد الموت يعد رمزاً للانبعاث، هذا الانبعاث يبشر بالحياة بعد الموت، يبشر بالفرح بعد الحزن، يبشر باليسر بعد العسر) ⁽²⁴⁾ في قصيدة الجواد والريح، ⁽²⁵⁾، تتناثر في النص الألفاظ التي تقوي دلالة النار على الحياة والأمل، مثل الحجارة والقناديل، وتشعل، والضوء، وهذا التكتيف اللفظي، يُجَدِّث ضجة في النص، وتركيز بصري على مشاهد النار وما يوافقها من ألفاظ

أينَ بساطُ الولايم
وانطفأت أعيُنُ المِجْمرة
على عتبات المدينة
طنَّ السكونُ وفاح كلامُ الظلام
العصورُ الجديدةُ تولدُ
تبرُحُ بؤابةُ الدَّيرِ عرَافةُ الغابِ
تنزلُ من جبلِ الصمِّتِ
تُشعلُ في الليلِ كلَّ القناديلِ
تفرشُ بالضوءِ كلَّ العشايا
يقومُ الضحايا
ملابسهم أرجوانُ

وفي قصيدة الجواد والريح نفسها ⁽²⁶⁾، ينحو الشاعر منحى آخر في تقوية الدلالة، بأن يجعل النار مظهرًا حضاريًا، ويستعير للهب لفظ الزبد، وهو لفظ يدل على الكثرة، ثم يلجأ إلى أكبر مظاهر النار في الطبيعة وهي الشمس، ويصور الشمس مرضعة تهب الحياة بضوئها، كما تهب الأم طفلها الحليب :

لمحتك في زبدِ النارِ ياقوتةُ
رضعتُ من حليبِ الشمسِ
ارتوت من رحيقِ الحضاراتِ
واتكأتُ في جبينِ الزمانِ

ودلالة الحياة والأمل في مقاطع الجواد والريح، صورٌ طبيعية يراها كل إنسان، لكن الشاعر يبحث فيها المعاني التي يريدها بنظراته المختلفة عن نظرة العامة، (ومما لا شك فيه أن النار تجلب الدفء والسلوى، لكننا لا نشعر بهذه السلوى إلا في نطاق من التأمل الطويل بعض الشيء)⁽²⁷⁾ صور أخرى من صور الحياة المنبعثة من النار يبثها الشاعر في قصيدة أريحا،⁽²⁸⁾ وعلى الرغم من أن القصيدة تصور مأساة، لكن صور النار فيها كانت مما بكى عليه الشاعر من مظاهر الحياة، كجلوس العائلة حول الموقد، وهي دلالة الحياة المستقرة والأمل، فهي صورة فقدتها الشاعر، فأخذ يسأل عنها متعجباً :

قنبله

سَقَطَتْ دُونَ تَفَاصِيلِ

تَهْدُ الْمُقْصَلَهُ

ما الذي أطفأ تلك النار... يا لَمَهْزَلَهُ

حاصرْتُهُمْ ثورَةَ البحرِ

توارَوْا في خضوع.. صَفْقَةً أَوْلَى

تليها صَفَقَاتٌ مَقْبِلَهُ

ذاك... سرُّ المرحلِ

.....

هذه الليلة

لم تجلسْ لدى الموقدِ كُلِّ العائلة

قتلوا الراوي

فما طعمُ الحكاياتِ؟!

أي كان يُجيدُ القَصَّ في تلك الليالي الحافلة

لجأ محي الين فارس في بعض نصوص ديوان أفريقيا لنا إلى تصوير بعض الروحانيات مستخدماً النار، والروح في هذا السياق إنما توافق النار في سموها، وغياب أصلها عن المعرفة العامة، فهي كالروح التي يحس بها كل حي، وفي حالة الروحانية تكون النار شيئاً شفافاً عند محي الدين فارس، أو شيئاً متخيلاً يؤنس به الشاعر نفسه بطريقة صوفية غير محكومة بالواقع الذي يرى فيها عامة الناس النار وهنا (ينبغي لنا أن نلقي نظرة على المنطقة التي تكون فيها النار ظاهرة، وتقع هذه المنطقة على ما يبدو، عند حد النار، أو عند نهاية اللهب، حيث يفسح اللون لاهتزاز غير مرئي. عندئذ تتجرد النار عن مادتها وتنفصل عن الواقع و«تتروحن»)⁽²⁹⁾، لقد ظهرت هذه الدلالة في قصيدة تراثيل صوفية (30)، وهي القصيدة التي أكثر فيها من الألفاظ النارية مثل (قناديلي، ومصباح، وشمس، ومضيئة، وموقد....، وهو يقرن المصباح في هذا النص بالمعبد، لتكون دلالة النار هنا اتصال الحياة بالأمل السماوي :

سرابَ زمانٍ ما روى غُلَّةَ الصّدي

زيوت قناديلي ومصباح معبدي

وقفْتُ على شطِّ المغاربِ باكياً

فقد أطفأت ريح الرزايا وجفقتُ

..

خلعت رداء الكين هيمانَ ظامناً
ففي عالم الأرواح شمسٌ مضيئةٌ
فيا منجداً نحوَ الدنيا معانقاً
ويا مطفئاً مصباحَ قومٍ تهتكوا
إلى النبع أسقي الروحَ أعذبَ موردٍ
وخمرٌ وكاساتٌ ومِزمارٌ منشِدٍ
ظلالَ الخطايا إنني غيرَ مُنجدٍ
من العشقِ إنني مُسعِلٌ كلَّ موقِدٍ

ومع هذه الدلالة العميقة، تجد في بعض نصوص الديوان الوصف المجرد للنار باعتبارها مظهرًا اعتادته العين، مثل النار التي تبعث من الشمس، والأخرى التي يشعلها الناس في الموقد دلالة على الرغبة في الحياة، وهي دلالة بسيطة لا تصل عمق دلالة النار على الروحية الصوفية في النص السابق، ولا تخلو من التقليدية في وصف الشعراء لأي مظهر من مظاهر النار، ذلك لأن الشاعر هنا يث ذكرياته مع النيل والأيام التي قضاها هنالك، وتظهر هذه الدلالة البسيطة في قصيدة يا نيلُ يا شاعرَ الأنهارِ⁽³¹⁾

أطفأتُ فيك حراراتي وقد لِسْتُ
سلمتُ يا نيلُ من همٍّ ومن حَزَنٍ
وفي قصيدة بانوراما الأيام⁽³²⁾

يُخيفُنَا سَبْحُ في الغابِ مختبيءٍ
وموقِدُ الليلِ يقظانٌ مراجلُهُ
نروحُ نخطفُ منها كلما
وليس إلا جريدُ النخلِ قد مالا
تئنُّ فوقَ لهيبِ الجمرِ إعوالا
نصجتُ وتارةً تُسعِلُ النيرانَ إشعالا

دلالة الدمار والخراب (الحرب):

وجد الشعراء في النار المعاني المتناقضة والصور المتنافرة، فهي مع دلالتها على الحياة والاستقرار، تنذر أيضا بالخراب والدمار، فتحرق كل مظهر من مظاهر الحياة، فتقلب البيوت تحت لهبها رمادًا، وتقضي بضراوتها على كل أخضر في وجه الأرض، (تهيء لنا النار والحرارة أدوات تفسير في مختلف الميادين، لأنها تتيح لنا المناسبة لذكريات لا تنالها يد البلى، وتتيحان المناسبة لاختبارات شخصية، بسيطة حاسمة، وهكذا هي النار، ظاهرة ذات امتياز، يمكنها أن تفسر كل شيء، وإذا كان كل ما يتغير بطيئًا تفسره الحياة، فإن كل ما يتغير سريعًا تفسره النار، فالنار هي الحي الأعلى، Ultra - Vivant وهي داخلية وخارجية، تحيا في قلوبنا وفي السماء، تصاعد من أعماق الجوهر وتبدي لنا حبًا، ثم تعود فتهد إلى قلب المادة، وتخفي كامنة، منطوية كالحقد والانتقام، وهي الوحيدة من بين جميع الظاهرات التي يمكنها أن تتقبل كلتا القيمتين المتضادتين: الخير والشر)⁽³³⁾ تناقض بعض الصفات وتضادها واجتماعها في النار، مما بعث في نفوس الشعراء التعبير بها سلبًا وإيجابًا (إن ظاهرة النار بخصايتها المتناقضة والمتعددة تحتم افتراضية جديدة تقوم على الجدل انطلاقًا من الثنائية الكبيرة التي تحيط بالنار، وهي أنها بقدر ما تحرقنا، فإنها تضيئنا)⁽³⁴⁾ ومن هذا الجانب المमित في النار تبعث دلالتها على الخراب والدمار، ولا تجد شاعرًا يذكر الحرب وخرابها إلا جعل النار سببًا في هذا الخراب، حتى يكاد اسم النار يرادف اسم الحرب في أشعارهم، وتوافق دلالة النار على الحرب القرآن الكريم في قوله تعالي: (...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)⁽³⁵⁾

حين جعل محي الدين فارس النار دالة على الحرب، ألبس نصه تلك الدلالة من عنوانه، أعني قصيدته : لهيب المعركة⁽³⁶⁾

تَلْغُو المَدْفَعُ لِلْمَدْفَعِ	وَالأَسْنَةُ لِلأَسْنَتِ
إِن الطَّرِيقَ مَخْضَبٌ	بِدمِ الصِّبَاحَاتِ المَعْنَةُ
مَا دَامَ بَيْتُكَ فِي لَهيبِ	النَّارِ مَشْتَعَلِ الأَكْنَةُ
أرْكَبُ رِيحًاكَ فِي صَدُورِ اللَّيْلِ	مُتَطَلِّقَةً الأَعْنَةُ

والشعراء في جيل محي الدين فارس يتشابهون في قرن الحرب بمظهر النار التي تدمر كل ما تقع عليه، فهناك صورة مماثلة في شعر بدر شاكر السياب في قوله :

كم ليلة ظلماء كالرحم انتظرنا في دجاها
نتلمس الدم في جوانبها ونعصر من قواها
شع الوميض على رتاج سنائها مفتاح نار
حتى حسبنا ان باب الصبح يفرج؟
ثم غار وغادر الحرس الحدود .

(هنالك في القصيدة إذن صورتان متعاقبتان: الليل؟ الرحم وما يضم من كهوف، والنار الملتهبة التي تلاحق أطراف هذا الليل كأنها الخيول، وهي النار الخادعة التي كانت تضيء للقابعين في كهف أفلاطون. بل هي اشد من ذلك لأنها التهمت جدار النور - طمست مثال الخير الأسمى المتمثل في نور الشمس)⁽³⁷⁾ وفي قصيدة ذكريات الحرب، من ليالي الرعب بالأسكندرية⁽³⁸⁾، صورة لنار الحرب التي تلقي بها الطائرات الحربية، على المنازل، وقوى الشاعر معنى دلالة النار على الخراب، بقوله : (تَرشُّ اللهبَ ...)

وجاء المساء

ضربَ الغيومِ كلونِ الخطيئة
تموتُ به النسماتُ البريئة

....

إذا حَلَقَتْ فوقنا طائرهُ
ترشُّ اللهبَ على القاهرهُ

....

وتصطكُ تحتَ رَشَاشِ اللهبِ
نوافذُ منزلنا الجازعهُ
كأسنانٍ مقرورةٍ جائعهُ

وهناك مشاهد أخرى للنار في دلالتها على الخراب، وكلها مظاهر مؤذنة بالحرب، وتنوعت فيها صور النار والألفاظ الدالة عليها مثل قصيدة : من قال قابيل انتهى؟⁽³⁹⁾

وحملتُ قيثاري
أجوبُ شوارعَ الدنيا

وأدخل في الموازي من بعيد
واختبيء الظل المديد
فمدينتي الحمقاء تاكل لحمًا الباقي
وتلبس من أجيح النار أريدية
وترقص في العراء
وقصيدة: المراسي التي لا تنام⁽⁴⁰⁾
أطفئ النار بالمشبة في الأرض
اتفقوا كيما تتفقوا
لنعيد الدار إلى الدار
لنعيد حديث السمار
ليكون النيل هو النيل
اتفقوا فالريخ ستأتي
تتلصص من خلف البيت
لتصب الزيت على النار
وغراب البين
يتجول في سوق الإثنين

هناك وجه آخر من أوجه دلالة النار على الحرب والدمار، وهو تصوير المعاناة وقسوة الحياة، وذلك بتشبيه حياة الذل بالنار، وقد ظهر هذا الوجه عند محي الدين فارس في قصيدة شعبي العملاق⁽⁴¹⁾

تأمل تجد نيلًا بكيا وأوجها حزائي ودمعا في المحاجر ملجما
ويا شعبي العملاق مالك صامتا أما ضقت بالدنيا لظى بل جهنما؟
أما ضقت بالسجان والقيد والدجى والسوط رعاقا وبالذل مرغما؟

عرفنا أن النار في رمزيها العامة تدل على الحياة، لأن مظاهر الحياة الإقامة والاستقرار كلها تقوم على النار صغيرة كانت أم كبيرة، ويمكن أن نقول في هذا السياق: إن حياة النار حياة للبشر، وإن موتها ذهاب لهم وابتعاد لهم عن مظاهر حياتهم التي اعتادوها، ولذلك فإن لفظة «الانطفاء» عند الشعراء تعني موت النار، فتكون الدلالة هنا سلبية وفيها خراب ودمار، لقد أطفأ محي الدين فارس النار حين أردا بها دلالة فقدان الأمل، وجعل ذلك عنواناً للقصيدة المعنية وهي: القناديل المطفأة،⁽⁴²⁾

حديقتنا جعدت وجهها
وسياح البنفسج شاخت عناقيدھ
وألقت على الأرض تيجانها
ووجه النهار تسرب من راحتيا
تلفت... لا شيء غير الدهاليز
والجائعين يلوكون وجه الموازي

وبيتُ العصافيرِ طنَّ به الصمْتُ

والليلُ كالأضرحة

دلالة الشهوة والغريزة

حركة النار وتصاعدها كأنفاس البشر صورة مشابهة لانفعال الشوق والشهوة الغريزية، وقد فصل عبد الله الطيب القول في هذه الظاهرة عند الشعراء القدماء، فجعل البرق عندهم رمزاً للشوق وخصوبة الأنثى، (ومن رموز الشوق الكبرى البرق،... وهو رمز بعيد الغور شديد العمق، وذلك أن فيه معنى النار، يرمز إلى خصوبة الأنثى، كما أن فيه معنى السحابة والسقياء، والشعراء مما يتخذون البرق وسيلة للاتحاد مع الطبيعة، وما إلى نعت الطبيعة يريدون، لكننا يريدون إلى الإفصاح عن اللواعج التي في القلوب) (43)

ويذكر عبد الله الطيب بعض الأشعار التي تدل على قوة رأيه في مسألة دلالة النار على الشهوة في قوله: (ومما يدل على قوة اتصال النار بمعاني الهوى والعشق والمرأة، حتى صارت كأنها تتراد لذاتها إذ تذكر في هذا الباب لقوة دلالتها وعظيم اشتغالها على ما يراد من المعنيين قول جميل: (44)

أَكْذَبْتُ طرِفي أم رأيتُ بذِي الغَصَى لبثْنةً ناراً فاحبسول أيها الرُّكْبُ

إلى ضوءِ نارٍ في القتامِ كأنها من البعدِ والأهوالِ جيبٌ بها نَقْبُ

وعند باشلار تبدو النار دالة على الغرائز بتشابه صفاتها وصفات البشر وغرائزهم، كأنها يأخذون منها صفة الحركة نحو الحياة وطلب المتعة، وذلك في قوله: (لكن للهاجس عند الموقد محاور فلسفية أكثر من سواه،.... إن هذا الهاجس خاص جداً، لكنه عامٌّ مع ذلك، فهو يعين عقدة حقيقية يتحد فيها الحب مع احترام النار، وغريزة مع غريزة النار) (45) يذهب عبد الله الطيب إلى أن دلالة النار على الخصوبة إنما هو ناتج عن التأنيث الذي في اسم النار، وذلك حين يقرن الشاعر تلك النار بذكر المحبوبة، (وقد قرنت العرب قرناً قوياً بين ذكر النار والمحبوبة في تسيبها، وغير بعيد أن يكون منشأ هذا القرن من عبادة الخصوبة الأولى في الشمس، أو غيرها من النيران المؤنثات..) (46)

تظهر دلالة النار على الشهوة والغريزة في قصيدة: أفريقيا لنا، (47) في الجزء:

والجأزُ ملتَهَبٌ يُوْجُّ خلاله نهدٌ وجيدٌ

وموائدٌ حضراءٌ تطفحُ بالنبيدِ وبالورودِ

لهبٌ من الشَهواتِ يجتاحُ المعامِ والسدودِ

قوى الشاعر دلالة النار على الشهوة في وصفه حلبة الرقص التي يمرح فيها المستعمرون، بصلفهم وشهواتهم، قارناً اشتعال نار الشهوة بالمفاتن الجسدية للمرأة (النهد والجيد)، ثم أضاف إلى هذه الصورة ألفاظاً تدل على قوة اشتعال النار التي شبه بها الشهوة الجسدية، مثل تعبير (لهب من الشهوات)، ومثل كلمة «يُوْجُّ» ومعنى (أجج النار فتأججت وأجت، وللنار أجيج، واشتدت أجة المصيف. وتقول: هجير أجاج، للشمس فيه مجاج، وهو لعاب الشمس. وماء أجاج: يحرق بملوحته. ومن المجاز: مرَّ يُوْجُّ في سيره إذا كان له حفيف كحفيف اللهب) (48)،

الخصوبة والجسدية التي في النار مطرة عند الشعراء والنقاد، فبعضهم يرى (أن شعائر التغير أو التطهير تتركز حول ثلاثة أنواع من الصور هي: التطهير بالثلج والنار والتحلل. أما الثلج فيرمز إلى الخفاء

النار في ديوان أفريقيا لنا، شعر محي الدين فارس دراسة دلالية تحليلية

والعقم، وأما النار فتوحي بالخوف من « الزنا بالمحرمات » (...)⁽⁴⁹⁾، يصور محي الدين فارس حفلًا راقصًا، فيجعل مجمر النار دلالة على الغريزة البشرية الفرحة، وذلك في قصيدته: مولد الأشياء⁽⁵⁰⁾:

وما زال مغنيهم

يوزعُ تحت جناح الليلِ موالًا

.....

يرقصُ يملأُ الساحة

بصندلِ جوِّهِ الليلي

يوقدُ شمعةً الميلاذِ

يطلقُ من مجاميرِهِ سحاباتٍ عبريَّه

قويت دلالة النار على الشهوة في عند محي الدين فارس في قصيدة ، فافويا ملكة الغابة⁽⁵¹⁾ وهي قصيدة طويلة يصور فيها مجيئه إلى تلك الملكة، فيجعل النيران والأضواء في بيت فافويا مبتدأ الغريزة، وفي القصيدة إشارات تدل على أن النيران التي ذكرها الشاعر في النص دالة على الغريزة، مثل إشارته إلى بعض مظاهر العرس، مثل عطر المحلب و«الكُجرة» وهي في العامية السودانية ستار تحتجب وراءه العروس، ثم إنه كرر لفظ القنديل مفردًا ومجموعًا، فالصور التي في القصيدة كلها تجتمع في هيئة رجل يسعى في لهف نحو عروس تنتظره، والأضواء المنبعثة من النيران التي رآها في رحلته في نيران الشوق إلى تلك العروس:

سيدي

جتئتُك في الزمنِ المرصودُ

...

لكن في الشاطيءِ كان القنديلُ

يتدلى .. كالرأسِ المفصولُ

.....

وقدِرُ المحلبِ ممتلئهُ

وبقايا عطرٍ منكفئهُ

وقناديلُ

في سقفِ الحجرِ منطفئهُ

والكُجرةُ ساهمةُ العينينِ

سيدي جئتُك بالقنديلِ

وبَيَّضَ الرَّحْءِ وشحمِ الفيئِ

..

وتسلقتُ الجبلَ العالي

تزحمُ خطوي سودُ سعالي

تركتُ لما لمحتُ في عيني تَنُورَ النارِ

وهديرَ العزمِ الجبار...

الخاتمة والنتائج:

وصلت إلى خاتمة هذه الدراسة بعد الاستفاضة في تفسير ظاهرة النار ودلالاتها في ديوان أفريقي لنا، من شعر محي الدين فارس، وكما أن في طبيعة النار تناقض، فإن دلالاتها في الشعر تناقضت أيضاً، فهي تدل حيناً على الحياة والأمل، وحيناً آخر على الخراب والدمار، مع دلالات أخرى مثل الغريزة والشهوة، وبنهاية الدراسة كانت النتائج: للنار أهمية كبرى في حياة البشر ومعتقداتهم وآدابهم، وقد بدأ تأثيرها في الأدب بما حيك حولها من أساطير، وأن الإنسان عظم أمر النار حتى بلغ بها درجة العبادة، فاتخذها إلهاً، وأن الشعر - باعتباره جنساً أدبياً - اقتبس كثيراً من طبيعة النار ودلالاتها المتناقضة .

التوصيات :

- 1 - تكثيف البحوث عن دلالة المظاهر الطبيعية في الشعر السوداني الحديث
- 2- توسيع هذه الدراسة عن النار لتشمل الشعر السوداني كله أو المشهور منه
- 3 - إقامة ملتقى نقدي خاص بدراسة مظاهر الطبيعة ودلالاتها في الشعر السوداني
- 4 - ربط الشعر السوداني الحديث بالدراسات الحديثة التي تناولت دلالات مظاهر الطبيعة في الشعر العربي عامة .

الهوامش :

- (1) أساطير في أصل النار، جيمس فريزر، ترجمة/ يوسف ثلب الشام، دار الكندي للترجمة والنشر والتوزيع. ص 8
- (2) المحاضرات والنصوص ما قبل التاريخ، حكيم بن الشيخ، دار هومة، الجزائر، 2031م، ص 103
- (3) حضارات إنسان ما قبل التاريخ في القارة الأفريقية، موسوعة الحضارة الأفريقية، محمد السيد غلاب ، ، فاروق عبد الجواد شويقة، معهد البحوث والدراسات الثقافية، القاهرة، 1997م، ج1، ص 19
- (4) (سورة الواقعة : الآيات : -71 -72-73)،
- (5) (سورة طه : 9-10)
- (6) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت / أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة 2000م، ج18، ص 275
- (7) قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة محي الدين صابر، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج1، ص 22
- (8) المرجع نفسه، ج1، ص 22
- (9) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، ب . ت، ج1، ص 14
- (10) (سورة الأعراف، الآية 12)،
- (11) البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ب، ت، ج1، ص 38
- (12) جامع البيان، الطبري، ج12 ص 37
- (13) الملل والنحل، ج2، 58- 59 - 60
- (14) موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م 1998م، ج1/ص 16
- (15) أساطير في أصل النار، ص -126- 127
- (16) - المرجع السابق، ص 17
- (17) -تفصيل النشاطين، وتحصيل السعادتين، الراغب الأصبهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت. 1983م، ص 25
- (18) الملل والنحل، ج2، ص 58
- (19) النار في التحليل النفسي، غاستون باشلار، ترجمة / نهاد خياط، دار الأنجلوس، بيروت، 1984م ص 53
- (20) النار في التحليل النفسي، ص 14
- (21) المرجع السابق، ص 11
- (22) مدارات رمز النار في الشعر الجزائري المعاصر، أحمد سعود، جسور المعرفة، العدد3، المجلد 6، ص23

- (23) دلالة النار في الشعر العربي المعاصر، نزيهة العايب، رسالة ماجستير، جامعة حماة لخضر بالوادي، الجزائر 2017م، ص 17
- (24) رمزية مفردة النار ودلالاتها في ديوان أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس (علي خضري) - (رسول بلاوي)، (هاجر زماني)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، 2016م، ص 43
- (25) ديوان أفريقيا لنا، محي الدين فارس، دار عزة للنشر، 2004، ص 9 - 10
- (26) المرجع السابق، ص 11
- (27) النار في التحليل النفسي، ص 18
- (28) ديوان أفريقيا لنا، ص 16 - 17 - 18
- (29) النار في التحليل النفسي، ص 95
- (30) ديوان أفريقيا لنا، ص 26 - 27
- (31) المرجع السابق، ص 34
- (32) المرجع نفسه، ص 52
- (33) النار في التحليل النفسي، ص 11
- (34) دلالة النار في الشعر العربي المعاصر، ص 61
- (35) (المائدة: 64)
- (36) ديوان أفريقيا لنا، ص 8
- (37) بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1978م، ص 274
- (38) 37 - ديوان أفريقيا لنا، ص 74
- (39) المصدر نفسه، ص 29
- (40) المصدر نفسه، ص 40
- (41) المصدر نفسه، ص 22
- (42) المصدر نفسه، ص 24
- (43) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الكويت 1989م، ج 3، ص 144
- (44) المرجع السابق، ج3، ص 136
- (45) النار في التحليل النفسي، ص 19 - 20
- (46) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج3، ص 135
- (47) ديوان أفريقيا لنا، ص 48
- (48) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ت / محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج 1، ص 21

النارفي ديوان أفريقيانا، شعر محي الدين فارس دراسة دلالية تحليلية

(49) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي إدغار هايمن، ترجمة / إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت،

1960م، ج2، ص 198

(50) ديوان أفريقيانا، ص 70

(51) ديوان أفريقيانا ص 90 - 91 - 92

المصادر والمراجع

(*) القرآن الكريم

ثم :

- (1) الأصبهاني، الراغب، الحسين بن محمد، 1983م، تفصيل النشأتين، وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (2) باشلار، غاستون، 1984م، النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، ط1.
- (3) الجاحظ، عمرو بن بحر، ب.ت، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- (4) (خضري، علي-) (بلاوي، رسول)، (زمانى، هاجر)، 2016م، رمزية مفردة النار ودلالاتها في ديوان أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها،
- (5) ديورانت، وول، 1988م، قصة الحضارة، ترجمة محي الدين صابر، دار الجيل، بيروت
- (6) الزمخشري، محمود بن عمر، 1998م، أساس البلاغة، ت / محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (7) سعود، أحمد، 2020م، مدارات رمز النار في الشعر الجزائري المعاصر، جسر المعرفة، العدد3، المجلد 6
- (8) الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، مؤسسة الجلبي، ب . ت
- (9) ابن الشيخ، حكيم، المحاضرات والنصوص ، ما قبل التاريخ، دار هومة، الجزائر.
- (10) الطبري، محمد بن جرير، 2000م، جامع البيان، في تأويل القرآن، ت / أحمد محمد شاكِر، مؤسسة الرسالة.
- (11) الطيب، عبد الله، 1989م المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت.
- (12) العايب، نزيهة، 2017م، دلالة النار في الشعر العربي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة حمة لخضر بالوادي، الجزائر.
- (13) عباس، إحسان، 1978م، بدر شاكِر السياب دراسة في حياته وشعره، دار الثقافة، بيروت، ط4
- (14) غلاب، محمد السيد، شويقة، فاروق عبد الحواد، 1997م حضارات إنسان ما قبل التاريخ في القارة الأفريقية، موسوعة الحضارة الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الثقافية، القاهرة.
- (15) فارس، محي الدين، 2004م، أفريقيا لنا، دار عزة، الخرطوم.
- (16) فريزر، جيمس، 1988م، أساطير في أصل النار، ترجمة/ يوسف ثلب الشام، دار الكندي للترجمة والنشر والتوزيع.

النارفي ديوان أفريقيانا، شعر محي الدين فارس دراسة دلالية تحليلية

- (17) موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م
- (18) هايمن، إستانلي إدغار، 1960م، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة / إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت.

الصورة الشعرية في نقائض جرير : (دراسة أدبية بلاغية)

طالب دكتوراه بجامعة الجزيرة
معلم بالمرحلة الثانوية ولاية الجزيرة

أ. محمد الأمين تقي الدين إبراهيم أحمد

مستخلص:

الشعر عند جرير حافل بألوان الخيال , وصنع الصورة الجديدة المبتكرة , و لقد اهتم النقاد منذ القدم بالصورة وبينوا آراءهم فيها . وإن اختصرت تلك الآراء والجهود في بداياتها علي جانب من جوانب الصورة الفنية ويُعني به الجانب البلاغي ومفهوم الصورة الشعرية في شعر جرير لم يبق حبيس دائرة البلاغة في تشبيه واستعارة وكناية , وإنما تجاوزها لصور اخرى كالصور اللونية والنفسية والخيالية والحسية . هدفت الدراسة إلي معرفة الصورة الشعرية التي هي روح الشعر ووسيلة الشاعر للتعبير عن معانيه والتأثير في المتلقي , وهي الوسيلة التي عن طريقها ينقل إلينا الشاعر تجربته التي عاشها , كما ينقل إلينا عواطفه وأفكاره ورؤاه التي أفرزت هذه الصورة وأيضاً أن الصورة البيانية تقوم علي احساس حسي متين ; تكمن أهمية الدراسة في ان شعر جرير يتميز بهلامح فنية أبرزها أنه في شعره يجول في ساحات واسعة الأرجاء متعددة الجوانب , فقد طرق أكثر الأغراض الشعرية وأجاد فيها والصور والأخيلة جاءت في شعره متصلة بالبادية التي ارتبطت حياته بها أشد الارتباط ; أتبعته الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ; وقسمت إلي ثلاثة محاور, المحور الأول التشبيه , المحور الثاني الاستعارة , المحور الثالث الكناية ; توصلت الدراسة إلي النتائج الآتية : الصورة الشعرية هي امر متعلق بالأدب وجماليات اللغة , ولها دلالات مختلفة وترابطات متشابكة , ارتبط مفهوم الصورة بالابداع الشعري وتعددت مفاهيمها , شعر جرير ذا اسلوب فريد وحس لفظي رائع ويتجلى ذلك من خلال التشبيهات , أيضاً استخدم جرير اسلوب السخرية والتهكم لذا مال إلي الإقذاع والفحش والاسفاف . توصي الدراسة بدراسة المستوي الإيقاعي في نقائض جرير , ودراسة التناسل القرآني في شعر جرير , كما توصي بدراسة أدب الطبايع في نقائض جرير والاختلال .
الكلمات المفتاحية : جرير , الصورة , الشعرية , التشبيه , الأخيلة .

Poetic Image in the Contradictions of Jarir: A Literary Rhetorical Study

Muhammad Al-Amin Taqi Al-Din Ibrahim Ahmed

Abstract:

of poetry at Jarir full of colors of imagination, and the creation of the new innovative image, and critics since ancient times have taken care of the image and stated their opinions in it. Those opinions and efforts in their beginnings on one aspect of the artistic image, meaning the rhetorical aspect and the concept of the poetic image in Jarir's poetry. It did not remain confined to the circle of rhetoric in analogy, metaphor, and metonymy, but rather transcended it to other images such as chromatic, psychological, imaginative and sensual images. The study aimed to know the poetic image that It is the spirit of poetry and the poet's means of expressing his meanings and influencing the recipient, and it is the means through which the poet conveys to us his experience that he lived, as well as conveys to us his emotions, thoughts and visions that produced this image, and also that the graphic image is based on a solid sensory feeling; The importance of the study lies in the fact that Jarir's poetry is characterized by artistic features, most notably that in his poetry he wanders in wide yards of many sides. He has used most of the poetic purposes and excelled in them, and images and fantasies came in his poetry related to the beginning, with which his life was closely linked; The study followed the descriptive-analytical approach, and was divided into three axes, the first axis is metaphor, the second axis is metaphor, and the third axis is metonymy. The study reached the following results: the poetic image is a matter related to literature and the aesthetics of language, and it has different connotations and intertwined connections. To the obscenity, obscenity and despondency. The study recommends studying the rhythmic level in the contradictions of Jarir, and studying the Qur'anic intertextuality in Jarir's poetry, and also recommends studying the literature of nature in the contradictions of Jarir and Al-Akhtal.

Keywords: Jarir, Image, Poetic, Analogy, Imaginations

يُعد الشعر من أرقى الفنون الأدبية منذ أقدم العصور ، حتى عُد وعاء يعبئ فيه الشاعر العربي أحاسيسه ومشاعره وأفكاره .

وأى شاعر ذو إحساس مرهف ومشاعر فياضة لا يستطيع الاستغناء عن الصورة الفنية التي يوشى بهاء قصائده ، وهذه الصورة تقوم على الخيال بقدر ما يمتلك الشاعر من قدرة على صياغة المعاني ، ومصطلح الصورة هو : () ما يدركه المتأمل في المعاني من فوارق دقيقة وشيفرة بين هياتها وأشكالها ، وشياتها ، وملامحها . وأشياء كثيرة غامضة يفترق بها المعنى في الذهن عن المعنى ، وتكون له النفس بها حياة لا تكون لغيره⁽¹⁾

لا يمكن للصورة الشعرية أن تحرك النفس والشعور إلا إذا كانت السمة المشتركة متحققة بين شيئين مختلفين ، يقول الجرجاني : (وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيين كلما كان أشد كانت النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب⁽²⁾) الشعر العذب الذي يخلب الأسماع، ويفتن العقول، ويأخذ بمجامع القلوب هو الشعر الذي يحفل بالصور التي تُشكّل نواة القصيدة والمنتزعة من مخيلة الشاعر، فالشاعر المقتدر المدرك لخصائص شعره وفنونه عادة يتسم شعره بجزالة اللفظ، وحسن الديباجة ولطافة التخيل، ودقة المعاني، وهو الشاعر الذي تدمعُ قصائد شعره الرقيق في ثنايا كل نفس، وتتردد معاني أبياته العذبة على كل لسان.

في حين أن الأشعار الفاقدة للصور البديعية تُؤاد في المهمل ويعمها الظلام وينشغل عنها الناس. ولأجل ذلك أصبحت الصورة الفنية هي جوهر العمل الفني، وربما أساس الحكم عليه أو له⁽³⁾.

لقد اهتم النقاد منذ القديم بالصورة وبيّنوا آراءهم فيها، وإن اقتضت تلك الآراء والجهود في بدايتها على جانب من جوانب الصورة الفنية ونعني به الجانب البلاغي⁽⁴⁾. إلا أن مفهوم الصورة اتسع في هذا العصر لتحتوي على ما هو أبعد من الوسائل البلاغية المعروفة. كما أن الدراسات المتخصصة في الصورة وعناصرها قد تعدّدت وتنوعت في الدراسات التي تشير إلى جذورها كما هو الحال عند علي البطل⁽⁵⁾. ومنها ما تقوم بتتبع عناصرها البلاغية عبر التراث وذلك الذي اهتدى إليه جابر عصفور⁽⁶⁾. ومن قصر دراساته للصورة على التغيير الحسي، والاستعمال الاستعاري للكلمات⁽⁷⁾. في حين نجد من تخصص في دراسة الصورة البيانية عبد القاهر الجرجاني⁽⁸⁾ وغيرها من الدراسات. ولعلّ هذا التعدّد في النظر إلى الصورة أدى إلى صعوبة إيجاد تعريف شامل لها، ولا تكمن هذه الصعوبة فقط في تعدّد الزوايا التي يُنظر منها إلى الصورة فقط، بل كذلك إلى تلك الأوصاف والمصطلحات التي صاحبها ، فمن النقاد من يصفها بأنها شعرية، ومنهم من يصفها بأنها أدبية، ومنهم من يصفها بأنها فنية علماً بأنّ كلّ هذه الأوصاف تكون في دراسة الشعر⁽⁹⁾. ولعلّ هذا التعدّد في الوصف الذي لازم الصورة جعل بعضهم يرى بأنّ ((الوصول لمعنى الصورة ليس باليسير الهين ولا السهل اللين، ومن قال غير ذلك فقد احتجبت عنه أسرار اللغة وجمالها المكون المستتر، وروحها المتجدّدة النامية وليس لها - كما عند المناطقة - حدود جامعة ولا قيود مانعة⁽¹⁰⁾

يقول نايف خرما: (لا شك في أنّ اللغة تستعمل أيضاً للتعبير عن المشاعر المختلفة من سعادة وفرح وحزن وغضب واستياء ، ويتراوح مستوى التعبير عن تلك الأحاسيس من التصغير أو الغناء دلالة على

الفرح والسعادة أو الشتم والتجديف دلالة على الغضب¹¹.

وعليه فإن اللغة عنصر مهم لتمييز شريحة عن أخرى، أي يمكن للفرد تمييز لغة المثقفين عن لغة الأميين ولغة المدرسين عن لغة القضاة عن لغة الأطباء، ولغة أهل المدينة عن لغة أهل الريف، وكل فرد لديه لغة تميّزه عن الآخر.

أنواع الصورة الفنية في نقائض جرير:

تعدُّ الصورة عنصراً بنائياً فاعلاً في لغة الشعر ، يقول جودت عاطف نصر: (وهي تشكيلة جمالية ينسجها خيال الشاعر المبدع من معطيات ذاتية وموضوعية، مستغلاً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والمجاز والحقيقة والتكيب والرمز والإيحاء وغيرها من وسائل الأداء الفني، فتثير إحساساً خاصاً لدى المتلقّي، لا من حيث نقل الاستجابة الانفعالية للشاعر فحسب، بل تنقل التداخل الوثيق بين الشكل الفني والمضمون الفكري حتى تظهر الصورة كنوع من التناسق الدينامي، او التوافق الجدلي بين المعنى والرمز)¹².

لقد استحوذ شعر النقائض على قدر كبير من جهد جرير وإبداعه الفني، وقد تميّز هذا اللون الشعري بقيمة فنية وأدبية جعلته يُحظى باهتمام النُّقاد قديماً وحديثاً. إلا أنّ النزعة اللغوية وشرح المضامين صرف هؤلاء النُّقاد إلا نادراً عن استنطاق بُنى النقائض الفنية والغوص في صورها الشعرية¹³.

المحور الأول:

التشبيه في نقائض جرير:

ينبغي التذكير بأنه لا يستغني شاعر يمتلك الإحساس المرهف ، والمشاعر الفيّاضة عن الصور الفنية التي يوشّي بها قصائده، ويرصّع بها أبياته. وهذه الصور تقوم على الخيال، وبقدر ما يبدع في إيصال هذه المعاني إلى المتلقي في أبهى الحُلل لتقع في نفسه موقعها المؤثّر الذي لا يتأتى فيما لو أتت المعاني مجردة من الخيال. ومصطلح الصورة هو: (ما يدركه المتأمل في المعاني من فوارق دقيقة وشفيفة بين هيئاتها وأشكالها، وشيئاتها وملاحمها. وأشياء كثيرة غامضة يفترق بها المعنى في الذهن عن المعنى، وتكون له في النفس بها حياة لا تكون لغيره¹⁴).

المتنبع لنقائض جرير مع الأخطل يجد للصورة الفنية حضورها الذي لا بأس به، لكن هذا الحضور ليس على ذلك القدر المتوقّع لو أنّ القصائد كانت في غرض الوصف، أو من شاعر يتحدّث عن الطبيعة وما فيها من جبال وأنهار وأشجار وجداول¹⁵.

تقوم طبيعة النقائض على غرضي الفخر والهجاء، وربما كانت الصور الفنية شحيحة بحكم طبيعة المعاني، في هذين الغرضين الشعريين، لكن مع ذلك هنالك صوراً فنية أبدع جرير في اختيارها من تشبيهات واستعارات وكنايات أو غير ذلك، والتشبيه هو: (دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)¹⁶ وابن رشيق في العمدة عرّفه بأنّه (صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مُناسبةً كُليّةً لكان إيّاه)¹⁷.

ومن التشبيه في نقض جرير شعر الأخطل قوله:

رَاحَتْ حُرْمَةُ بِالْجِيَادِ كَأَنَّهَا * عِقْبَانُ مُدَجِّنَةٍ نَقَضْنَ طِلَالاً¹⁸

فقد شبه جرير جواد المهزّم وابن الحُبَاب في هيجانها وجلبتها وإقدامها في المعركة بالعقبان التي تنفض الطلّ في يوم غائم.

وقال جرير:

وَكَانَ عَافِيَةَ النُّسُورِ عَلَيْهِمْ ** حَجَّ بِأَسْفَلِ ذِي الْمَجَازِ نُزُولٌ¹⁹

حيث شبه جرير اجتماع النُسُورِ الكثيرة على جُثِّ التَّغْلِبِيِّينَ في أرض المعركة، باجتماع الحجيج المهول حين ينزلون في سوق ذي المجاز.

وقال جرير:

وَكَانَ تَغْلِبَ يَوْمَ لَاقَتْ حَيْلَنَا ** حَرْبَانُ ذِي حُسْمٍ لَقَيْنَ صُفُورًا²⁰

شبهه ملاقاته تغلب لخيل القيسيين وفرسانهم- تلك الملاقاة التي انطوت على ضعفٍ وخورٍ وهزيمةٍ في تغلب- بملاقاة ذكور الحُبَارَى للصفور في وادي ذي حُسم.

وقال جرير:

نَفَصَتْ بِأَسْحَمَ لِلْمِرَاحِ شَلِيلَهَا ** نَفَصَ النَّعَامَةَ زَفَّهَا الْمَمْطُورًا²¹

في سياق ذكر جرير في مقدمته الطللية للرَّوَّاحِلِ التي تحمل الطاعنين فإنه يُشَبِّهُ نَفْصَ النَّاقَةِ بِذَنْبِهَا لما يوضع على عجزها من صوف أو شعر أثناء لعبها بنفص النابغة لريشها المبلل من المطر والتشبيه بليغ صورة (المفعول المطلق)

وقال جرير:

إِذَا الْأَفْقُ الْغَرْبِيُّ أَمَسَى كَأَنَّهُ ** سَلَا فَرَسٍ شَقْرَاءَ مُكْتَتِبِ الْعَصَبِ²²

يُشَبِّهُه جَرِيرُ الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ فِي حَمْرَتِهِ بِسَلَا الْفَرَسِ الْأَحْمَرِ، وَهَذِهِ الْحَمْرَةُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ بِهَا جَرِيرٌ عَنِ خَلْوِ السَّمَاءِ مِنَ السَّحَابِ الْأَمْرِ الَّذِي يَنْذِرُ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَالْجَفَافِ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ بَاقُونَ عَلَى كَرَمِهِمْ.

ومن جميل ما قيل في التشبيه قول جرير في ردّه على الأخطل:

سَرَى نَحْوَكُمْ لَيْلٌ كَأَنَّ نُجُومَهُ ** قَنَادِيلَ فِيهِنَّ الذُّبَالُ الْمُفْتَلُّ²³

جرير يُشَبِّهُه كَثْرَةَ جَيْشِ قَوْمِهِ بِاللَّيْلِ لِأَنَّهُ حَجَبَ الرُّؤْيَةَ عَنِ الْآخِرِ كَمَا يَحْجُبُ اللَّيْلُ الرُّؤْيَةَ بِظُلَامِهِ، وَشَبَّهَ لَمْعَانَ سِيُوفِ الْجُنْدِ بِالنُّجُومِ وَالْقَنَادِيلِ الْمَشْتَعِلَةَ الذُّبَالِ- أَيِ الْفَتِيلِ- (فجرير قد جمع بين عين ناقدة تقع على وجوه النقص من أول نظرة، وتهتدي إلى مواضع السخرية، اهتداء المغنطيس إلى دقائق الحديد المنتشرة⁽²⁴⁾). لقد وَهَبَ جَرِيرٌ حَسًّا لَفْظِيًّا وَخِيَالًا رَائِعًا، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ خَاصَّةً فِي صُورَتِهِ السَّاخِرَةِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ خِيَالِ خُصْبٍ وَذِكَايَ نَفَاذِ مِدِّ الشَّاعِرِ بِالصُّورِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَشَدُّ إِلَيْهَا الْأَنْظَارُ، مِثْلَ قَوْلِهِ:

وَجَدْنَا بَيْتَ صَبَّةٍ فِي مَعْدٍ ** كَبَيْتِ الصَّبِّ لَيْسَ لَهُ سَوَارِي⁽²⁵⁾

جرير عمد إلى هذا التشبيه المكاني للتكبير بخصومه، فهو جعل بيتهم ملتصقاً بالأرض لا ترفعه سوارى ولا دعائم، كبيت الصَّبِّ الذي هو عبارة عن نفق محفور في الأرض لا يرى له ظل، ولعلّ مثل هذا التشبيه ينم على دقة ملاحظة الشاعر، وخياله الخصب الواسع الذي يميزه عن باقي أقرانه. ويصوّر جرير تباطؤ مجاشع في نصرة الزبير بن العوام مشبهاً إياهم ببغل أثقل المتاع كاهله في المشي، يقول:

قَتَلُوا الزُّبَيْرَ وَقَبِلَ إِنْ مَجَاشِعًا ** شَهْدُوا بِجَمْعِ صَبَاطِرٍ عُرْلَانٍ

مَنْ كُلُّ مُتَّفَخِ الْوَرِيدِ كَأَنَّهُ ** بَغْلٌ تَقَاعَسَ فَوْقَهُ خَرَجَانٍ⁽²⁶⁾

كما يصور الفرزدق وقومه بالضباع الخائنة التي لا تبادر لنصرة المظلوم بقدر مبادرتها إلى الفرار إلى جحورها خوفاً من بطش الأعداء، أو إيهاً الآخر بأنها لم تكن على علم بما يجري للزبير، يقول:

تَرَاغَيْتُمْ يَوْمَ الزَّبِيرِ كَأَنَّكُمْ * * ضِبَاعُ مَعَارَاتٍ يُبَادِرْنَ أَجْحُرَا⁽²⁷⁾

ومن قبيح الصور في المعنى ذاته يقول:

لَا تَذْكُرُوا حُلَّ الْمُلُوكِ فَإِنَّكُمْ * * بَعْدَ الزَّبِيرِ كَحَائِضٍ لَمْ تَغْسِلِ⁽²⁸⁾

قال جرير يهجو سراقَةَ البارقي:

يَا آلَ بَارِقٍ لَوْ تَقَدَّمَ نَاصِحٌ * * لِلْبَارِقِيِّ فَإِنَّهُ مَغْرُورٌ

كَالسَامِرِيِّ عَدَاةً صَلَّى بِقَوْمِهِ * * وَالْعَجَلُ يَعْكَفُ حَوْلَهُ وَيَخُورُ⁽²⁹⁾

جرير يتعمد التشبيه في تصويره لسراقَةَ البارقي، فيبدو المهجو كالسامري الذي كان سبباً في ضلال قوم موسى، ويعتمد جرير إلى استخدام حرف الكاف في رسم صورته، ولقد اعتمد جرير في رسم صورته التشبيهية على لغة في غاية القوة والمتانة والجزالة، إذ اختار ألفاظاً ذات بنية صارمة في أصواتها وصفاتها ومخارجها. واعتمد على المسميات الحيوانية والدواب والمهن المنبوذة في عهده ومسميات القبح والرذيلة، وحشد مفردات المكروهات في الدين وعرف المجتمع والقبيلة والنسب وما شاكلها، ومن ذلك وصف الفرزدق بأنه قين - أي حداد- وكانت حرفة الحدادة من الحرف المنبوذة في ذلك العصر، يقول:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لَا قَيْنَ مِثْلَهُ * * لِطَفْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِحُدْلِ الْأَدَاهِمِ⁽³⁰⁾

ولمّا كان جرير يقدم لنقائضه مقدمات يقف فيها على الأطلال والربيع ويستفهم أو يسلم أو يدعو أو يعاتب ... فإن الصورة التشبيهية تتغير معانيها، وترقى ألفاظها فتظهر المرأة عندها في ثوب مخالف. فالمرأة في مقدمات جرير غنية شريفة ذات حسب ونسب، تقوم الخيل على حراستها وحمائتها، وهي متمنعة عفيفة. وفي مقدماته يبث أشواقه وهواه، كما يكثر من ذكر الأماكن التي لها دلالة على الحنين والشوق، وفي مقدمة نقيضته التي يرد فيها على غسان بن هذيل مُظهراً شوقه وحنينه يقول:

أَلَا حَيَّ أَطْلَالَ الرُّسُومِ الدَّوَارِسِ * * وَآرِي امهَادٍ وَمَوْقَدَ قَابِسِ

وَأَصْبَحْتَ مِنْ هِنْدٍ عَلَى قُرْبٍ دَارِهَا * * أَخَا الْيَاسِ أَوْ رَاجٍ قَلِيلاً كَأَيْسِ⁽³¹⁾

فالشاعر يظهر حنينه وشوقه للقاء المحبوبة، فعلى الرغم من قرب دارها منه، إلا أنّ رؤيتها مستحيلة، كاستحالة الأيس من عودة الحيض والخصب.

ويقول في رده على البعيث المجاشعي:

لِمَنْ طَلَّلَ هَاجَ الْفُؤَادِ الْمُتَيِّمِ * * وَهَمَّ بِسَلْمَانِينَ أَنْ يَتَكَلَّمَ

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيْشُ حَمَامَةٍ * * مَحَاها الْبَلَى فَاسْتَعْجَمْتُ أَنْ تَكَلَّمَ⁽³²⁾

يقف جرير عند رسوم يذكر المحبوب، ويظهر تحوّرها كأنّها ريش حمام اختلف لونها بسبب ما أصابها من تغير وتحول. ومن صور التشبيه التي تصدّرت مقامات نقائض جرير قوله يردّ على الفرزدق:

لِمَنْ الدِّيَارِ كَأَنَّهَا لَمْ تُحَلَّلِ * * بَيْنَ الْكَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْرَلِ

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْمَطِيَّ حَوَاضِعُ * * وَكَأَنَّهِنَّ قَطَا فَلَآةٍ مَجْهَلِ

يُسْقِيْنَ بِالْأَدْمَى فِرَاحَ تَنُوفَةٍ * * زُغْبًا حَوَاجِبَهُنَّ حُمَرَ الْحَوَاصِلِ⁽³³⁾

جرير يظهر خضوعه واستسلامه وهو يذكر المحبوب كأنه قطا فلاة يبادر إلى فراخه بالماء. ويقول في مقدمة نقيضته التي يرثي فيها زوجه (ام حرزة) (ويردُّ فيها على الفرزدق:

وَلَهَبَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَّنِي كَرَّةً ** وذو التمام من بَيْبِكَ صَعَارُ
أرعى النجوم وقد مضت عورِيَّةً ** عَصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهِنَّ صَوَارُ³⁴

يتجسّد مدى حزن الشاعر من خلال مخاطبته زوجه (ام حرزة) كأنها ما زالت على قيد الحياة، ويتعمّق هذا الحزن ويتبيّن عظمه حين يشير إلى أثر موتها على اولادها الصغار (ذو التمام) الذين ما زالوا في امس الحاجة إليها، ولا شك أنّ هذه الصورة تثير الشفقة في نفس المتلقّي، أما حال جرير فليس بأفضل من حال اولاده، فهو لم تعد تعرف جفونه للنوم مذاقاً بسبب حزنه، ويتبين ذلك من خلال الصورة التشبيهية للنجوم التي ظلّ يراقبها وهي تأخذة نحو الغروب والسقوط كأنها قطيع من بقر الوحش. ويقول في هجاء عياش بن الزبرقان والفرزدق:

إذا ما مشيت لم تتنهي وتأودت ** كما أناد من حَيْلٍ وَجٍ غير مُنْعَلٍ
لها مثل لون الورد في لَيْلَةِ الدُّجَى ** وريح الخزامى في دماثٍ ومُسَيْلٍ⁽³⁵⁾

يقف الشاعر عند هيئة المحبوبة فهي متاودة في مشيتها متناقلة من سمنتها ونعيمها كمشي فرس يسير وهو وح -حافٍ-، فهو يمشي ويتقي لا يطاء على قدميه وطءً شديداً يخشى أثر الحصى، ولعلّ تكرار حرف التاء خمس مرات في صدر البيت الاول فضاءً عن مفردة (أناد) التي تشتمل على حرف المدّ، يعطينا الحق في هذا التصوّر عن مشية متناقلة، وينتقل الشاعر إلى صورة تشبيهية ثانية يقف فيها عند وجه المحبوب، فيشبهه بالبدر المضي الذي يشعّ وسط الظلام الدامس تنبعث منه روائح زكية ناعمة.

المحور الثاني:

الاستعارة في نقائص جرير:

عرّف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله: (الاستعارة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع له، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر ذلك الاصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة⁽³⁶⁾ وقد اختلف النقاد في نظرهم للاستعارة، فمنهم من رأى أنها تشبيه متطور ويُرَاد منها «إدعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه»³⁷. ومنهم من رأى أنها الطرف المقابل للحقيقة فقال هي: (نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض⁽³⁸⁾). كما أنّ الاستعارة تجسيد للأشياء المحسوسة في أشياء معقولة³⁹، لينفذ في ذهن المتلقّي ويرسخ في مخيلته، كما وقف النقاد المحذون طويلاً عند الاستعارة، ونظروا إليها بنظرة جديدة ناقشوا خلالها آراء القدامى مناقشة تخلص إلى إبراز فهم مختلف للاستعارة. ومن هؤلاء جابر عصفور الذي ناقش رأي عبد القاهر الجرجاني في الاستعارة فقال: (ولا يجول بخاطر عبد القاهر أنّ المعنى الذي نحصله من الاستعارة ليس هو المعنى الأصلي المزعوم وغنما هو معنى جديد نبع من تفاعل كلا الطرفين اللذين يكونان الاستعارة⁽⁴⁰⁾)، ويقول صالح محمد حسن: (إنّ كل طرف من طري الاستعارة يفقد شيئاً من معناه الأصلي، ويكتسب معنىً جديداً نتيجة تفاعله مع الطرف الآخر داخل سياق الاستعارة، الذي يتفاعل بدوره مع السياق الكامل للعمل الشعري أو الأدبي⁽⁴¹⁾). ومن شواهد الاستعارة في شعر جرير الذي نقض به شعر الأخطل قوله:

إنّ الهدْيَلْ بذِي بهري تَدَارِكُهُ ** ليث إذا شدّ من عادته الظَّفَرُ⁽⁴²⁾

شبهه جرير الرجل الشجاع بالليث، ثم تناسى التشبيه، واعتبر أن هذا الرجل الشجاع من جنس الليوث في الشجاعة والإقدام والقوة، ثم حذف لفظ المشبهه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. وفي صورة استعارية أخرى يصور جرير لؤم بني غير، فيظهره لؤماً لصيقاً بكبار القوم فيهم وبفقهائهم لكنهم يحاولون تغطيته بمظهرهم الزائف، بلبسهم العمائم ليظهروا بمظهر الوقار والرفعة بينما يخفون اللؤم تحتها فيقول في صورة الاستعارة الممكنية:

تَغَطَّى غَيْرٌ بِالْعَمَائِمِ لَوْمَهَا ** وَكَيْفَ يُغَطِّي اللُّؤْمُ طَيَّ الْعَمَائِمِ (43)

وقوله في هجاء الأخطل:

يَا حَزْرَ تَغَلَّبَ إِنَّ اللُّؤْمَ حَالِفُكُمْ ** مَا دَامَ فِي مَارِدِينَ الزَّيْتِ يَعْتَصِرُ

تَسْرَبَلُوا اللُّؤْمَ خَلْفًا مِنْ جُلُودِهِمْ ** ثُمَّ ارْتَدُّوا بِثِيَابِ اللُّؤْمِ وَأَتَزَرُّو (44)

اعتمد جرير في تشكيل صورته على التجسيد حيث أصبح اللؤم ثوباً يلبسه الأخطل، فهو ما التصق به مثلما يلتصق الثوب بالجلد، كما اعتمد إلى جانب التجسيد على التشخيص، يقول مخاطباً الأخطل:

هَلَا سَأَلْتَ غَنَاءَ دَجَلَةَ عَنْكُمْ ** وَالْحَمَمَاتُ تَجْمَعُ الأَوْصَالَ (45)

فالملاحظ أن دجلة غدت إنساناً يخبر المهجو بما يسوء ويكره، فإلحاق الأذى والعار واقع بالأخطل وقومه في الحرب على رؤوس الأشهاد، ويشهد بذلك تمزيق الضباع بقايا أجسادهم وأكل لحوم موتاهم. ولجرير ابتكارات تصويرية في هجائه يتسع الخيال فيها إلى الماضي البعيد.

يقول جرير لأمماً بني تميم:

مِنَ الأَصْلَابِ يَنْزِلُ لَوْمٌ غَيْمٍ ** وَفِي الأَرْحَامِ يُخْلَقُ وَالمَشِيمِ (46)

حقاً إنها صورة عجيبة لها تأثير مؤلم في نفس المهجو، فجرير يصور رسوخ اللؤم في الأصل الإنساني لهؤلاء القوم جميعاً، بل أكثر من ذلك، فإن اللؤم مستقر في أرحام نساءهم ونطف رجالهم. فإن خير ما تلده المرأة التميمية هو أن تلد لثيماً. ومن مظاهر لؤم بني مجاشع في نظر جرير الذي استجارهم -بحسب إدعاء جرير- ولم يجيروه فتركوه للقاء مصيره الذي حزننت له الانفس، ودمعت له الأعين فتجاوز هذا الحزن الإنسان ليصل إلى الطير يقول في ردّه على الفرزدق:

إِذَا طَرَبَ الحَمَامُ حَمَامٌ نَجِدِ ** نَعَى جَارِ الأَقَارِعِ وَالحَتَاتِ

إِذَا مَا اللَّيْلِ هَاجَ صَدَى حَزِينًا ** بَكَى جَزَعًا عَلَيْهِ إِلَى المَمَاتِ (47)

جرير يصور الحادثة العظيمة المتمثلة في مقتل الزبير وكيف تخلت عنه بني مجاشع حتى أن الحمام لم يعد يطرب كما جرت العادة، بل أن طربه أصبح نعيًا كما يعني الإنسان الحي الميت على سبيل الاستعارة الممكنية، وفي البيت الثاني صور الليل في صورة الإنسان الذي يهيج ويحزن ويبيكي على مقتل الزبير، فالليل عنده إنساناً إلا أن الشاعر حذف المشبه به (الإنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو البكاء والحزن على سبيل الاستعارة الممكنية. ويقول جرير مجيباً جفنة الهزاني:

عَوَى عَبْدٌ هَزَانٌ فَقَدْ هَوَى ** مَنِ السَّحْقِ لَمْ تَلْحَقْ يَدَاهُ مِسْلَمٌ (48)

فجرير اعتاد على إلحاق خصومه بفتة الحيوانات التي يضرب بها المثل في اللؤم والغدر والجبن وغيرها من الصفات الدنيئة، فجرير حذف لفظ المشبه به (الذئب) ورمز إليه بشيء من لوازمه ((العواء))

على سبيل الاستعارة المكنية. ويجيب البعيث المجاشعي قائلاً:

وعاؤ عوى من غير شيء رميته * * بِقَارَعَةٍ أَنْفَادُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَ⁽⁴⁹⁾

يشبهه جرير البعيث بالذئب العاوي بسبب ما أصابه من أذى ، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ((العواء)) على سبيل الاستعارة المكنية. ولم يكن الأذى الذي أصاب البعيث سوى قوائد جرير الموجهة التي تنفذ في الأحشاء كما ينفذ السيف، فهو بذلك يشبهه نقائضه بالسيف الحاد ثم حذف لفظ المشبه به ((السيف)) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ((النفاذ وتقطر الدم)) على سبيل الاستعارة المكنية. يقول جرير في هجاء الاخطل وقومه:

تَبَعُوا الضَّلَالَةَ نَاكِبِينَ عَلَى الْهَدَى * * وَالتَّغْلِبِي عَمَى الْفَوَادِ ضُلُومًا⁽⁵⁰⁾

يشبهه جرير الضلالة بالإنسان، ثم حذف لفظ المشبه به ((الإنسان)) ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

من جميل الاستعارات التصريحية التي حفلت بها نقائض جرير والاطخل قوله:

كَانَتْ وَقَائِعُ قَلْنَا: لَنْ تُرَى أَبَدًا * * مِنْ تَغْلِبٍ بَعْدَهَا عَيْنٌ وَلَا أْتَرُ
حَتَّى سَمِعْتَ بِخَنْزِيرٍ صَفَا جَزَعًا * * فَقُلْتَ إِيَّيْ أَرَى الْأُمُوتَ قَدْ نُشِرُوا⁽⁵¹⁾

جرير يشبه الاخطل بالخنزير بجامع فُحِب الصوت، ثم تناسى التشبيه واعتبر الاخطل جنس الخنازير شكلاً وقذارة وقبحاً في إصداره للأصوات، ثم اطلق على المشبه لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

ويقول في التيم:

وَإِذَا بَدَتِ الْأَهْلَةُ يَا ابْنَ تَيْمٍ * * غُمِمَتْ فَمَا بَدَتْ مِنَ الْغُمُومِ
لَنَا الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَكُلُّ نَجْمٍ * * وَفِيمِ التَّيْمِ مِنْ طَلَبِ النُّجُومِ⁽⁵²⁾

يفتخر جرير بمكانته ومكانة أهله، فهم كالأهلة رفعةً وضياءً، إلا أنه حذف المشبه ((الشاعر وقومه))، وصرح بلفظ المشبه به وهو الاهلة والنجوم على سبيل الاستعارة التصريحية. إن هذه الألفاظ والتراكيب التي حملها جرير نقائضه، واستخدمها في رسم صورة جعلت منه شاعراً مفلحاً وجعلت من شعره سمّاً له أثره البالغ في نفس المهجو، ولقد ادرك جرير هذه القدرات الفنية التي يملكها ووظفها في نقائضه، فهو يجسد في شعره صورة الشراب المر يسقيه الشعراء، ويذيقهم مرارته على سبيل الاستعارة التصريحية.

في نقيضة جرير للأخطل حفلت بجميل صور الاستعارة الغزلية، يقول:

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعْتَ مَا بَانَ * * وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا⁽⁵³⁾

إلى أن يقول:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ * * قَتَلَنَّا نَمَّ لَمْ يُحْيِيَنَّ قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ * * وَهَنَّ أضعفَ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا⁽⁵⁴⁾

جاءت الاستعارة في سياق الصورة الجمالية على الرغم من مشهد القتل، إذ استعار من الإنسان صفة القتل وأضافها على العيون في سعتها وشدّة سوادها، ثم طوّر هذه الصورة ثانيةً فاستعار من الإنسان قوته الخارقة ومنحها العيون التي جعلها تصارع العقلاء والحكماء، وقد غلبت صفة التقابل على هذا الرسم

والمتمثلة في لفظتي ((قتلنا - يصرعن)) و((لم يحيين قتلنا - لا حراك به)).

ويقول في مطلع نقيضته للفرزدق والبعيث:

وأقرضت ليلي الودَّ ثمَّ لم تُردِّ * * لتُجزِي قرضي والقرُوضُ ودائعٌ⁽⁵⁵⁾

لقد أحسن جرير في وصفه لبخل المرأة وإخلافها للوعد وتمنعها الذي يدل على عفتها وشرها، فهو يقول أنه أقرض ليلي حباً ووداً مثل الدّين، والدّين لا بد أن يؤدي، إلا أن ليلي لم تُرد أن تُردّه، فعمد جرير إلى تشبيه الود الذي يجمعه بالمحبوب بالدين، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ((القرض)) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول في مطلع نقيضته التي يردُّ فيها على الفرزدق:

لَمَنْ الدَّيَارَ كَأَنَّهَا لم تُحَلَّلِ * * بين الكُنَّاسِ وبين طلع الأغرل
ولقد أدّى بك والجديد إلى بلي * * موتُ الهوى وشفاءُ عين المجتلي⁽⁵⁶⁾

الاستعارة هنا في عبارة ((موت الهوى)) وهي استعارة مكنية حيث أضفى على الهوى صفة الكائن الحي الذي مصيره إلى الموت.

من استعاراته المكنية كذلك قوله رداً على الاخطل:

أحياءُهم شرُّ أحياءِ وألأمهُ * * والأرض تلفظ موتاهم إذا قُبروا⁽⁵⁷⁾

في هذا البيت شبه جرير الأرض بالكائن الحي فذكر المشبه ((الأرض)) وحذف المشبه به ((الكائن الحي)) ورمز إليه بشيء من لوازمه ((اللفظ - أي الرفض)) على سبيل الاستعارة المكنية. وقال جرير:

وَرَأَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا قَدْ أَقْصَرَتْ * * بَعْدَ الدَّمِيمِ، وَمَلَّتِ الرَّحَالَ⁽⁵⁸⁾

شبه جرير الصبا بجهة من جهات المسير، فذكر المشبه ((الصبا)) وحذف المشبه به ((جهة من جهات المسير))، ورمز إليه بشيء من لوازمه ((الراحلة)) على سبيل الاستعارة المكنية وكما يقول أحمد الهاشمي: ((للاستعارة أجمل وقع في الكتابة، لأنها تجدي الكلام قوةً، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الالهواء والاحساسات))⁵⁹.

المحور الثالث:

الكناية في نقائص جرير:

الكناية هي: ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ لموضوع له في اللغة، ولكن يجي إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه))⁽⁶⁰⁾ يمكن القول أن الكناية: ((اللفظ أطلق أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ))⁽⁶¹⁾. يلحظ الباحث أن الادباء يعتمدون الكناية في تعابيرهم لأنها تنمق وتزيّن ضروب التعبير لديهم، وكان جرير من السباقين إلى استغلال قدراته الفنية ومن كناياته في رده على الاخطل قوله:

الظاعنون على العمياء إن طعنوا * * والسائلون بظهر الغيب ما الخبر⁽⁶²⁾

في البيت كناية عن صفة تخلف المهجويين وهو يقصد آل تغلب وهوانهم على الناس، إذ لا يستشار بهم ولا يؤخذ برأيهم بل لا يسمح لهم حضور مننديات الأعيان حيث يقضي القوم هناك أمورهم دون أن يعرف الأخطل وقومه منها شيئاً.

كذلك يقول جرير:

تَدَفُّ الوُفُودُ وَتَغْلِبُ مَنَفِيَةٌ ** خَلَفَ الزَّوَامِلِ وَالْعَوَاتِقِ مَيْلٌ⁽⁶³⁾

في البيت كناية عن صفة انحطاط التغلبيين بين الناس، فهو أحقهم بالأجراء بل بأبناء الإماء الذين لا يحسنون إلا الخدمة وحمل الأثقال، لذلك ترى عواتقهن مائلات من الحمل لأنهن أجيرات، ويقول:

ينام التغلبيُّ وما يصليُّ ** وَيُضْحِي غيرَ مرتفعِ الوَسَادِ⁽⁶⁴⁾

في البيت كناية عن صفة فقر الاخطل وسوء معيشته بان يتوسد حجراً أو تراباً، إذ أن من مظاهر النعمة والترف أن ينام الإنسان على الفراش المريح المرتفع الوساد. ويقول:

وَلَوْ ظَهَرَهُمُ الأَسِنَّةُ وَالقَنَا ** قَبْحاً لَتَلَكَّ عَوَاتِقاً وَظُهُوراً⁶⁵

جرير يكتني عن صفة الجبن والخوف بقوله ((ولو ظهورهم)) وتلك علامة الجبان الذي يولي ظهره خائفاً يوم الزحف، يوم يلتقي الجمان. وهي صفة حذر منها الله ورسوله حيث قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَاً فَلَا تُولُوهُمُ الأَدْبَارَ) (15) وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمِئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّراً إِلَى فِتْنَةٍ فَغَدَّ بَاءً بَعْضٌ مِّنَ اللّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ المَصِيرُ (16)))⁶⁶

قال جرير:

والأَكِلُونَ خَبِيثَ الرِّادِ وَحَدَهُمُ ** والنَّازِلُونَ إِذَا وَاارَاهُمُ الخمرُ⁽⁶⁷⁾

يكتني جرير عن صفة ذميمة عند التغلبيين، وهي صفة البخل الشديد عندما يتخفون وراء الأشجار الكثيفة حتى لا يراهم أحد، ويأكلون وحدهم ما يناسب طباعهم القبيحة من لحم الخنازير.

قال جرير مخاطباً الراعي النميري:

إِذَا حَلَّتْ نِسَاءُ بني مُمَيْرٍ ** على تِبرَاكٍ حَبَّتِ التُّرَابَا⁽⁶⁸⁾

في قوله ((حَبَّتِ التُّرَابَا)) كناية عن صفة الدنس وعدم الطهارة، فجرير ألحق الدنس وقلة النظافة بالمرأة وذلك لعلمه أن النساء يحرصن على الظهور بمظهر جميل نظيف، إلا أن هذا الطبع يندم في نساء بني غير، بل أنهم أينما جلسن وقمن انتشرت وفاحت النتانة، وينتقل في موطن آخر من النص إلى عموم بني نمير يقول:

ولو وُزِنَتْ حُلُومُ بني مُمَيْرٍ ** على الميزانِ ما وَزَنَتْ دُبَابَا⁽⁶⁹⁾

صورة الكناية تختص بعموم بني نمير نساءً ورجالاً، فهم جميعاً ضعاف العقول لا حلم لهم، بل أن هذا الضعف تجاوز حدوداً لا تطاق، فأحلامهم جميعاً لا تزن ذبابة ((ما وزنت ذباب)) وهذه كناية عن خفة عقولهم وطيشها.

ينفرد جرير بالراعي النميري فيقول:

فَعَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمَيْرٍ ** فلا كَعْباً بَلَّغَتْ ولا كِلَابَا⁽⁷⁰⁾

في قوله ((فَعَضَّ الطَّرْفَ)) كناية عن صفة المهانة والذل الذي أصاب الراعي النميري وقبيلته ما جعله وقبيلته غير قادرين على رفع رؤوسهم في مواجهتهم للآخرين.

وكذلك يقول:

وتَغْلِبُ لا يُصَاهِرُهُمُ كَرِيمٌ ** ولا أحوال من ولدُوا كِرَامَ⁽⁷¹⁾

عبارة ((لا يصاهرهم كريم)) كناية عن النسب الحقير والوضاعة، فتغلب آل الأخطل لا يصاهرهم إلا حقير وبالتالي لا يلدون إلا حقيراً، ولا يكون من اخوالهم إلا ذو النسب الحقير.
لقد نال أم البعيث من لسان جرير ما نال أم الأخطل فهو يقول له وللفرزدق:
وقد فَوَسَّتْ أُمُّ الْبَعِيثِ وَأُكْرِهَتْ ** عَلَى الرَّفْرِ حَتَّى شَجَّتْهَا الْأَخْدُعُ
صَبُورَ عَلَى عَضِّ الْهُوَانِ إِذَا شَتَّتْ ** وَمُعْلِمٌ صَيْفٌ تَبْتَغِي مِنْ تَبَاضِعُ⁽⁷²⁾
كناية عن كثرة الامتهان خدمة لغيرها، يضاف إلى ذلك كثرة مضاجيعها حتى تقوس ظهرها من فعلها وانتفخت عروق جيدها.
ويقول رداً على الفرزدق:

رميت ابن ذي الكيرين حتى تَرَكْتُهُ ** فَعَوَدَ الْقَوَافِي ذَا غُلُوبٍ مَوْعَاً⁷³
ذو الكيرين كناية عن الفرزدق الذي كان يمتهن ووالده وجدّه الحدادة، و ((قعود القوافي)) كناية عن عجز الفرزدق وعدم قدرته على الردّ على نقائض جرير التي أثرت في جنبه كأثر العلوب وهي آثار الدبر في الظهر والجنب ويصور تنكر الحدراء ((زوج الفرزدق)) لزوجها والحرقة التي يمتنها، يقول:
حدراءُ أَنْكَرَتِ الْقَيْوُونَ وَرِيحَهُمْ ** وَالْحَرُّ يَمْنَعُ خِيْمَةَ الْإِنْكَارِ
لَمَّا رَأَتْ صَدَأَ الْحَدِيدِ بِجِلْدِهِ ** فَالْلُونُ أَوْرُقٌ وَالْبَنَانُ قِصَارُ⁽⁷⁴⁾
((اللون أورق)) كناية عن تغير لونه من البياض إلى الرمادي، لكثرة تعامله مع النار نفخاً للكبر وتقليباً للحديد حتى اعترى أصابعه تشوهاً من كثرة تعامله مع النار. وتلك صفة دنيئة لازمت الفرزدق، فجرير لم يتوان في تذكير الفرزدق بحرفة الحدادة.
يقول جرير:

لقد كنت يا ابن القين ذا خبرةٍ بكم ** وعوف بن قيس بكم كان أخبرا
فلا تَنْتَفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ ** وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبَّرَا⁽⁷⁵⁾
في البيتين كناية عن صفة غباوة القوم وعدم تقديرهم للأمور حق المعرفة، وربما جرير يريد أن يقول للفرزدق أنك وقومك قليلو الخبرة، وبالتالي لا تصلحون لقيادة الناس بل تصلحون فقط للقيانة وبرد السيوف وستّها، وهو بذلك يهدم فخر الفرزدق.
يقول جرير:

قَدْ أَطْلُبُ الْحَاجَةَ الْقُصَوَى فَأُدْرِكُهَا ** وَلَسْتُ لِلْجَارَةِ الدُّنْيَا بِزَوَّارٍ⁽⁷⁶⁾
الكناية في قوله ((لست للجارّة الدنيا بزوّار)) فهو يكتفي بذلك عن عفته وخلقه الحميد الذي يمنعه من الوقوع في الحرام، وهو يحرص كل الحرص على عرض جارته.
ويقول جرير رداً على الفرزدق بتهتكه وعربدته:

وما كان جر للفرزدق مسلم ** ليأمن قرداً ليلهُ غيرُ نائم
يوصلُ حبلِهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ** ليرقى إلى جاراته بالسلام⁽⁷⁷⁾

في البيتين كناية عن الغدر وهتك الأعراض والعريضة.

من الكنايات التي حملت صفات دنيئة قوله في الأخطل وقومه:

تسرَبَلُوا اللُّؤْمَ خَلْفًا مِنْ جُلُودِهِمْ ** ثُمَّ ارْتَدَّوْا بِثِيَابِ اللُّؤْمِ وَاتَّزَّرُوا⁽⁷⁸⁾

في البيت كناية عن نسبة حيث نسب اللؤم إلى جلود التغلبين وثيابهم، تسربلوا اللؤم- فهو أراد ان يخص التغلبين بهذه الصفة الذميمة، وان يثبتها لهم، وهذا هو الجمال الذي جاءت به هذه الصورة المتمثلة في الكناية إذ لو عبّر جرير عن هذه الخصلة التي عند التغلبين بصريح اللفظ ونسبها إليهم مباشرة لما ظهرت الصورة كما ينبغي، ولما كان لها ذلك الأثر الملحوظ والمعبر. قال جرير:

عُقْبَانُ الْمَنَايَا تَسْتَدِيرُ عَلَيْهِمْ ** وَشُعْتُ النَّوَاصِي لُجْمُهُنَّ تُصَلِّصُ⁽⁷⁹⁾

((شُعْتُ النَّوَاصِي)) كناية عن موصوف وهو الخيول التي تفرق شعر نواصيها بسبب شراسة المعركة

وضراوتها.

وقال جرير:

رُفِعَ الْمَطِيُّ بِكُلِّ أَشْعَثَ شَاحِبٍ ** خَلَقِ الْقَمِيصِ، تَخَالُهُ مُخْتَالًا⁽⁸⁰⁾

((أشعث شاحب)) كناية عن موصوف، وهو الراكب المجهد من طول المسير وتعب الرحيل حتى

تفرق شعر رأسه واعتراه الهزال في جسده، وتغيّر لون وجهه.

وقال:

إِنَّا لَنَبْلُو سُيُوفًا غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ ** فِي كُلِّ مُعْتَقِدِ التَّاجِينِ جَبَّارٍ⁽⁸¹⁾

((معتقد التاجين جبار)) كناية عن موصوف، وهم الملوك وأصحاب السلطان.

وقال:

عَايَنْتُ مُشْعَلَةَ الرَّعِيلِ كَأَنَّهَا ** طَيْرٌ تُبَادِرُ فِي شَمَامٍ وَكُورًا⁽⁸²⁾

((مشعلة الرعيل)) كناية عن خيول التغلبين المهزومة والمتفرقة وكأنها الطيور المسرعة إلى أوكارها

في الجبال . وكما يقول أحمد الهاشمي: ((الكناية من أطف أساليب البلاغة وأرقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم))⁽⁸³⁾.

الخاتمة :

الشعر عند جرير حافل بألوان الخيال ، وصنع الصورة الجديدة المبتكرة ، وربما يكاد يتفق البلاغيون والنقاد المعاصرون على أن إعطاء تعريف مستقر لمفهوم الصورة الشعرية أمر صعب ، ورغم الغموض الذي يكتنف مفهوم الصورة لكونه يستعمل بمعنى عام وواسع في بعض الأحيان فإن بعض المهتمين يميلون إلى قصر هذا المفهوم على الاستعارة والتشبيه .

وهناك من يوسع مفهوم الصورة الشعرية ليشمل كل المحسنات البديعية القائمة على عنصر المشابهة بين الطرفين كالتشبيه والاستعارة والمحسنات الأخرى كالكناية والمجاز بأنواعه ، والصورة هي أمر متعلق بالأدب وجماليات اللغة ، ولها دلالات مختلفة ، وترابطة متشابكة ، وقد ارتبط مفهوم الصورة بالإبداع الشعري وتعددت مفاهيمها بتعدد استعمالات المصطلح .

الهوامش:

- (1) أبو موسى ، محمد محمد أبو موسى ، دراسات في البلاغة والشعر ، ط1 ، مكتبة وهبة القاهرة ، 1411هـ ص69 .
- (2) الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، سرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني، القاهرة، 1412هـ ص99.
- (3) لطفي عبد الكريم، عناصر الإبداع الفني في نقائض جرير، رسالة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، 2016م، ص70.
- (4) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (5) البطل، علي البطل، الصورة في الشعر العربي، ط1، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1982م، ص5.
- (6) عصفور، جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1992م، ص323.
- (7) ناصف، مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ط1، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1958م، ص3.
- (8) الدهمان، أحمد علي الدهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1999م، ص40.
- (9) علاء أحمد عبد الرحيم، الصورة الفنية في قصيدة المدح بين سناء الملك والبهاء زهير - تحليل - نقد - موازنة، ط1، دار العلم والإيمان للنشر، كفر الشيخ، 2008م، ص32.
- (10) صبح، علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ط دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د.ت)، ص5..
- (11) خرما ، نايف خرمة ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978م ص175 .
- (12) نصر، عاطف جودت نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص262.
- (13) لطفي عبد الكريم، عناصر الإبداع الفني في نقائض جرير، ص72.
- (14) أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، دراسات في البلاغة والشعر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1411هـ ص69.
- (15) الزهراني، عبد الله عطية عبد الله الزهراني، أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1427هـ ص209.

(16) القزويني، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 1424هـ ص188.

(17) ابن رشيقي، العمدة، ج1، ص252.

(18) جرير، الديوان، ص452.

(19) المصدر نفسه، ص476.

(20) المصدر نفسه، ص292.

(21) المصدر نفسه، ص290.

(22) المصدر نفسه، ص58.

(23) جرير، الديوان، ص456.

(24) محمد محمد حسين، الهجاء والهاجؤون في صدر الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت)، ص194.

(25) جرير، الديوان، ص192.

(26) المصدر نفسه، ص571.

(27) جرير، الديوان، ص241.

(28) المصدر نفسه، ص445.

(29) المصدر نفسه، ص301 - 302.

(30) المصدر نفسه، ص558.

(31) جرير، الديوان، ص328.

(32) المصدر نفسه، ص542 - 543.

(33) المصدر نفسه، ص442 - 443.

(34) المصدر نفسه، ص199 - 200.

(35) جرير، الديوان، ص457 - 458.

(36) الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، سرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني،

- (37) الجلاجاني، علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الجلاجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، 2002م، ص24.
- (38) 38 العسكري، أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م، ص93.
- (39) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص13.
- (40) عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي، ص226.
- (41) صالح محمد حسن، الصورة الشعرية ومآذجها بين جرير والفرزدق، مجلة أبحاث كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد (9)، العدد (4)، ص244.
- (42) جرير، الديوان، ص259.
- (43) المصدر نفسه، ص525.
- (44) جرير، الديوان، ص263.
- (45) المصدر نفسه، ص451.
- (46) المصدر نفسه، ص529.
- (47) المصدر نفسه، ص84.
- (48) جرير، الديوان، ص509.
- (49) المصدر نفسه، ص544.
- (50) المصدر نفسه، ص474.
- (51) جرير، الديوان، ص260.
- (52) المصدر نفسه، ص528.
- (53) المصدر نفسه، ص593.
- (54) المصدر نفسه، ص595.
- (55) جرير، الديوان، ص367.

- (56) المصدر نفسه، 442 - 443.
- (57) المصدر نفسه، ص 261.
- (58) المصدر نفسه، ص 449.
- (59) الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، قرأه وضبطه وعَلَّق عليه محمد رضوان مهنا، ط 1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1420هـ - 1990م، ص 252.
- (60) الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط 3، دار المدني، 1413هـ، ص 66.
- (61) القزويني، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط 2، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، 1424هـ، ص 273.
- (62) جرير، الديوان، ص 260.
- (63) المصدر نفسه، ص 277.
- (64) جرير، الديوان، ص 146.
- (65) ابن المثنى، نقائص جرير والأخطل، ص 125.
- (66) سورة الأنفال، الآيات (15 - 16).
- (67) جرير، الديوان، ص 260.
- (68) المصدر نفسه، ص 74.
- (69) جرير، الديوان، ص 74.
- (70) المصدر نفسه، ص 75.
- (71) المصدر نفسه، ص 574.
- (72) المصدر نفسه، ص 371.
- (73) المصدر نفسه، ص 334.
- (74) جرير، الديوان، ص 202.
- (75) المصدر نفسه، ص 246.

الصورة الشعرية في نقائض جرير : (دراسة أدبية بلاغية)

- (76) المصدر نفسه، ص310.
- (77) المصدر نفسه، ص560.
- (78) المصدر نفسه، 263.
- (79) جرير، الديوان، ص456.
- (80) المصدر نفسه، ص450.
- (81) المصدر نفسه، ص312.
- (82) المصدر نفسه ، ص292 .
- (83) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص274.

استراتيجيات التحسين والتّقييح في الخطاب النقديّ تطبيقاً على الخطابين القرآنيّ والشعريّ مقارنة وصفية تحليلية

أستاذ الأدب والنقد المشارك
جامعة النيلين

د. عز الدين علي مختار علي

المستخلص:

إنّ أهمية هذا البحث تنبع من كونه يتناول إستراتيجيتي التحسين والتّقييح في الخطاب القرآني والخطاب الشعري؛ ليتعرف التّقنيات الفنية الموظفة في التعبير بهاتين الإستراتيجيتين على مستوى البنية والوظيفة معاً في هذين الخطابين. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يوطر تأطيرين: نظري وإجرائي بحيث يحوي كل منهما عناوين جانبية موضّحة كانت في التأطير النظري: مفهوم التحسين والتّقييح، ومستوياتهما، وما يقعان عليه، وركائزهما، ودواعيهما، وأهما إستراتيجيتان أم وظيفتان؟، وكانت في التأطير الإجرائي الخطاب القرآني و الخطاب الشعري و تحت كل منهما النصوص المختارة التي تمثل مستويات التحسين والتّقييح . وأما المنهج الذي وقع عليه الاختيار في مقارنة هذا الموضوع فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعين على فحص النصوص المختارة من الداخل بنية ووظيفة. لقد تمخض البحث عن نتائج لعل من أهمها أن مستويي تجميل القبيح وتقييح الجميل يعملان على تخييب أفق انتظار المتلقي وتوقعه، في حين أن مستويي تجميل الجميل وتقييح القبيح يعملان على تأكيد، وأن استراتيجية التجميل والتّقييح ليست وظيفة أو غاية بل هي وسيلة لتحقيق وظيفتين: جمالية أو شعرية تتصل بالبنية، ونفسية إيحائية تتصل بالمتلقي ترغيباً أو تنفيراً. ومن أهم التوصيات التي يمكن أن تذكر في هذا الصدد هو أن تدرس هاتان الإستراتيجيتان في الخطاب الروائي. أما الكلمات المفتاحية فهي: إستراتيجية، التحسين، التّقييح، الخطاب، أفق الانتظار، البنية والوظيفة.

Strategies of Beautification and Uglification in Critical Discourse

Applied to Qur'anic and Poetic Discourses

(descriptive analytical approach)

Dr. Izz-ul-Din Ali Mukhtar Ali

Abstract:

The importance of this research stems from the fact that it deals with the strategies of *beautification* and *uglification* in the Qur'anic and poetic discourses, in order to identify the techniques employed in expressing these two strategies at the level of both form and function in these two types of discourses. The nature of this research required the employment of two frameworks: theoretical and procedural, and each of them contained elucidating subheadings. Those in the theoretical framework included: the concepts of beautification and uglification, their levels, the texts they are applied on, their pillars and their motives, and whether they should be considered as strategies or functions. On the other hand, the subheadings in the procedural framework included Qur'anic discourse and poetic discourse and under each of them the selected texts that represent the levels of beautification and uglification were included. As for the method that was chosen in approaching this topic, it is the descriptive-analytical method, which helps in examining the selected texts from within their form and function. The research has yielded some results, perhaps the most important of which is that the levels of beautifying the ugly and uglifying the beautiful tend to disappoint the prospect of the recipient's expectations, whereas the levels of beautifying the beautiful and uglifying the ugly tend to assure it. Furthermore, the results showed that the strategy of beautification or uglification is not a function or an end in itself, but rather a means to achieve two functions: an aesthetic/poetic function related to the form and a psychological evocative function related to the recipient in terms of encouragement or discouragement. One of the most important recommendations that can be mentioned in this regard is to study these two strategies in the narrative discourse.

Key words: strategy, beautification, uglification, discourse, the recipient's expectations, form and function,.

تكمُن أهمية هذا البحث في أنه يقارب موضوعًا طريفًا إلى حد ما هو إستراتيجيتنا التحسين والتقييح. وهو موضوع — في حدود ما أعلم — لم يحظ بدراسة نظرية وإجرائية مستقلة الأمر الذي حثني على وضعه على طاولة البحث؛ لأتعرّف أولاً الوسائل اللغوية والبلاغية المتوسل بها في البنية المستندة إلى هذه الإستراتيجية في مستوياتها الأربعة، ولأتعرّف ثانيًا الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه البنية للمتلقّي لها. وهو بهذا بحث ينبغي تحقيق أهداف يتصل أولهما بالبنية، في حين يتصل ثانيهما بالوظيفة التي تحيل على المتلقّي بوصفه شريكًا أصيلًا في إنتاج المعنى المتسرّب بإستراتيجية التخييل أولاً وإستراتيجيتي التحسين والتقييح ثانيًا. ويتصل ثالثهما بالإجابة عن سؤالين مهمين هما: سؤال الغاية: لماذا يحسّن الخطاب ما حسّن، ويقبّح ما قبّح؟، وسؤال الكيفية: كيف يحسّن الخطاب ما حسّن، ويقبّح ما قبّح؟. أما المنهج الذي توسلت به في دراسة موضوع البحث هذا فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي وصفت بشقه الأول الظاهرة في إطارها النظري، واستخدمت شقه الثاني في القسم الإجرائي فصّامًا وتدبرًا لبنية النصوص المختارة والأسلوب الذي توسلت به في التعبير عن مقاصدها. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يوطر تأطيرين: نظري وإجرائي بحيث يحوي أولهما: مفهوم التحسين والتقييح، ومستوياتهما، وما يقعان عليه، وركائزهما، ودواعيهما، وأهما إستراتيجيتان أم وظيفتان؟، ويحوي ثانيهما الخطاب القرآني أولاً، و الخطاب الشعري ثانيًا وتحت كل منهما النصوص المختارة التي تمثل مستويات التحسين والتقييح مشفوعة بتحليل يستهدف بنيتها ووظيفتها.

أ - تأطير نظري :

لا اختلاف في أن التحسين والتقييح يعد إحدى آليات كثيرة يضطلع بها الخطاب الشعري، كما يُلاحظ وجودها في الخطاب القرآني. كذلك لا اختلاف في أن وظيفة الأدب تعني التأثير الذي يحدثه الخطاب الشعري في المتلقّي، على أن التأثير الذي نروم أن نسبر غوره في هذا البحث هو على وجه الخصوص ذاك القائمة بنيته على إستراتيجيتي التجميل والتقييح. هذا السبر يقتضي منا أن نركز على البنية اللغوية المفارقة للتعبير العادي العاري من الوسائل الفنية من أجل الوقوع على المعنى المعبر عنه، ومن ثم على التأثير الذي تحدثه في المتلقّي. وفق هذا التقديم، فإن عملنا في هذا البحث يتمحور حول البنية والوظيفة معًا.

من الأجدر أن أقدم بين يدي هذا البحث أن أي مصطلح يمكن أن يعرف مفهومه بثلاثة أوجه: بذاته أو بضده أو بمرادفه. وما أن الجمال/الحسن والقبح مصطلحان متناقضان فقد عرّف كل واحد منهما لغويًا بضده على شاكلة ابن منظور فهو يقول: «الحسن: ضد القبح ونقيضه... وحسنت الشيء تحسینًا: زینته»⁽¹⁾ وعن الجمال يقول: «الجمال: مصدر الجميل، والفعل: جمّل...الجمال: الحسن: يكون في الفعل والخلق. وقد جمل الرجل بالضم جمالًا، فهو جميل...وجمّله: زینته»⁽²⁾ ويقول عن القبح «القبح: ضد الحسن يكون في الصورة، والفعل: قبح يقبح...وقبّحه الله: صيره قبيحًا»⁽³⁾

لقد فسرت الباحثة لمياء تفتتق بن يحيى هذا التوجه إلى تعريف المصطلح بضده عامة، وتعريف الجمال بضده خاصة، بقولها: «إن التفكير في الجمال يستدعي بالضرورة التفكير في القبح حتى أصبح من البدهة أن يعرف الواحد منهما بالآخر. وتعريف الشيء بضده هو درجة من درجات التعريف لا ترقى إلى مرتبة الحد أي تعريف الشيء في ذاته كما يقول المناطقة لكنها عملية ضرورية يدفع إليها العقل البشري كلما استعصى عليه وضع تحديد صارم مطابق للشيء ذاته»⁽⁴⁾

على الرغم من أن الجمال قد عرّف بالحسن، وأن الحسن قد عرف بالجمال فإن صاحب الفروق اللغوية أبان فرقاً بينهما يتمثل في «أن الجمال هو ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق ومن كثرة المال، وليس هو من الحسن في شيء ألا ترى أنه يقال لك: في هذا الأمر جمال، ولا يقال لك: فيه حسن وفي القرآن «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»... والحسن في الأصل الصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصور. وأصل الجمال في العربية العظم ومنه قيل: الجملة لأنها أعظم من التفريق، والجمال: الجبل الغليظ، والجمال سمي جمالاً لعظم خلقته»⁽⁵⁾ ولكنه سرعان ما ذكر أن أحدهما قد يستعمل في محل الآخر الأمر الذي يعني أن بينهما ترادفاً وكان قد نفاه في نصه الآنف الذكر «والجمال أيضاً يستعمل في موضع الحسن فيقال: وجه جميل، كما يقال: وجه حسن... ويجوز أن يكون معنى قولهم: وجه جميل أنه يجري فيه السمن ويكون اشتقاقه من الجميل وهو الشحم المذاب»⁽⁶⁾.

كذلك التهانوي قد خصص للحسن وللجمال حيزاً كل على حدة على أن الحيز المخصص للحسن كان أوسع من الحيز المخصص للجمال جاعلاً القبح دائماً ضد الحسن. وقد ذهب إلى أن الحسن يطلق في عرف العلماء على ثلاثة معانٍ «الأول كون الشيء ملائماً للطبع وضده القبح بمعنى كونه منافراً له، فما كان ملائماً للطبع حسن كالحلو، وما كان منافراً له قبيح كالمر. الثاني كون الشيء صفة كمال وضده القبح وهو كونه صفة نقصان، فما يكون صفة كمال حسن كالعلم، وما يكون صفة نقصان كالجهل قبيح. الثالث كون الشيء متعلق المدح وضده القبح بمعنى كونه متعلق الذم. فما تعلق به المدح يسمى حسناً، وما تعلق به الذم يسمى قبيحاً»⁽⁷⁾ ويعد عبد الله الطيب واحداً ممن حاولوا وضع تعريف للجمال في ذاته غير أنه قد فصره على الجانب الحسي وحده وتناسى جانبه المعنوي تماماً، فقد خصص الباب الثاني من كتابه الموسوم بـ «المرشد» بحديث ضافٍ مفصل عن الجمال وحقيقته عامة، وعن جمال الشعر وموسيقاه خاصة، فهو يرى أن حقيقة الجمال «حقيقة حسية، تدركها أنت بالحواس، وبخاصة السمع والبصر. وحدها: أن كل ما سرّ النفس من طريق الحواس... ولا سيما العين والأذن هو جميل. والجمال خصال مدركة بالحواس، وبخاصة هاتين الحاستين معاً أو منفردتين، من شأنها أن تسرّ النفس»⁽⁸⁾.

مفهوم التحسين والتقييح:

أما التجميل أو التحسين فكلاهما مصدر على زنة «التفعيل» من الصيغة الصرفية «فعل» وهي صيغة تفيد فيما تفيد التحويل، والمضاعفة أو الزيادة. تفيد التحويل إذا كان فعل التحسين يستهدف قبيحاً بغية تحويله جميلاً، وتفيد المضاعفة إذا كان الشيء المراد تجميله جميلاً أصلاً فنعمد إلى زيادة جماله ومضاعفة حسنه. من هذا المنطلق، ينتج نمطان هما: تجميل الجميل أي مضاعفة جماله وزيادته، وتجميل القبيح أي تحويله من حالة الجمال إلى حالة القبح. وكذلك التقييح يفيد المضاعفة والزيادة حين يكون الشيء المراد تقييحه قبيحاً أصالة، ويفيد التحويل إذا كان هذا الشيء القبيح جميلاً. فمن الأول ينتج تقييح القبيح، ومن الثاني تقييح الجميل.

مستويات التحسين والتقييح:

إن القسمة المنطقية تقتضي أن تتوزع إستراتيجيتا التقييح والتحسين أو التجميل إلى أربعة مستويات هي:

1- تجميل الجميل:

2- تقبيح القبيح:

3- تجميل القبيح:

4- تقبيح الجميل:

اكتفيت بهذا التقسيم الرباعي، مخالفاً القرطاجني⁽⁹⁾ الذي أوصل التقسيم إلى الضعف فقد قسّم كلاً من الجميل والقبيح الواردين في التقسيم الرباعي إلى جميل له نظير وجميل ليس له نظير، وقبيح له نظير وآخر ليس له نظير، وهو تقسيم في ظني ليس مبرراً؛ لأنه لم يقدم مثلاً ولو واحداً لكل قسم، فوق أنه تقسيم نظري منطقي مجرد، وهو فوق ذلك كله تفريع على أصول لا أرى له وجهاً لذا اكتفيت بالتقسيم القائم على الأصول لما فيه من جاهة.

ما يقع عليه التحسين أو التقبيح:

يجدر بي في هذا السياق، بعد أن عرّفت بالبنية الشكلية للتحسين والتقبيح ودلالاتها، ومستوياتهما أن نتعرف الأمور التي يقع عليها التحسين والتقبيح، وهي لا تعدو عند القرطاجني⁽¹⁰⁾ ثلاثة تتمثل في:

1- الشيء.

2- الفعل.

3- الاعتقاد.

ركائز التحسين والتقبيح:

وأما الركائز التي يُركّز عليها في التحسين والتقبيح أو المعايير التي يتوسل بها في التحسين أو التقبيح فهي — عنده كذلك⁽¹¹⁾ — لا تعدو أربعة تتمثل في: ”

1- الدين

2- العقل

3- الخلق

4- الشهوة (الهوى).

هذا، وقد جمع القرطاجني في نص واحد بين ركائز التحسين والتقبيح، والأمور التي يقعان عليها، وذلك حيث يقول: «فوقوع التحسينات والتقبيحات في التخاييل الشعرية إما يسلك به أبداً طريق من هذه الأربعة وهي: الدين والعقل والمروءة والشهوة. ويتعلق التحسين والتقبيح أبداً إما بالشيء الذي يراد الميل إليه أو النفرة عنه، وإما بفعله أو اعتقاده»⁽¹²⁾

دواعي التحسين والتقبيح:

بعد أن عرفنا الأمور التي يقع عليها التحسين أو التقبيح، والركائز التي يستند إليها فيهما، وجب علينا أن نتعرف الدواعي التي تدعو المتكلم إلى إيقاع التحسين أو التقبيح على الشيء أو فعله أو اعتقاده معتمداً في ذلك على الدين أو العقل أو الخلق أو الشهوة. إن دواعي التحسين والتقبيح عندي ما يلي:

1- الداعي العقدي:

لا شك في أن هذا الداعي يُنطلق فيه من الدين بأن يحسّن المتكلم ما حسّنه الدين، ويقبّح ما قبّحه؛ لذا أرى هذا الداعي يتماهى مع مستويي: تحسين الحسن، وتقبيح القبيح كأن نحسّن القيم العليا التي أقرها

الإسلام كالإيمان والصدق والإنفاق والإحسان، ونقبِّح أصدادها كالشرك والكذب والإمساك والزنا أو بعبارة أخرى وافية أن نحسن ما أمر الله به، ونقبِّح ما نهى عنه.

2- الداعي النفسي:

إن الشاعر إنسان تعتره حالات وانفعالات من الارتياح والغضب والانبساط والانقباض فتدفعه الأولى إلى المدح والتحسين، وتدفعه الثانية إلى الهجاء والتقبیح. والتحسين والتقبیح هنا يتجلى حسب درجة الانفعال فإن كان الانفعال عادياً صوّر الشاعر الشيء على ما هو عليه من حسن أو قبح حقيقة ويدخل في هذا الإطار مستويًا: تحسين الحسن وتقبیح القبيح، وإن كان الانفعال قويًا صوّرهُ على غير ما هو عليه من حسن أو قبح تمويهًا وإيهامًا، ويندرج في هذه الحالة مستويًا: تحسين القبيح وتقبیح الحسن.

3- الداعي الفني:

هذا الداعي يتصل ببنية الكلام، ليس الكلام العادي بطبيعة الحال ذلك الذي لا يتجاوز الدرجة الصفرية وإنما الكلام غير المباشر، المفارق لهذه الدرجة، القائم على التخيل الذي عند الجرجاني هو «ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلًا، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولًا يخدع فيه نفسه ويريهما ما لا ترى»⁽¹³⁾.. انطلاقًا من هذا، يجب أن نؤكد على أن الشاعر يراهن على الشعريّة أكثر من رهانه على المادة أو المعنى فهو حين يحسن أو يقبح يروم تحقيق غاية عليا عنده هي التأثير القوي في المتلقي بالإدهاش والتعجب وهذا لا يتأتى له في موضوعنا هذا إلا بالتخيل؛ لأنه لا يبغى التحسين والتقبیح في ذاتهما وإنما يرمي إلى ما هو أبعد منهما المتمثل في إخراج التحسين والتقبیح في أحسن صورة، وأعجب بنية، وأدهش قالب، وبالتالي ليكون التأثير أقوى وأعمق.

4- الداعي الذاتي:

وإن شئت سمّه الداعي المباشر أي أن نحسن من أجل التحسين، وأن نقبح من أجل التقبیح أو بتعبير آخر أن يكون كل من التحسين والتقبیح غاية مقصودة في ذاته. ومن هنا تأتي بنية الكلام حين تكون تلك هي الغاية المقصودة، في الدرجة الصفر التي تنعدم فيها المخاتلة، والإيهام الذي يتأسس على التخيل، وتمثيلًا لهذه البنية الصفرية أن نقول: أنت حسن، أو هو كريم، أو أنت قبيح، أو هو بخيل، ومن ثم فهي ليست مما يعتني به هذا البحث.

يقول جابر عصفور: «إن فاعلية التحسين والتقبیح في الشعر تحدث أثرها من خلال مخطط أخلاقي...ولذلك تبدو فاعلية التحسين والتقبیح غير مفارقة للدين والعقل والمروءة»⁽¹⁴⁾.

غير أن الدين والعقل والخلق عندي معايير يُعتمد عليها في المستويين الأول والثاني أقصد: تحسين الجميل، وتقبیح القبيح، في حين أن الشهوة تُعتمد في المستويين الثالث والرابع أعني: تحسين القبيح، وتقبیح الجميل، ذلك أن المستويين الأولين يدوان عاديين معقولين طبيعيين لا يظهران خرقًا للعادة ولا انزياحًا عن المعتاد المألوف؛ لأن الجميل — ولو بولغ في تحسينه — عادة ما يوصف بما هو جميل من الصفات أو أجمل، وكذلك القبيح يوصف بما هو قبيح من الصفات أو أقبح. أما المستويان الآخريان فإن فيهما كسرًا للألفة وخروجًا على النموذج أو النسق في الوعي الإنساني؛ الأمر الذي يجعل تأثيرهما أقوى في النفس، وأبقى من تأثير المستويين الأولين بما فيهما من صدمة وجدانية ومراوغة تخلف انبهارًا وإعجابًا نفسيًا عميقًا؛ إذ تفاجأ النفس بأن الجميل الذي تنتظر أو تتوقع أن تضيف عليه صفات جميلة تجد أن اللغة قد عملت على

تقبيحه، وأن القبيح الذي قدم إليها والذي كانت في انتظار الصفات القبيحة التي تناسبه تفاعاً بأنها صفات تجميل وتزيين، ومن هنا فـ «لنفس تحرك شديد للمحاكيات المستغربة؛ لأن النفس إذا خيل لها في الشيء ما لم يكن معهوداً من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب ما خيل لها مما لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم يكن أبصره قبل، ووقوع ما لم يعهده من نفسه موقعاً ليس أكثر من المعتاد المعهود»⁽¹⁵⁾.

من هذا المنطلق يمكن التأكيد على أن إستراتيجيتي تحسين القبيح وتقبيح الجميل تعمدان إلى تخييب أفق الانتظار لدى المتلقي بينا إستراتيجيتنا تجميل الجميل وتقبيح القبيح تعملان على تأكيد هذا الأفق لدى المتلقي.

من الطبيعي أن تميل النفس إلى الجميل في الصور والأفعال والأخلاق، وتنفّر من القبيح في ذات الثالوث المذكور. وقد دلّها على هذا التمييز بين الجميل والقبيح الدين والعقل والمروءة. فإذا أردنا أن نزيد ميلها إلى الجميل ونضاعفه عمدنا إلى تجميل الجميل بزيادة جماله ومضاعفته، وبالمقابل إذا أردنا أن نزيد في نفورها من القبيح عملنا على زيادة قبحه ومضاعفته «فأما إذا قصد تحسين حسن وتقبيح قبيح فإنه متمكن من القول الصادق والمشهور فيهما، وأكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين إذا لم يقصدوا المبالغة في ما يحاكون ويصفونه صادقة اللهم إلا أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن وتقبيح قبيح فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقية ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً أو أحقر ليزيدوا النفوس استمالة إليه أو تنفيراً منه»⁽¹⁶⁾. إذا كان تجميل الجميل وتقبيح القبيح قد ورد في الخطاب القرآني وفي الخطاب الشعري فإن تقبيح الجميل وتجميل القبيح لم يرد إلا في الخطاب الشعري؛ لأغراض تتصل بطبيعة هذا الخطاب الذي دائماً ما يخرج على المألوف المعتاد بغية البحث عن التميز والتفرد والريادة، قاصداً إلى الإدهاش والمباغلة والمفاجأة؛ إذ النفس التي جبلت على حب الجميل والميل إليه قد يعرفها شيء من الدهشة عظيم حين يقبّح إليها الجميل أو يجمّل إليها القبيح، فهذا على غير المركز في طباع النفس الإنسانية؛ لأن هذا الفعل خرق للمألوف في العقل الجمعي الإنساني على حد عبارة الجرجاني «ومبنى الطباع وموضع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صباغة النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر، فسواء في إثارة التعجب وإخراجك إلى روعة المستغرب وجودك الشيء في مكان ليس من أمكنته، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته»⁽¹⁷⁾ ينطبق هذا التأثير تماماً على مستويي: تحسين القبيح وتقبيح الحسن؛ لأنهما كما أشرت آنفاً إستراتيجيتان تعمدان إلى تخييب أفق الانتظار لدى المتلقي، ولعل هذا التخييب ما أوماً إليه الجرجاني في نصه هذا وإن بتعبير مختلف.

يقرن القرطاجني اضطرار الشاعر إلى استعمال الأقاويل الكاذبة بمستويين من مستويات إستراتيجيتي التحسين والتقبيح هما تقبيح الحسن، وتحسين القبيح؛ لأنهما يتعارضان والقول الصادق «وإنما يرجع الشاعر إلى القول الكاذب حين يعوزه الصادق والمشتهر بالنسبة إلى مقصده في الشعر. فقد يريد تقبيح حسن، وتحسين قبيح فلا يجد القول الصادق في هذا ولا المشتهر فيضطر حينئذ إلى استعمال الأقاويل الكاذبة»⁽¹⁸⁾ ولكنه سرعان ما ينقض هذا القول حين يقرر صدق الأقاويل الشعرية في تحسين القبيح وتقبيح الحسن «وإذا حقق القول وجدت الأقاويل أيضاً في تقبيح الحسن وتحسين القبيح قد تكون صادقة؛ لأن كل شيء حسن

يقصد محاكاته وتخيله، وإن كان أحسن ما في معناه فقد يوجد فيه وصف مستقبح، وكذلك القبيح فإنه وإن كان لا أقبح منه قد يوجد فيه وصف مستحسن»⁽¹⁹⁾

ثم يتناقض القرطاجني مرة أخرى مع نفسه حين يعتمد القياس المنطقي والتجريد العقلي، وذلك حين يقول: «ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه مما تميل النفس إليه، وأن ما يحاكي به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما تنفر النفس عنه أيضًا. فإن مثل ما يقصد تحريك النفس إلى طلبه بما من شأنها أن تهرب منه، وما قصد تحريكها إلى الهرب منه بما من شأنها أن تطلبه كان ذلك خطأً وجاريًا مجرى التناقض»⁽²⁰⁾ إذا تدبرنا هذا النص يتجلى لنا أنه يعني بالمحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء، والتي يشترط فيها أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه مما تميل النفس إليه — أنه يعني بها تحسين الحسن، وأن المحاكاة التي يقصد بها الهرب من الشيء، والتي يشترط فيها أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما تنفر النفس عنه إما تقاطع مع تقييح القبيح إذ كلاهما مستويان ينطبق عليهما هذا التماثل بين طرفي المحاكاة إمالة وتنفيرًا. وأما الشق الثاني من النص فيحيل على المستويين الآخرين: تجميل القبيح وتقييح الجميل؛ فإن كليهما ينطبق عليه هذا التضاد بين طرفي المحاكاة إذ ثمة طرف قبيح يُعمد إلى تجميله، أو بعبارة القرطاجني طرف تقبل النفس عليه فيُمثّل بما تنفر عنه، وآخر جميل يُعمد إلى تقيحه، أو بعبارة القرطاجني طرف تهرب النفس منه فيُمثّل بما تطلبه وتقبل عليه وترغب فيه. والغريب في الأمر أن الجرجاني قد عدّ هذا التضاد بين طرفي المحاكاة خطأً وجاريًا مجرى التناقض وهذا عين ما تناقض فيه القرطاجني مع نفسه؛ لأنه ربما نسي أو تناسى أنه يتعامل مع فن عماده التخيل الذي أبدى به الاحتفاء، لا مع فكر، وأنه قد غلبَ النظر المنطقي الفلسفي على النظر الشعري الجمالي الذي يؤمن بـ «قدرة الكلام البليغ على إيهام المتلقي ومخادعته، وما يترتب على ذلك من وقفة سلوكية خاصة يتخذها المتلقي إزاء موضوع الكلام»⁽²¹⁾.

على العموم، يتبين لقارئ المنهاج أن نصوص القرطاجني المحيلة على الربط بين التحسين والتقييح من جهة، والصدق والكذب من جهة أخرى قد شابها الكثير من التردد والاضطراب والتخليط: فبعد أن يقرر بأن الأقاويل في تحسين الحسن وتقييح القبيح تكون صادقة سرعان ما يقول بأنها يمكن أن تكون كاذبة إذا قصد بها المبالغة، وبعد أن يثبت بأن الأقاويل في تحسين القبيح وتقييح الحسن تكون كاذبة سرعان ما يقرر بأنها يمكن أن تكون صادقة. وأوافق القرطاجني في أن تحسين الحسن وتقييح القبيح قد ترد فيهما الأقاويل صادقة وكاذبة، ولكني لا أوافق الرأي في أن تحسين القبيح وتقييح الحسن قد ترد فيهما الأقاويل صادقة؛ لأنهما إستراتيجيتان تقومان في أصلهما على الادعاء والإفراط والمفارقة فهما ليستا إستراتيجيتي تحسين الحسن وتقييح القبيح إذ تظل المبالغة أو المحاكاة مطابقة؛ لأن الحسن من الطبيعي أن يحسن مهما بولغ في تحسينه، ولأن القبيح من الطبيعي أن يقبح مهما بولغ في تقيحه. أما تحسين القبيح وتقييح الحسن فكلاهما انزياح عما هو طبيعي، ومن ثم لا يمكن — في رأبي — أن ترد فيهما الأقاويل صادقة، ولعل التركيب الإضافي الواردين عليه هو نفسه يؤكد ما أذهب إليه.

أتحسين والتقييح إستراتيجيتان أم وظيفتان؟

إن ما يلاحظ على خطاب القرطاجني النقدي أنه قد عوّل تعويلاً كبيراً على وظيفة الشعر عامة، فقد وردت إليها الإشارة في تعريفه للشعر⁽²²⁾ وفي جملة من النصوص، منها ما قاله بعد تقسيمه المحاكاة إلى: محاكاة تحسين ومحاكاة تقييح، ومحاكاة مطابقة، مستخدماً مصطلح التخيل «فإنه لما كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح، وجلالة أو خسة وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده، والأقاويل الدالة على تلك الأشياء من حيث تخيل بها تلك الأشياء»⁽²³⁾، وعوّل كذلك على وظيفة إستراتيجيتي التحسين والتقييح خاصة المتمثلة في التحييب أو التنفير وهي — بلا شك — وظيفة نفسية تستهدف المتلقي عبر وظيفة شعرية أو جمالية فنية تتصل ببنية القول الشعري. ومن هنا فيني أرى أن التحسين والتقييح ليسا وظيفتين وإنما هما إستراتيجيتان تؤديان وظيفة مزدوجة: وظيفة نفسية ووظيفة جمالية.

إن التحسين والتقييح بمستوياته الأربعة لا يراد لذاته إذ تحسين الحسن أو تقييح القبيح ليس غاية في ذاته وإنما يرام به غاية أخرى هي الترغيب في الحسن الذي ضعف تحسينه، وأن يُقبل المتلقي عليه، والتنفير عن القبيح الذي زيد في تقييحه، وكذلك تحسين القبيح وتقييح الحسن الغاية منهما تحريك النفوس بالغرابة والدهشة والتعجب بتصوير الشيء على غير حقيقته أو على غير ما هو عليه «ومحاكاة الأحوال المستغربة إما أن يقصد بها إنهاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط، وإما أن يقصد حملها على طلب الشيء وفعله أو التخلي عن ذلك مع ما تجده من الاستغراب»⁽²⁴⁾. وهما فوق ذلك إستراتيجيتان تتوسلان بكل الوسائل البيانية التي ينشأ بها التخيل، ومنها التشبيه الذي تحدث عن فائدته أو وظيفته ابن الأثير في نص يتضح من فحواه أن هناك تناساً بينه وبين القرطاجني، فهو يقول: «وأما فائدة التشبيه فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه. ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى التنفير منها»⁽²⁵⁾.

كذلك ألمح السكاكي إلى الغرض من التشبيه لا سيما الغرض العائد إلى المشبه وقد ذكر له خمسة أغراض، منها وهو ما له علاقة بما نحن بصدد «أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه... كما إذا شبهت وجهاً أسود بمقلة الطيبي إفرأغاً له في قالب الحسن، وابتغاء تزيينه، أو كما إذا شبهت وجهاً مجدوراً بسلحة جامدة وقد نقرتها الديكة إظهاراً له في صورة أشوه؛ إرادة ازدياد القبح والتنفير»⁽²⁶⁾. يلاحظ أن السكاكي قد استخدم لفظي التزيين والتشويه بدلاً من التحسين والتقييح، وقد جاء بالمثال الأول على تحسين القبيح، وبالتالي على تقييح القبيح، وجمع بين التنفير والقبح على أنهما كليهما يراد ازديادهما ومضاعفتهما غير أن إرادة ازدياد القبح وظيفته تستهدف البنية؛ ومن ثم فهي وظيفة جمالية، في حين أن إرادة ازدياد التنفير تستهدف المتلقي ومن ثم فهي وظيفة نفسية.

هنا يتوجب عليّ أن أشير إلى أن حسن المحاكاة ليس بالضرورة أن يتوقف تحققه على حسن المحاكى فقد يتحقق حسنهما حتى مع المصوّر القبيح وهو ما بات يعرف بجمالية القبح. فحسن المحاكاة إذن لا يتأتى من طبيعة المصوّر حسناً كان أو قبيحاً وإنما يتأتى من جهة التأليف والهيئة التي تبرز المحاكاة. وقس على الضد من ذلك قبح المحاكاة: «لأن قبح الهيئة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب، وقبح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكى أو قبحه ويشغل عن تخيل ذلك، فتجمد النفس عن التأثر له»⁽²⁷⁾

أستشفّ من نص القرطاجني هذا أن هناك حسنَ هيئة يقابله قبحُ هيئة، وحسنَ محاكاة يقابلها قبحُ محاكاة، وأن حسن الهيئة والمحاكاة دليل على تفوق الشاعر وتمكنه، ومن ثم يكون لهما الأثر الإيجابي العميق في المتلقي، وأن قبح الهيئة والمحاكاة دليل على إخفاقه، ومن ثم يكون لهما الأثر السلبي في المتلقي. استناداً إلى ذلك، فإن من الأهمية بمكان أن نميز في هذا السياق بين أمرين: تحسين الشيء أو تقبيحه بالمحاكاة، وهو أمر يتصل بمادة المحاكاة ومحتواها، وتحسين المحاكاة نفسها المتعلق ببنية الشعر عامة والصورة خاصة، وهو الذي يدخل في حاقّ الشعرية أو الجمالية أو الفنية. هذا، وقد أكد القرطاجني التمييز المشار إليه بالنص الموالي: «ومن التناذد النفوس بالتخيل أن الصور القبيحة المستبشعة عندما قد تكون صورها المنقوشة والمخطوطة والمنحوتة لذيدة إذا بلغت الغاية القصوى من الشبه بما هي أمثلة له، فيكون موقعها من النفوس مستلذاً لا لأنها حسنة في أنفسها بل لأنها حسنة المحاكاة لما حوي بها عند مقايستها به»⁽²⁸⁾ إن الصورة يحكم عليها خاصة بالحسن أو القبح، وعلى الشعر عامة بوصفه موضوعاً أو مفعولاً به، في حين أن التحسين والتقييم إستراتيجيتان يتوسل بهما الشعر باعتباره فاعلاً يعتمد إلى تحسين ما يريد أو تقبيحه، وتحسين قبح أو تقبيح حسن، إما عن طريق الوصف المباشر وإما عن طريق التخيل. وهي أوجه جميعها تكشف عن موقف الشاعر من موضوع كلامه بحسب القرائن والأحوال والأغراض لغايات نفسية وجمالية، وفي كل منها يسعى الشاعر إلى تحسين الصورة ليكسبها صفة الشعرية التي تعد جوهر الخطاب الشعري.

2. التأطير الإجرائي:

بعد هذه التوطئة النظرية، أنتقل إلى دراسة هذه المستويات الأربعة لإستراتيجيتي التحسين والتقييم في الخطاب القرآني أولاً، وفي الخطاب الشعري ثانياً مشفوعة بنصوص مختارة من الخطابين من أجل وضع اليد على الطريقة التي عرّض بها كل مستوى من مستويات هاتين الإستراتيجيتين، وتأويل الوظيفة التي تضطلع بها البنية العارضة لكل مستوى.

أولاً - في الخطاب القرآني:

يجب التأكيد هنا على حقيقة مهمة هي أن المستويين اللذين لم يردا في القرآن الكريم من مستويات إستراتيجيتي التحسين والتقييم هما: تحسين القبيح وتقييم الجميل؛ ذلك لأنه خطاب يقوم على الحقائق لا الأوهام والأكاذيب، في حين أنهما يردان في الخطاب الشعري، ومن ثم سنكتفي في هذا المقام بتحليل نماذج تمثل إستراتيجيتي تجميل الجميل، وتقييم القبيح.

1. تجميل الجميل:

هذا المستوى من مستويات إستراتيجيتي التجميل والتقييم طبعي فطري لا يشوبه تنافر دلالي إذ إن تجميل الجميل يقصد به أن يضاف على الجميل مزيد من الجمال أو أن نصير الجميل أكثر جمالاً غير أن هذا

التجميل للجميل يأتي على ضربين: عادي بإضفاء الصفة بلفظها المتعارف عليه لغويًا على الجميل مباشرة عن طريق الحكم أو النعت، والآخر انزياحي تصويري مستند إلى تجسيد أو غيره من التقنيات الفنية الإيحائية.

1/ "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (سورة النور، الآية 35):

إن الجملة المعبر بها عن المعنى في هذه الآية جملة اسمية من حيث المستوى النحوي، وجملة خبرية من حيث المستوى البلاغي، الخبر فيها ابتدائي؛ لأنها خالية من العدول الكمي بالزيادة الدال على التأكيد بـ «إنَّ، أو إنَّ واللام»؛ الأمر الذي يفيد بأنها تتضمن مسلمة من المسلمات التي تأتي الإنكار، وحقيقة من الحقائق الكبرى التي لا تحتاج البتة إلى التأكيد. لقد ورد في الأثر أن الله جميل يحب الجمال، والنور جميل فما بالك إذا كان نور السموات والأرض، والله سبحانه له الحق في أن يصف نفسه بالصفات التي تليق به جل في علاه. إن تجميل الجميل في حق الله لا يعني زيادة في جماله فهو الجمال المطلق، وإنما قال ما قال عن نفسه مراعاة لأمة العرب التي تنزل عليها القرآن بلسانها لتفهم عنه مراده؛ إذ النور في لغة هذه الأمة يرمز إلى كل ما هو محبب مبارك هادٍ جميل، وبما أن النور قد يستخدم رمزًا في لغة العرب فإن إخبار الله تعالى عن نفسه بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور. ولعل الأثر المشار إليه أقصد «إن الله جميل يحب الجمال» قد بعد تفسيرًا لهذه الآية من سورة النور فهي تعني «الله جميل الجمال المطلق».

2/ "إِذْ هَمَّ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةَ" (سورة الحجرات، الآية 10):

إن الجملة من حيث المستوى النحوي جملة اسمية، ومن حيث المستوى البلاغي جملة خبرية خبرها طلبية؛ لأنه مؤكد بطريق القصر المتمثل في «إنما» فهي قصر موصوف على صفة، وكلا طرفي القصر جميل فهي قد حكمت على جميل بجميل لذا أدرجت في فمط تجميل الجميل إذ زيد إلى صفة الإيمان صفة الأخوة. لا ريب في أن المؤمنين أي الذوات الموصوفة أو المحققة للإيمان باعتباره معنى جميلًا وكذلك ما وصف به المتحدث عنهم وهو صفة الأخوة. فهو بهذا تركيب يعد مثالاً لنمط تجميل الجميل. فأما من ناحية المقام التخاطبي فإن مضمون هذه الآية يعني أن أخوة المؤمنين أمر لا يجهله المخاطبون ولا يدفعون صحته، ولكن تنزل من أجل تشبيهم وتذكيرهم لما يجب عليهم من حق الأخوة، وهذا المعنى دلت عليه الأداة «إنما» التي يقول عنها الجرجاني: «اعلم أن موضوع «إنما» على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته... تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة صاحب»⁽²⁹⁾.

3/ "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ" (سورة الصافات، الآيتان 47 ، 48):

نلاحظ في صدر هذه الآية انزياحًا بتقديم ما حقه التأخير الدال على التخصيص، وانزياحًا آخر في «قاصرات الطرف» باعتباره وصفًا دالًا على المدح والثناء ملازمًا لنساء الجنة باعتبارهن موصوفًا مضمرا؛ لذا حق للوصف أن يحل محل موصوفه للعلاقة القائمة بينهما على التلازم. ثم أعقب هذا الوصف الدال على الجمال المعنوي النفسي بجمال مادي متمثل في «عين» وهو وصف خاص بالعين مفردة عيناء أي نجل العين، ثم أخذ في مضاعفة جمالهن على وجه العموم بتشبيهن بعنصر مستمد من المقومات الثقافية الرمزية للعرب بوصفهم المتلقين الأوّل للخطاب القرآني لا يخلو هذا العنصر من حسن وجمال مادي ومعنوي في

سلوكهم الاجتماعي هو «بيض مكنون» فالبيض يحيل على البياض وهو جمال مادي، وممكنون يشير إلى الجمال المعنوي أي مستور مصون. ومن هنا اجتمع لهن الجمال معنوياً ومادياً فهن قاصرات أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، وهن مصونات مستورات مع جمال فائق أخاذ، وهن بتعبير القرآن قاصرات الطرف مقصورات لم يرهن أحد من قبل، ولن يراهن أحد إلا أزواجهن. تأسيساً على ذلك يمكنني القول بأن وصف الجنة على التفصيل أو على العموم في الخطاب القرآني بطريق مباشر أو بطريق التصوير يندرج في دائرة تجميل الجميل بوصفه منطوقاً؛ قصداً إلى الترغيب فيها والفوز بها باعتباره مفهوماً.

2- تبحيح القبيح:

1/ «إِنَّ الشَّرَّكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ» (سورة لقمان، الآية 13):

في هذه الآية تجد أن طرفي الإسناد قبيح حيث إنها حكمت على قبيح بقبيح عن طريق الانزياح الكمي المتمثل في التأكيد بأداتين من أدواته هما (إِنَّ، واللام) بل إنها لم تكتف بذلك فقد بينت عظم هذا القبيح عن طريق النعت فهو ليس أي ظلم ولكن ظلم عظيم؛ وقد علق الزمخشري على هذا الجزء من الآية بقوله: «لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه»⁽³⁰⁾. فهي إذن آية — وغيرها كثير — قد استندت في تركيبها إلى غط تبحيح القبيح. أما إذا نظرت إليها — بعد النظر إلى الآية بنويًا — من حيث الوظيفة تدرك أن ثمة غاية من هذا النمط — تبحيح القبيح هي التحذير والتنفير من الشرك والوقوع فيه، وهي كذلك هدم النظرية القائمة القائلة بأن الشرك ليس ظلماً.

2/ «طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» (سورة الصافات، الآية 65):

لئن كانت كل الصور البلاغية في القرآن لها مادة معلومة مستمدة من الحس أو من المقومات الثقافية لدى المتلقين الأول فإن هناك صورة وحيدة عدت غريبة عن عالم خطاب هؤلاء المتلقين وهي الواردة في قوله تعالى: «طلعتها كأنه رؤوس الشياطين» التي قال عنها المبرد: «وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها. فكيف يقع التمثيل بها؟!»⁽³¹⁾ ثم قدم المبرد لهذه الآية ضربين من التفسير: الأول يقوم على الواقع الملموس؛ إذ «أن هناك شجراً يقال له الأستق منكر الصورة. يقال لثمره رؤوس الشياطين وهو الذي ذكره النابغة في قوله: تحيد من أستق سود أسافله»⁽³²⁾. والثاني يقوم على التناص الداخلي المتمثل في كثير من الآيات المتعلقة بوصف الشيطان؛ إذ «إن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس»⁽³³⁾

أما الزمخشري فقد قال في تفسير هذه الآية: «وشبه (طلع شجرة الزقوم) برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس؛ لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صورته المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله... وهذا تشبيه تخيلي»⁽³⁴⁾

لقد استند الزمخشري في تفسيره هذه الآية — وإن كان طرفا الصورة غائبين عن حس الناس جميعاً — إلى الطرف الثاني المشبه به (الشيطان) فهو شنيع المنظر في العقل الجمعي الإنساني الذي يرى الشيطان

أصل القبح ومصدره فإذا رُمزَ رُمزَ به إليه، وإذا صُوِّرَ الشيطان صور على أقبح صورة وأفظعها فهي صورة محفورة في الطبيعة البشرية تجعل من الشيطان وكأنه حاضر مشاهد محسوس.

ثم يورد الزمخشري قولين آخرين في تفسير الآية يحيلان على العالم الملموس: «وقيل: الشيطان: حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً. وقيل: إن شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مرأً منكر الصورة يسمى ثمرة: رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر رؤوس الشياطين إلا قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجح أصلاً ثالثاً يشبه به»⁽³⁵⁾ ولما كان الشيطان محفورة صورته الشنيعة في طباع البشر فهو غائب في حكم الحاضر فإن الطرف الغائب في الصورة الذي يعمل المتلقي على إحضار المفهوم المراد من منطوق الصورة أو ملفوظها هو طلع شجرة الرقوم مقروناً إلى رؤوس الشياطين.

إن الآية تمثل نموذجاً حياً لنمط تقبيح القبيح/ طلع شجرة الرقوم، ولقد فهم قبحه حين مثل برؤوس الشياطين التي هي أقبح كائن عند كل نفس بوصفها مصدر القبح المطلق. إن تأثير هذه الصورة المبنية على تقبيح القبيح في المتلقي يأتي من قبل طرفها الثاني/المنطوق — رؤوس الشياطين فيقفز إلى ذهنه المفهوم/ القبح والشناعة والدمامة التي تمثل وجه الشبه الغائب المستنبط من المشبه به، والتي يتصف بها طلع شجرة الرقوم الذي يماثل رؤوس الشياطين في هذه الصفات ثم يصل عن طريق الاستنتاج بأداته (إذن) إلى أنه ينبغي أن يقي نفسه من ألا يكون من الآكلين من هذه الشجرة المائلين منها البطون. «فيا لها شجرة تنبت في أصل الجحيم ولا تحترق؛ لأنها من نوع هذا الجحيم!...أتعرف أيها القارئ رؤوس الشياطين؟! نعم! فمن مخيلة الإنسان نبتت صورة الشياطين، وهي تثير في نفسه الفزع والرعب وهو يتصورها ويستحضرها كل حين.

وهؤلاء الظالمون النازلون في جهنم يأكلون طلع هذه الشجرة، يأكلون رؤوس الشياطين هذه»⁽³⁶⁾ وكأني بالعذاب هنا عذابان: نفسي برؤية طلع هذه الشجرة الذي يشبه في الدمامة والقبح والشناعة رؤوس الشياطين، وحسي بالأكل منها إلى درجة الامتلاء، ولا ننسى أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم فهي شجرة من نار وطلعها من نار والمشبه بها من نار؛ الأمر الذي يجعل الصورة بليغة في حجاجيتها وإقناعها للمتلقي الذي يسهم في التوصل إلى المفهوم من منطوق الصورة المتمثل في التحذير من النار وما فيها من أصناف العذاب الكريه.

3/ «أَيُّ حَبِّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» (سورة الحجرات، الآية 12):

إن الغيبة في الإسلام فعل قبيح وهي أن تذكر المرء في غيابه بما فيه مما يكره لذا فقد مثلها القرآن بأبشع صورة، وهي أن من يمارس الغيبة كمن يأكل جيفة أخ له ميت، أو هي عند سيد قطب «لتفطيع الغيبة حتى لكأما يأكل الأخ لحم أخيه الميت»⁽³⁷⁾. وهي بلا شك صورة قبيحة بل فاحشة القبح ومن ثم فهي داخلية في دائرة تقبيح القبيح زيادة في التحذير منها والتنفير. وهنا تلاحظ أن التقبيح قد جاء تمثيلاً وتصويراً ولم يكن معنى مجرداً غفلاً فهو انزياحي تصويري انزاح عن التعبير أو الإسناد الاعتيادي. ولله در الزمخشري في تعليقه عليها يقوله: «تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفضح وجه وأفحشه. وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها إن لم

يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخاً، ومنها إن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتاً»⁽³⁸⁾

ثانياً - في الخطاب الشعري:

لما كان الخطاب الشعري من جهة الإرسال خطاباً من صنع الإنسان، وخطاباً نوعياً ذا خصوصية محددة في توظيف اللغة من جهة البنية التي يتمظهر فيها، والتي قد تصل إلى حد الإفراط والإيغال في استخدام الخيال وقلب الحقائق كان من البديهي أن تلائم طبيعته هذه مستويي تجميل القبيح وتقبيح الجميل لما فيهما من الخروج على ما هو مألوف في النظر إلى الأشياء. كما قد تناسب مستويي تجميل الجميل وتقبيح القبيح إذا ما جاء في بنية فيها الشيء الكثير من الادعاء والمبالغة.

1. تجميل الجميل:

إن جمال الرسول صلى الله عليه وسلم خُلُقًا وَخَلَقًا على حد سواء لا يخفى على أحد؛ لذا فإن قول كعب زهير فيه يعد مدحاً بحق وليس ادعاءً:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّئٌ مِنْ سُيوفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ (39)

إن الملفوظ التركيبي في صدر هذا القول الشعري قد جاء من حيث المستوى النحوي جملة اسمية، وجملة خبرية من حيث المستوى البلاغي خبرها مبني على العدول الكمي بالزيادة الدال على التأكيد بأداتيه «إن واللام» هذا من جانب، وعلى التشبيه من جانب آخر فالمشبه «الرسول» والمشبه به «النور» والجامع بينهما في هذه المشابهة الاستضاءة بكليهما من حيث الوظيفة التي يؤديانها، والبياض والإشراق والجمال من حيث الطبيعة في كيان كل منهما. من هنا جاز لنا أن نختار هذا القول الشعري مثلاً على تجميل الجميل إذ كلا الطرفين المجموع بينهما جميل وحين نتحدث عن جميل بجميل نكون قد زدنا الجميل جمالاً. من هنا يمكن التأمين على ما قاله القرطاجني من أن «محصول الأقاويل الشعرية تصويرُ الأشياء الحاصلة في الوجود، وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه خارج الأذهان من حسن وقبح حقيقة، أو على غير ما هي عليه تمويهاً وإيهاماً»⁽⁴⁰⁾.

كذلك ينبغي أن أشير هنا إلى حقيقة غاية في الأهمية هي أن تجميل الجميل يرد في الخطاب الشعري بكثافة متناهية قرين أغراض المديح والغزل والفخر، وهي بلا شك أغراض تروم تحسين الصورة، أو مضاعفة تحسينها. ففي المديح كذلك قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير:

إِذَا مُصَعَّبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ

وكان الشاعر نفسه قد مدح بعدد عبد الملك بن مروان بقوله:

يَأْتَلِقُ التَّاجُ قَوْقَ مَفْرَقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فعتبر عبد الملك عليه في هذا المدح، وذكره بما قاله في مدح مصعب في البيت المذكور آنفاً. وقد علق قدامة على ذلك بقوله: «فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة. وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعب»⁽⁴¹⁾

لقد استخدم في هذا القول الشعري أسلوب القصر بأداته «إنما»، وأنزل الإخبار عن مصعب موصوفاً بهذه الصفة «شهاب من الله» منزلة الخبر الذي يعلمه المخاطب، ولا يدفع صحته، وإنما ألقى إليه من أجل

التنبية والتذكير به. إن الشاعر قد «ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم، وأنهم قد شهروا بها، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد»⁽⁴²⁾

يمكن النظر إلى هذا القول من حيث المستوى النحوي والمستوى البلاغي: فمن حيث المستوى الأول هو جملة اسمية، ومن حيث المستوى البلاغي يتضمن خبراً مبنياً على الانزياح الكمي بالزيادة الدال على التأكيد والقصر في آن واحد، ويتضمن تشبيهاً طرفاه «مصعب» المشبه، و«شهاب من الله» المشبه به والجماع بينهما في هذه المقارنة تجلية الظلماء وإزالتها. إن الشهاب نور والنور جميل وتأسيساً على جمال الشهاب يستنبط القارئ جمال «مصعب»؛ لأنه قد شبه بما هو جميل/الشهاب فكيف إذا كان شهاباً من الله، ومن ثم فقد جاز لنا أن ندرج هذا القول الشعري في دائرة تجميل الجميل ولو كان عن طريق الادعاء، ولكنه لا يخيب أفق انتظار المتلقي بل يتوافق معه إذ المديح غرض ينتظر فيه المتلقي تعداد الخصال الحسنة الجميلة.

2 تقبيح القبيح:

إذا كان تجميل الجميل كثيراً ما يرد قرين ما ذكرت من أغراض شعرية فإن تقبيح القبيح كثيراً ما يأتي قرين غرض الهجاء، فهو بلا شك غرض يروم به الشاعر تقبيح الصورة أو زيادة في تقبيحها. كذلك لا بد لي أن أشير هنا إلى أن القبيح الذي يراد مضاعفة قبحه وزيادته غالباً ما يكون خلقاً من الأخلاق المذمومة كالجهل والشرة والظلم والجن، وهي كما تلاحظ أصداد الفضائل الأربعة التي ذكرها قدامة حيث يقول في هذا الهجاء: «وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسانية، كان ذلك عيباً في الهجاء، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه أو صغير الجسم... فلست أرى ذلك هجاء جاريًا على الحق»⁽⁴³⁾. يقول بشار بن برد في البخيل:

وَللْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عُلٌّ
زُرُقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ⁽⁴⁴⁾

لما كان البخل ومن يتصف به مذموماً قبيحاً صور بشار المعاذير التي يتعلل بها البخيل تصويراً حسياً غاية في القبح والدمامة فهي ذوات أوجه سود عليها عيون زرق وهو بهذا الصنع الشعري قد عمل على تقبيح ما هو قبيح حيث أبرزه في أقبح صورة عن طريق الإيحاء باللونين الأسود والأزرق وهما في الثقافة العربية ذوا محمولات سلبية موشحة بالبغض والكراهية والخسران، وعن طريق التجسيد بأن جعلت للمعاذير عيون زرق وأوجه سود.

3. تحسين القبيح:

لا يختلف اثنان في أن تحسين القبيح — ومثله تقبيح الجميل — لا يجوز إلا بالادعاء والمبالغة سواء أكان القبيح أمراً مادياً أو معنوياً مجمعاً على قبحه استناداً إلى الدين أو الخلق أو العقل، على حد تعبير أبي هلال العسكري «وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل، ونوع من العلل والمعارض والمعاذير»⁽⁴⁵⁾.

أما الشهوة فكنت قد ذكرت بأنها هي من تعمل على تحسين القبيح وتقبيح الجميل، وهي في الخطاب الأدبي شهوة الخروج على المألوف، والإبداع على غير مثال سابق أو غير المتوقع؛ الأمر الذي يجعل الاندهاش والإعجاب أقوى وقعاً وأغور عمقاً في النفوس؛ لأن البنية الشعرية المتوسلة بهذه الإستراتيجية

— تحسين القبيح قد خيبت أفق انتظار المتلقي، «وقد علم أنه ليس في الدنيا مثله أخزى وأشنع، ونكال أبلغ وأفظع، ومنظر أحق بأن يملأ النفوس إنكاراً، وتزعج القلوب استفظاعاً له واستنكاراً، ويغري الألسنة بالاستعاذة من سوء القضاء، ودرك الشقاء من أن يقتل المصلوب ويشبح في الجذع، ثم قد ترى مرثية أبي الحسن لابن بقية حين صلب، وما صنع فيها من السحر حتى قلب جملة ما يستنكر من أحوال المصلوب إلى خلافها، وتأول فيها تأويلات أراك فيها وبها ما يقضي منه العجب»⁽⁴⁶⁾

لقد علّق الجرجاني بهذا النص على قصيدة أبي الحسن الأنباري في رثاء ابن بقية الذي قتل مصلوباً أذكر منها هذا المقطع:

علوٌ في الحَيَاةِ وفي المَمَاتِ	أنتَ إحدَى المعجِزَاتِ
كأنَّ الناسَ حَـوَلَكَ حينَ قاموا	وُفودٌ نَـدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
كَأنَّكَ قائمٌ فـيهمَ خطيباً	وكلُّهم قـيامٌ للصَّلَاةِ
مَدَدَتِ يديكَ نَحْوَهُمُ احتفاءً	كمدَّهما إليهمُ بالهباتِ
ولمَّا ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أنْ يضمَّ	عُلاكَ مِن بعدِ المَمَاتِ
أصاروا الجَوَّ قـبرك واستنابوا	عن الأكفانِ نَوَبَ السَافِياتِ ⁽⁴⁷⁾

حقاً لقد برع أبو الحسن الأنباري أيما براعة في تحسين منظر المصلوب المنكر القبيح، فقد حوّل كل ما يستنكر من هذا المنظر إلى حسن جميل معتمداً على التخيل الذي عند القرطاجني هو «أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور يفعل لتخيّلها ولتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالاً من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض»⁽⁴⁸⁾

”فالتخيل — حسب هذا التعريف — هو عملية تفاعل جمالي بين الشاعر والمتلقي ونشاط فني يندمج فيه المتلقي — ذهنياً وعاطفياً — في العالم الخيالي للنص الشعري، وينفعل بالمعاني الإيحائية التي يتضمنها، وبطرق التعبير عنها»⁽⁴⁹⁾

في ضوء النص السابق الذي علّق به الإدريسي على تعريف القرطاجني للتخيل، فإن أول ما يلاحظ في تفاصيل هذا التخيل الذي أبدعه أبو الحسن الأنباري في أبياته: الحضور المكثف لضمير المخاطب الأمر الذي يوحي بأنه يخاطب من يسمع، ومن يسمع — بطبيعة الحال — فهو حي، وفي معادلة شعرية بدیعة عمد إلى مقابلة كل حال قبيح بما هو جميل، وفي تحليل حجاجي عجيب ادعى بأنهم قد أصاروا الجو قبره؛ لأن بطن الأرض عجز أن يضم جسده لعلوه وسموه، لذا بدلاً من الأكفان صارت السافيات أكفانه. ومن هنا يمكن التأمين على أن «أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرج في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصير في صورة المذموم»⁽⁵⁰⁾

فهي تصور حال الميت المصلوب — وهي حال لا شك في أنها كريمة بغیضة قبيحة — بحاله حياً حين تتزاحم الوفود على بابه، أو حين يؤمهم للصلاة، أو حين يغدق عليهم الهبات، وهي لقطات لا شك في أنها حسنة جميلة، بها أنسينا تلك الصورة القبيحة وما تدخله في النفس من انقباض ونفور واشمئزاز وأبقانا في جو من الانشراح والانبساط والابتهاج الذي تثيره تلك اللقطات الحسنة الجميلة. وأنت تقرأ هذه القصيدة، تنسى تماماً أنك أمام مشهد مصلوب كريمة قبيح. يتنابك هذا الشعور؛ لأن الشاعر تمكن من تحسينه. ومن

ثم قلب الانقباض النفسي الذي يحدثه منظر المصلوب في النفس إلى انبساط وانسراح، وهذا عين ما يعرف في أروقة التلقي بتخييب أفق الانتظار، وهي عندي لهذا خير مثال على تحسين القبيح. «التخييل الشعري — إذن — عملية إيهام تفضي إلى تحسين وتقبيح، وكل تحسين وتقبيح بفضي — بدوره — إلى اتخاذ المتلقي وقفة سلوكية محددة...وما دام الأمر كذلك فيمكن أن يكون الشعر ذات أثر إيجابي في حياة الفرد والجماعة؛ وذلك بربط عملية التخييل بمخطط أخلاقي، يقوم الشعر بتوصيل قيمه إلى المتلقي خلال عملية الإيهام المصاحبة لفاعليته المتميزة»⁽⁵¹⁾

نثرتهُم فوق الأعيدب نثرهً كما نثرْتُ فوق العروسِ الدرَاهِمِ⁽⁵²⁾

الغرض الشعري الذي تتناوله القصيدة التي وردت فيها هذه الصورة هو المديح المقرون بالانتصار والظفر على الأعداء. لعل الصورة من النظرة العجلى تبدو متناقضة: جثث مبعثرة متناثرة أشلاؤها فوق هذا الجبل صوّرت بعروس تنثر فوقها الدراهم وهي في كامل زينتها ليلة زفافها. فهي صورة توحى بالانقباض النفسي من مشهد الموت، ويُخيّم عليها الصمت والسكون في طرفها الأول، وبالابتهاج والفرح، وتفويض بالحركة والحيوية والرنين في طرفها الثاني. لهذا التناقض المتجلي بين طرفيها أتينا بهذا القول الشعري مثلاً على تحسين القبيح باعتباره إستراتيجية تأتي بغير ما يتوقعه المتلقي وينتظره، فـ «قد يحاكى الشيء الحسن وبالنسبة إلى غرض بما هو قبيح في حيز آخر وبالنسبة إلى غرض آخر. ولا يقصد في ذلك إلا محاكاتهما من حيث تطابقا، وقد يقصد بذلك ضرب من الإغراب؛ فيستسهل لذلك تمثيل ما تميل النفس إليه بما تنفر عنه»⁽⁵³⁾. والعكس صحيح تماماً في سياقنا الحالي بأن يحاكى الشيء القبيح وبالنسبة إلى غرض بما هو حسن في حيز آخر وبالنسبة إلى غرض آخر، قصداً إلى الإغراب وتمثيلاً لما تنفر عنه النفس بما تميل إليه.

غير أن الفحص الدقيق لهذه الصورة يكشف في قراءة ثانية عن تناغم طرفيها لاسيما إذا نظرنا إلى غور طرفها الأول وباطنه فهو يوحي بنشوة النصر ولذة الظفر والارتياح فحين أخبر الشاعر أن ممدوحه سيف الدولة قد نثر أعداءه قتلى وبعثر أشلاءهم راح يبحث عن مثيل لها فهي صورة يتلاءم طرفها الأول من حيث الباطن الذي يُشعر بنشوة الظفر ولذة النصر مع طرفها الثاني الذي تفوح منه رائحة الطيب والعطر والبخور والعود، ويتردد فيه رنين الدراهم التي تنثر فوق العروس فهو مشهد يُشعر بالارتياح والابتهاج ومن ثم فإنها صورة تقنع القارئ وتجعله يسلم بها دون اعتراض على تناقضها الظاهري، وتؤثر فيه نفسياً وجمالياً وفكرياً عن طريق التخييل الشعري المبني على التشبيه أولاً وعلى إستراتيجية تحسين القبيح ثانياً.

ما ربعُ ميَّةَ مَعْمُورًا يُطِيـمُفُ بِهِ غِيْلَانُ أَبهى رَبِّي مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
ولا الخدودُ وإنْ أدميْنَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا الرَّبِّ
سَمَاجَةٌ غَنِيَّتْ مَنَا الْعِيـوُونَ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ⁽⁵⁴⁾

إن الضمير الغائب المؤنث في «ربعها، وخدها» يرجع إلى عمورية تلك المدينة التي فتحها المعتصم حرقاً بالمنجنيق فهي مدمرة مخربة أنقاض وهذا بلا شك منظر قبيح سمح يشعر الرائي إزاءه بالانقباض والضييق غير أن الشاعر عمل على تجميله حين فضّله — على وجه التخصيص — على منظرين يفيضان حيوية وجمالاً هما ربع مية حبيبة ذي الرمة وهو عامر بأهله، والخدود التي اعتلاها الاحمرار من الخجل، فمنظر عمورية الذي يسيطر عليه الخراب والدمار أبهى وأشهى عنده من هذين المنظرين الجميلين، وهو بهذه

استراتيجيات التحسين والتبويب في الخطب النقدي تطبيقاً على الخطابين القرآني والشعري مقاربه وصفية تحليلية

المفاضلة قد اختار سياسة تجميل القبيح في هذا القول الشعري لا لشيء إلا لأنه منظر يقف شاهداً حياً على النصر والغلبة والظفر، وعلى انهزام العدو وانكساره الأمر الذي يجعلني أطمئن إلى أن الكلام الشعري «بناء مشرع على اللغة بمعنى أن المؤول قد يستخرج قصد المتكلم من الكلام، والإشارات المحايثة لفعل الكلام. كما أن الكلام يتضمن بالإضافة إلى القصد دلالات أخرى لا يمكن إهدارها وإبعادها، فإذا اعتبرنا القصد غاية يسعى المؤول إلى بلوغها فإن الدلالات المجاورة له تظل على قدر من الفائدة والدلالة»⁽⁵⁵⁾ ولعل البيت الثالث الذي انتقل فيه أبو تمام من التخصيص إلى التعميم المتمثل في أن هذا القبح المتجلي في دمار عمورية وخرابها أغنى للعيون وأمتع من كل حسن وكل منظر عجب هكذا على وجه الشمول والإطلاق ليؤكد تحسين القبيح أيما تأكيد، كما يؤكد في الآن نفسه وقعه على المتلقي إذ فاجأه بغير ما توقع.

فكأنَّ قَعَقَعَةَ المَنَازِلِ فِي اللَّطَى نَقْرَ الدُّفُوفِ

أَوْ وَقَعَ أَقْدَامَ العَذَارَى

يَرْقُصْنَ حَوْلِي لِاعْبَاتِ بالصُنُوجِ وبِالسُّيُوفِ (56)

وردت هذه الصورة في قصيدة السياب الموسومة بـ «حفار القبور»، وفي سياق استعجال حفار القبور الحروب وتمني قيامها. لا شك في أن الصورة التشبيهية تبنى من موضوع ومحمول، وأن الموضوع/المشبه هنا هو: قعقعة المنازل في اللطى، والمحمول/المشبه به هو: نقر الدفوف أو وقع أقدام العذارى يرقصن حولي لاعات بالصنوج وبالسيوف. من ينظر إلى طرفي الصورة: المشبه والمشبه به يفاجأ بالمفارقة ومدى التنافر بينهما وانعدام التناغم والتواء؛ لأن الطرف الأول/ المشبه مستوحى من الحرب متمثلاً في الصوت الذي تصدره المنازل جراء انهيارها إثر استهدافها بالقذائف والقنابل، وهو مشهد مثير للرعب والخوف والقبح والضياع؛ ولأن الطرف الثاني/ المشبه به مستوحى من العرس والحفل والطرب والابتهاج والإيناس والحسن: نقر الدفوف أو وقع أقدام العذارى... فهي بحق صورة شعرية تعد بامتياز مثلاً حياً على تحسين القبيح. هذه المفارقة هي جوهر الخطاب الشعري «فحيث نعيد باللغة عن طريقتها العادية في التعبير والدلالة، ونضيف إلى طاقتها خصائص الإثارة والمفاجأة والدهشة يكون ما نكتبه شعراً، والصورة من أهم العناصر في هذا المقياس. فأينما ظهرت الصورة تظهر معها حالة جديدة وغير عادية من استخدام اللغة»⁽⁵⁷⁾.

لكن إذا جئنا نشرح هذه الصورة ونغوص في العمق منها لا بد أن نستصحب الحالة النفسية التي تعزي صانعها/ حفار القبور الذي يعيش على موت الآخرين، والذي يشكو من خمول الموت وغيابه الطويل فحين يستعجل الحروب كان من الطبيعي أن يصور الطرف الذي يُشعر بالدمار والضياع والتلاشي والرغب (قعقعة المنازل في اللطى) بما يشعر بالابتهاج والحبور والفرح (نقر الدفوف، وقع أقدام العذارى يرقصن...)، مما يؤكد سادته فلا غرابة في أن تتلذذ الشخصية السادية وتنتشي بخراب البيوت ودمارها المؤذن بموت ساكنها وفنائهم، وأن ترى القبيح حسناً جميلاً.

4. تقبيح الجميل:

يأتي هذا المستوى من مستويات إستراتيجيتي التحسين والتقبيح للسخرية متممناً موقف المتكلم من موضوع ملفوظه الموحى بالتقويم السلبي المتمثل في الاستهجان، وموقفه من ملفوظه ذاته تأكيداً أو تقريباً.

كما إنه قد يأتي خروجًا على الإجماع على جمال الشيء أو الخلق أو الاعتقاد الذي يريد أن يعمل على تقبيحه بتخاذ موقف تعبري تقويي سلبى ينظر إليه على أنه متفرد شاذ. لنأخذ هذا المثال:

أَسَدٌ عَلِيٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ
فَتَخَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ⁽⁵⁸⁾

يقرن الشاعر بين حالين للمهجو بعلاقة التعاطف بأداة هي الواو التي تفيد مطلق الجمع، ولكنه الجمع الذي ينطوي في بنيته العميقة على المفارقة، بحيث لا يمكن النظر إلى أحد المتعاطفين كل على حدة؛ لأن الدلالة تكمن في النظر إليهما معًا، فهو شجاع على القائل جبان في الحروب غير أن الشاعر لم يعبر عن مقصده بالفاظ تحمل دلالة تصريحية كما فعلنا وإنما عبر عنه بلفظين يحملان دلالة إيحائية رمزية جماعية هما «أسد، ونعام» فالأولى ترمز إلى الشجاعة، والثانية علامة على الجبن ولكنهما معًا في هذا السياق صغا دالتين إيحائيتين: دلالة إيحائية بالتداعي وهي الشجاعة الملازمة للدال «أسد» والجبن المتداعي عن الدال «نعام» ودلالة إيحائية تلفية تكشف عن موقف المتكلم من موضوع كلامه وهو هنا الاستهزاء الذي دُلَّ على معناه في هذا القول الشعري عن طريق تقبيح الجميل بجعل المهجو نعاماً وهي تمثل في الثقافة العربية رمزًا للجبن والقبح معًا.

هذا، «وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسانَ بالقمر والشمس، والغيث والبحر، وبالأسد والسيف، وبالحية والنجم ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان، وإذا ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير، وهو القرد والحمار، وهو الثور، وهو التيس، وهو الذئب، وهو العقرب، وهو الجعل والقرني، ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم، ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء»⁽⁵⁹⁾

هذا النص الجاحظي من الأهمية بمكان لا سيما في هذا السياق؛ لأنه قد جمع أركان التواصل الإنساني المتمثلة في: التشبيه باعتباره أسلوبًا مخصوصًا من أساليب الكلام، والدال وهو هنا مجموعتان من الدوال: إحداهما من مفردات عالم الطبيعة مثل: (القمر، والشمس، والغيث، والبحر، والنجم)، وأخرهما من مفردات عالم الحيوان (الأسد، والحية، والقرد والخنزير، والحمار...)، والقصد أو المفهوم المتمثل في المدح بالأولى، وفي الذم بالثانية إذ كلتاهما ذات حمولة رمزية سيميائية: الأولى تحيل على معان تحسينية مدحية، والثانية تحيل على معان تقبيحية ذميمة. كذلك تضمن هذا النص العلة التي جعلت دوال المجموعة الأولى دالة على المدح والتحسين، ودوال الأخرى دالة على الذم والتقبيح وهي الاستعمال الثقافي المشار إليه بـ (الشعراء والعلماء والبلغاء) وبالإحالة عليهم مرة أخرى بضمير الجمع البارز (وإذا ذموا قالوا).

كَأَنَّ بَنِي سَدُوسٍ رَهْطٌ ثَوْرٍ
حَنَافِسُ تَحْتَ مُنْكَبِرِ الْجِدَارِ
تُحْرِكُ لِفُحَارِ زُبَانِيهَا
وَفَخْرُ الْخُنُفَسَاءِ مِنَ الصَّغَارِ⁽⁶⁰⁾

إن بشار بن برد يهجو بني سدوس فيرميهم بالحقارة والصغار والهوان غير أنه لم يعبر عن هذه المعاني تصريحًا وإنما عمد إلى التشبيه الذي يعد ضربًا من ضروب الانزياح فشبهم بالخنافس وهي ذات حمولة رمزية إيحائية إذ توحى بالسواد والهوان، ومن ثم فإن التشبيه يكشف عن موقف بشار من موضوع قوله الشعري وهو هنا بنو سدوس، يتمثل هذا الموقف في السخرية والاحتقار الذي اتكأ فيه على سياسة تقبيح الجميل بألية التشبيه، وهي سياسة يعمد إليها الشاعر حين يروم أن «يُشبع الصفة إذا مدح أو هجا»⁽⁶¹⁾

استراتيجية التحسين والتقبيح في الخطاب النقدي تطبيقاً على الخطابين القرآني والشعري مقاربه وصفية تحليلية

فإذا هجا هون المهجؤ وحفر شأنه، وربما زاد في تهوينه وتحقيره، على شاكلة ما فعله بشار ببني سدوس، وإذا مدح فعلى العكس من ذلك «فيشدد أمره ويقوي شأنه، وربما زاد فيه»⁶². وهنا يجب التأكيد على أن إشباع الصفة في المديح يفيد التحسين، وأن إشباعها في الهجاء يعني التقبيح، وينطبق هذا الإشباع للصفة بطبيعة الحال على تحسين القبيح وتقبيح الجميل.

ومن هذا القبيل كذلك ما هجا به أبو دلامة نفسه حين وجدها في مأزق حين خيره المهدي بهجاء من شاء ممن حضروا مجلسه فأخذ يقول:

ألا أبلغ إليك أبا دلامه
إذا لبس العمامة كان قرداً
فليس من الكرام ولا كرامه
وخنزيراً إذا وصع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لوماً
ذاك اللوم تتبعه الدمامه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا
فلا تفرح فقد القيامة⁽⁶³⁾

لقد اتكأ أبو دلامة في هجاء نفسه على إستراتيجية تقبيح الجميل مستنداً إلى التشبيه فقد صور نفسه مرة بالقرد ومرة بالخنزير وهما لفظان من الألفاظ ذات الحمولة الرمزية يدلان سيميائياً على القبح والدمامة والخسة، كذلك تلاحظ أنه قد أنزل نفسه منزلي المتكلم والمخاطب وكأنه لا يخاطب نفسه بل أحداً آخر غيره تماماً يدعى أبا دلامة، وذلك عن طريق ضميري المخاطب (جمعت مكررة، تك، أصبت) والغائب المضمرة الواقع فاعلاً للفعلين (لبس، ووضع)، والواقع مبتدأ لكل من الخبرين (قرداً، خنزيراً).

الخاتمة:

حاول هذا البحث أن يسبر غور موضوع مازال في رأيي بكرًا، وفي حاجة إلى دراسة أشمل وأعمق تحيط ما أمكن بتفاصيله؛ لأن البحث الحالي لم يكن سوى فتح للباب ومبتدأ حفر معرفي ما يزال أحوج ما يكون إلى توسيع وتعميق في شقيه النظري والإجرائي خاصة، وأنه موضوع على ارتباط وشيخ بمفاهيم نقدية تراثية كالتهييل والصدق والكذب، ومفاهيم نقدية حديثة كالانزياح والتناص وأفق الانتظار أو التوقع في نظرية التلقي وغيرها من المفاهيم. لقد ركز هذا البحث مجهره على مستويات أربعة إستراتيجيتي التحسين والتقبيح في الخطاب الشعري، وعلى اثنين منها في الخطاب القرآني، وعلى تحليل نماذج مختارة من كلا الخطابين بغية الكشف عن الوسائل اللغوية والبلاغية التي استعانت بها البنية المستندة إلى هذه الإستراتيجية، والإلماع إلى الوظيفتين الجمالية والنفسية معاً اللتين تروم هذه البنية تحقيقهما.

النتائج:

- لقد تمخض بحث هذا الموضوع عن نتائج يمكن أن نسردها في النقاط الآتية:
- أن مستويي تجميل القبيح وتقبيح الجميل يعملان على تخييب أفق انتظار المتلقي وتوقعه في حين أن مستويي تجميل الجميل وتقبيح القبيح يعمدان إلى تأكيده.
 - أن القرآن الكريم لا يوجد فيه مستويان: تجميل القبيح وتقبيح الجميل؛ لأنه خطاب حقائق لا خطاب أوهام وأكاذيب وادعاءات.
 - أن إستراتيجية التجميل والتقبيح بمستوياتها جميعاً تستبطن موقف المتكلم من موضوع خطابه.
 - أن إستراتيجية التجميل والتقبيح بمستوياتها جميعاً تأتي في بنيتها على ضربين: عادي وانزياحي.

- أن إستراتيجية التجميل والتقييح وسيلة لتحقيق وظيفتين: جمالية أو شعرية تتصل بالبنية، ونفسية إيحائية تتصل بالمتلقي ترغيباً أو تنفيراً.
- أن تحسين الصورة شرط مركزي في الشعرية يجب أن يتوفر حتى مع المصوّر القبيح وهو ما بات يعرف بجمالية القبح.

الهوامش:

- (1) ابن منظور «لسان العرب» ج13، دار صادر، بيروت، بدون، 114-115
- (2) المصدر السابق، 11/126
- (3) المصدر السابق، 2/552
- (4) مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد43، 1999، ص216
- (5) أبو هلال العسكري «الفروق اللغوية» ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ص293
- (6) المصدر السابق، ص293
- (7) التهانوي «كشاف موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم» ج1، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ص666
- (8) د. عبد الله الطيب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» ج2، دار الآثار الإسلامية، الكويت، بدون، ص49
- (9) حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، ص47-75، وينظر كذلك ص81
- (10) المصدر السابق، ص106
- (11) المصدر السابق، ص107
- (12) المصدر السابق، ص107
- (13) عبد القاهر الجرجاني «أسرار البلاغة» ط2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1997م ص350
- (14) جابر عصفور «مفهوم الشعر - دراسة في التراث النقدي» ط3، دار التنوير، بيروت، 1983، ص168
- (15) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص96
- (16) المصدر السابق، ص73
- (17) عبد القاهر الجرجاني «أسرار البلاغة» ص171
- (18) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص72، ينظر كذلك ص82
- (19) المصدر السابق، ص73
- (20) المصدر السابق، ص113
- (21) د. جابر عصفور «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي» ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م، ص353
- (22) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص71
- (23) المصدر السابق، ص106
- (24) المصدر السابق، ص96
- (25) ابن الأثير «المثل السائر» ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص378.
- (26) السكاكي «مفتاح العلوم» ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ص448-449

- (27) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص72
- (28) المصدر السابق، ص116
- (29) عبد القاهر الجرجاني «دلائل الإعجاز» ط1، دار المعرفة، بيروت، 1994م، ص218
- (30) المصدر السابق، ص1040
- (31) المبرد «الكامل في اللغة والأدب» ج3، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص70
- (32) المصدر السابق، 70/3
- (33) المصدر السابق، 70/3
- (34) الزمخشري «الكشاف» 213/5
- (35) المصدر السابق، 213/5 — 214.
- (36) سيد قطب «مشاهد القيامة في القرآن» دار الشروق، بيروت، 1995، ص159.
- (37) سيد قطب «التصوير الفني في القرآن» دار الشروق، بيروت، 1995، ص83.
- (38) الزمخشري «الكشاف»، ص1040
- (39) عبد القاهر الجرجاني «دلائل الإعجاز» ص35
- (40) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص120
- (41) قدامة بن جعفر «نقد الشعر» ص184-185
- (42) عبد القاهر الجرجاني «دلائل الإعجاز» ص219
- (43) قدامة بن جعفر «نقد الشعر» ص187
- (44) بشار بن برد «ديوانه» دار الكتب العلمية، بيروت، شرح مهدي محمد ناصر الدين، بدون، ص415
- (45) أبو هلال العسكري «الصناعتين» ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م، ص53
- (46) عبد القاهر الجرجاني «أسرار البلاغة» ص432-433
- (47) المصدر السابق، ، ص433
- (48) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص89
- (49) د. يوسف الإدريسي «مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين» ط1، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، 2015، ص267
- (50) أبو هلال العسكري «الصناعتين» ، ص53
- (51) د. جابر عصفور «مفهوم الشعر – دراسة في التراث النقدي» ، ص164
- (52) عبد الرحمن البرقوقي «شرح ديوان المتنبي» ط2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص1231
- (53) القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ص113
- (54) أبو تمام «ديوانه» ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص19
- (55) د. هيثم سرحان «استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة» ط1، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، 2012م، ص87

- (56) بدر شاكر السياب « ديوانه » دار العودة، بيروت، 1971، المجلد الأول ص548
- (57) أدونيس « مقدمة للشعر العربي » ط3، دار العودة، بيروت، 1979م، ص112-113
- (58) الزمخشري «الكشاف» 52/1
- (59) الجاحظ « الحيوان » ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون، 1992م ص116
- (60) أبو الفرج الأصفهاني «الأغاني» ج3، دار صادر، بيروت، ط3، 2008، ص146
- (61) الجاحظ «الحيوان» 403/6
- (62) المصدر السابق، 23/4
- (63) أبو الفرج الأصفهاني «الأغاني» ج10، ص205

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أبو تمام
- (1) «ديوانه» دار الكتب العلمية، بيروت، شرح شاهين عطية، ط3، 2002م.
- أبو الفرج الأصفهاني
- (2) «الأغاني» دار صادر، بيروت، ط3، 2008.
- أبو هلال العسكري
- (3) «الصناعتين» المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1986م.
- (4) «الفروق اللغوية» دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2006م.
- ابن الأثير
- (5) «المثل السائر» دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن منظور
- (6) «لسان العرب» دار صادر، بيروت، بدون.
- أدونيس
- (7) «مقدمة للشعر العربي» دار العودة، بيروت، ط3، 1979م.
- بدر شاكر السياب
- (8) «ديوانه» دار العودة، بيروت، 1971م.
- بشار بن برد
- (9) «ديوانه» دار الكتب العلمية، بيروت، شرح مهدي محمد ناصر الدين، بدون
- التهانوي
- (10) «كشاف موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم» مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.
- جابر عصفور
- (11) «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي» المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م.
- (12) مفهوم الشعر — دراسة في التراث النقدي» دار التنوير، بيروت، ط3، 1983م.
- الجاحظ
- (13) «الحيوان» دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون، 1992م.
- حازم القرطاجني
- (14) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، ت: الحبيب ابن الخوجة
- الزمخشري
- (15) «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.
- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي)

- (16) مفتاح العلوم» دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011م.
سيد قطب
- (17) «التصوير الفني في القرآن» دار الشروق، بيروت، 1995
- (18) «مشاهد القيامة في القرآن» دار الشروق، بيروت، 1995،
عبد الرحمن البرقوقي
- (19) «شرح ديوان المتنبي» مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2، 2012
عبد القاهر الجرجاني
- (20) «دلائل الإعجاز» دار المعرفة، بيروت، ط1، 1994م.
- (21) «أسرار البلاغة» دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1997م.
د. عبد الله الطيب
- (22) «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» دار الآثار الإسلامية، الكويت، بدون،
قدامة بن جعفر
- (23) «نقد الشعر» دار الكتب العلمية» بيروت، بدون، ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي.
المبرد
- (24) «الكامل في اللغة والأدب» دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.
د. هيثم سرحان
- (25) «استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة» نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، ط1، 2012م.
د. يوسف الإدريسي
- (26) «مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين» مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة
اللغة العربية، الرياض، ط1، 2015م.

الدوريات:

- (1) مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد 43، 1999

الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية وانعكاساتها على التصور اللغوي

أستاذ علم اللغة المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة النيلين

د. علي عبد الرحمن إبراهيم طه

مستخلص:

وضع علماء اللغة حدودًا دقيقةً، لمصطلحاتهم العلمية تبين الفرق بين كلِّ مصطلح والآخر، غير أنَّه وفي بعض الأحيان تتدخل بعض العوامل السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية محاولةً إحداث تغيير في تصورنا لبعض المفاهيم اللغوية. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية في تكوين تصورنا عن بعض المفاهيم اللغوية كعلاقة اللغة باللهجة وغير ذلك. ومن هنا تكتسب الدراسة أهميتها، وذلك أنَّ العوامل السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية تكسبنا تصورًا خاطئًا عن بعض المفاهيم اللغوية وابتاع المنهج الوصفي التاريخي والذي يتتبع تطور الظاهرة عبر العصور توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: إنَّ مصطلح اللغة الفصحى ومصطلحي الرُّقي والانحطاط هي مفاهيم نسبية تشكلها أبعاد سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية، فاللغات جميعها متساوية من حيث مرونة بنيتها التركيبية ومقدرتها على حمل أيِّ طاقة فكرية أو علمية.

كلمات مفتاحية: أبعاد تصور انعكاس ثقافية اجتماعية

Cultural, social and political dimensions and their implications for linguistic perception

Dr Ali Abdel Rahman Ibrahim Taha

Abstract:

Linguists set precise boundaries for their scientific terms that show the difference between each term and the other. However, sometimes some political, cultural or social factors intervene in an attempt to bring about a change in our perception of some linguistic concepts. Hence, the study gains its importance, because political, cultural or social factors give us a false perception of some linguistic concepts. This study aims to clarify the impact of political, social and cultural factors in forming our perception of some linguistic concepts, such as the relationship of language to dialect, and so on. By following the historical descriptive approach, which traces the development of the phenomenon through the ages, the study reached several results, the most important of which are: The term high language and the terms The high and low are relative concepts shaped by political, social, cultural or religious dimensions.

Key words: Dimensions‘ perception‘ implications‘ cultural‘ social
مقدمة:

يجمع علماء اللغة على اعتبار اللغة نظاماً، وهذا النظام اللغوي يتكون من أربعة مستويات فرعية أو مستويات غالباً، هي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي. ولا تحيد عن هذه المستويات لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات؛ ولهذا ينظر علماء اللغة إلى جميع اللغات ولهجاتها بنظرة متساوية، نسبة لتساويها في أجهزة النظام وفي ما تؤديه من وظيفة التواصل وغير ذلك، فليست هناك سمات في البنية اللغوية من النواحي الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية تفرض كون أحد المستويات هو الفصحى والآخر هو العامية، فكلاهما ينطبق عليه تعريف اللغة «باعتبارها نظاماً من الرموز الصوتية».⁽¹⁾

غير أنه في كثير من الأحيان تتدخل بعض الأبعاد الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية، في تصورنا لبعض اللغات في علاقتها باللغات الأخرى، أو في علاقة لهجات اللغة الواحدة فيما بينها، مما يجعلنا نطلق أحكاماً قيمة على تلك اللغات أو اللهجات، لا تستند إلى أي سند علمي، وإنما هي مجرد انطباعات شكلتها الظروف الاجتماعية أو السياسية التي حظيت بها تلك اللغة أو اللهجة أو حُرمت منها، فالتصور الذي نكوّنه عن اللغة أو اللهجة في هذه الحالة إنما هو مجرد تصور ثقافي أو اجتماعي أو سياسي، ولكنه أبداً لا يستند إلى حقيقة علمية. وسنحاول توضيح هذا الأمر من خلال المباحث الآتية: مفهوم اللغة الفصحى، اللغة واللهجة، الرقي والانحطاط.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية في تكوين تصورنا عن بعض المفاهيم اللغوية كعلاقة اللغة باللهجة ومفهوم الفصحى والعامية، وكذلك مفهوم الرُّقي والانحطاط.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها، من خلال تصحيح المفاهيم الخاطئة في تصورنا لبعض النواحي اللغوية وذلك أنّ العوامل السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية تكسبنا تصورًا خاطئًا عن بعض المفاهيم اللغوية أحيانًا

منهج الدراسة:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التاريخي والذي يتتبع تطور الظاهرة عبر العصور، ولتحقق الدراسة أهدافها قُسم البحث إلى ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول مفهوم الفصحى والعامية وأثر العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية فيه، بينما تناول المبحث الثاني الفرق بين مفهومي اللغة واللهجة وما حدث فيهما من تداخل في بعض الحالات بسبب العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية، أما المبحث الثالث فقد تناول مفهوم الرُّقي والانحطاط من خلال عدّة موضوعات كالازدواجية والثنائية اللغوية والنحو العربي واللغة والاستعمار.

1/المبحث الأول: مفهوم اللغة الفصحى:

إنّ كل لغة من اللغات كانت في يوم من الأيام لهجة من لهجات عدّة للغة ما، ثم أخذت بسبب ظروف تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية تنفرد بخصائص تميزها عن أخواتها من اللهجات، حتى استقلت شيئًا فشيئًا وأصبحت لغة⁽²⁾ وهذه اللغة هي أيضاً مع تغير الزمان تتغير وتظهر لها لهجات جديدة ثم تتطور هذه اللهجات لتصبح لغات مستقلة، وهكذا تستمر حركة اللغات فتولد لغات وموت أخرى، تمامًا كما يتوالد الناس في سلسلة من الأنساب لا تنقطع.

فاللغة الواحدة تظهر لها عدّة لهجات، ومن بين تلك اللهجات قد تبرز واحدة، ولأسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية تجد حظًا أوفر من أخواتها، فينظر إليها بشيء من التبجيل والاحترام، وتسمى باللغة الفصحى أو اللهجة الفصحى، وينظر إلى الناطقين بها على أنّهم الأفصح والأنقى لغةً، وعليها يجعل المستوى الصّوابي في تلك اللغة، يقول ابن فارس: «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرّواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أنّ قريشًا أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغةً»⁽³⁾ و نجد ذلك عند الجاحظ في وصفه لواصل بن عطا، وتجنّبه لحرف الرّاء حيث يقول: «كان إذا أراد أن يذكر البرّ قال القمح والحنطة، والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أنّ لغة من قال برّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة»⁽⁴⁾ ويقصد بذلك قريش. ويورد الجاحظ أيضاً حكاية أهل مكة مع الشاعر البصري محمد ابن المناذر حيث قالوا: « ليس لكم معاصر أهل البصرة لغة فصيحة إنّما الفصاحة لنا أهل مكة فقال ابن المناذر أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. أنتم تسمّون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عزّ وجلّ» وَجِئْنَا بِكُلِّ جَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ⁽⁵⁾. وأنتم تسمّون البيت إذا كان فوق البيت عليةً وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسمّيه عُرفة ونجمعها على عُرفات وعُرف وقال الله تبارك وتعالى: « وَهُمْ فِي آلِ عُرْفُوتٍ ءَامِنُونَ⁽⁶⁾. وأنتم

تسمون الطَّلع الكافور والإغريض ونحن نسميه الطَّلَع وقال الله عزَّ وجلَّ «وَنَحَلْ طَلْعَهَا هَضِيمًا»⁽⁷⁾ فعَدَّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا»⁽⁸⁾.

فالألفاظ التي وردت في القرآن الكريم على غير لغة قريش كثيرة، وهذا يدعم الرأي القائل بأن اللغة العربية الفصحى ليست هي لغة قريش وحدها، وهذا ما يؤكد ابن فارس بقوله: «كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيَّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللغات إلى نحائهم وسلائفهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب»⁽⁹⁾ ويتجاوز الجاحظ اللغة العربية إلى الفارسية فيقول: «وأفصحهم بالفارسية الدرية وباللغة الفهلوية أهل قسبة الأهواز»⁽¹⁰⁾ وهكذا تمتد الأحكام القيمية لتشمل جميع اللغات فما يقال عن الفارسية يقال عن الفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها. وقد أكد جون ليونز على ضرورة المساواة في النظر إلى العامية والفصحى بقوله: «ومما هو جدير بالذكر أن اللهجات الاجتماعية أو الإقليمية لأي لغة كالإنجليزية مثلاً ليست أقل انتظاماً من اللغة الفصحى بل لا ينبغي وصفها بأنها صورة مشوهة منها، ولا بد لنا من الإلحاح على ذلك لأن كثيراً من الناس يعتقدون أن اللغة الفصحى التي تُعَلَّم في المدارس هي وحدها الخليفة بالدراسة العلمية والمنهجية ولكن الحقيقة غير ذلك؛ لأن جميع لهجات اللغة الإنجليزية مثلاً تتساوى في نظر علم اللغة من هذه الناحية»⁽¹¹⁾ فاللغة الفصحى تاريخياً ما هي إلا لهجة إقليمية ... أو لهجة اجتماعية ... اكتسبت مستوى معيناً بحيث أصبحت لغة الإدارة والتعليم والآداب نتيجة لانتشارها الواسع بين عدد كبير من الناس»⁽¹²⁾ وبالنسبة للهجة قريش فإن بعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم»⁽¹³⁾.

فاللغة التي ينزل بها كتاب مقدس وكذلك اللهجة التي يُترجم إليها فإنها تتقدّم على غيرها لتصبح اللهجة الفصحى، ففي اللغة الألمانية مثلاً اكتسبت لهجة لوثر أو هانوفر مكانة عظيمة وأصبحت تمثل الألمانية الفصحى بسبب ترجمة مارتن لوثر للكتاب المقدس إليها، فقد كان جزءاً من تمرّد مارتن لوثر أنه قام بترجمة الإنجيل إلى الألمانية الدارجة فكان لذلك أثر كبير في تطور الأدب الألماني»⁽¹⁴⁾ ذلك أن اللغة الفصحى هي لغة الأدب الراقي، فقد كانت اللغة الإيطالية الحديثة لهجة عامية في القرون المتوسطة، وكان الخاصة يدعونها بلغة «الهمج» ولكن لما نظم بها دانتى، وبتراك، وكامونس، وفرنسيس واسيزي قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة إيطاليا الفصحى»⁽¹⁵⁾ وفي فرنسا عن طريق إحياء اللهجات الإقليمية نشأت شهرة نفر من الكتاب الفرنسيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذين حاولوا إحياء اللهجات الفرنسية من خلال الأدب ولكن محاولتهم باءت بالفشل، فقد تغلبت لهجة باريس والتي وجدت دعماً سياسياً لتصبح اللغة الفرنسية الفصحى»⁽¹⁶⁾ ونسبة لارتباط الأدب الراقي باللغة الفصحى وتأثيراً بالعربية يُطلق في اللغة السواحلية على الأدب مصطلحين Fasihi فصيحي «Sana صنعة»⁽¹⁷⁾ ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن «عبارة «لغة فصحى» هي مصطلح نسبي، ناتج عن أوضاع سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية، تجعل العامة يعتقدون بأن هذه اللهجة أرفع من غيرها، كما يفعل الفلاحون في مالطا وأستراليا، يقول أحمد فارس الشدياق: «ومما يضحك منه أن الفلاحين إذا خدموا أهل «فالتة»⁽¹⁸⁾ غيَّروا لهجتهم فلفظوا الغين عيئاً، والخاء حاءً، توهم أن لغة هؤلاء هي الفصحى»⁽¹⁹⁾ ويقول غاي دويتشر عن إنجيل كتبه مبشّر

ألماني بلغة محلية من لغات السكان الأصليين لأستراليا، تسمى تلك اللهجة «غوغومثير» يقول: « وعلى الرُّغم من أنَّ تمكّنه من اللغة كان متوسطاً فإنَّ الغوغومثير المعيوب الذي استخدمه سرعان ما أصبح يقَدَّس كنوع من أنواع «لغة الكنيسة» التي لا يستطيع الناس فهمها تمامًا، ولكن لها هالة تشبه تلك التي تتمتع بها إنجليزية إنجيل الملك جيمس.⁽²⁰⁾ فالارتباط بالكتب المقدَّسة يرفع من شأن اللهجات فلو أنَّ التوراة الألمانية مثلاً تُرجمت إلى لهجة برلين لكانت لهجة برلين الألمانية الفصحى لا لهجة هانوفر»⁽²¹⁾

2/ المبحث الثاني: اللغة واللهجة:

يُعرّف إبراهيم أنيس اللهجة بقوله: «اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألق من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام والخاص».⁽²²⁾ ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا الفرق بين اللغة واللهجة فاللغة هي التي تغيّر لغة أخرى بأصواتها ومفرداتها وبتراكيبها مغايرة لا يستطيع معها أن يتفاهم زيدٌ وعمرو. أمّا إذا كانت الفروقات في الأصوات والمفردات والتراكيب من النوع الذي يمكن فيه التفاهم بين الجماعات فإنَّ هذه تحسب لهجات».⁽²³⁾ وهذا المعيار الذي يفرّق بين اللغة واللهجة يسمى بمعيار الفهم المتبادل، فإذا كان لدينا شخصين ينتميان إلى نظامين لغويين مختلفين ويستطيعان فهم بعضهما بعضاً دون الحاجة لدراسة لغة الآخر فإنَّ ما يتحدثان بهما هما لهجتان للغة واحدة كاللهجة المصرية واللهجة السودانية أما إذا كان التفاهم بينهما منعزلاً إلا من خلال دراسة كلّ منهما للغة الآخر فإنَّ ما يتحدثان بهما لغتان منفصلتان كالإنجليزية والفرنسية.

وعلى الرُّغم من وضوح هذا المعيار إلاَّ أنَّه ولأسباب سياسية يُخلط بين المفهومين، هنالك مقولة تقول: «اعدد أعلام الدُّول تحصل على عدد لغات العالم» أي أنَّ لكلِّ دولة لغة واحدة وما عدا ذلك يُعدُّ لهجات، فالسياسة في بعض الأحيان تتدخَّل فتجعل من اللغة لهجةً ومن اللهجات لغات منفصلة، وفيما يلي أمثلة لكلا الحالتين:

(أ) عددُ اللهجة لغةً مستقلة:

في بعض الأحيان تكون لهجات اللغة الواحدة ما زال المتحدثون بهن يفهم بعضهم بعضاً ومع ذلك ولأسباب سياسية تُعدُّ كلُّ لهجة منهن لغةً منفصلة، فمثلاً ليست هناك فروق واضحة بين اللغات السويدية والدنماركية والنرويجية (و الهولندية ومع ذلك يشع النظر إليها على أنَّها لغات متميزة).⁽²⁴⁾ والسبب في ذلك أنَّ السويد دولة، والدنمارك دولة، والنرويج دولة، وهولندا دولة، فأصبحت هذه اللهجات لغات لشعوب دول مختلفة، مع أنَّ الهولندي يفهم الدنماركي والدنماركي يفهم السويدي وهكذا. وذات الشيء نجده بالنسبة للإسبانية والبرتغالية، فهما لهجتان للغة واحدة حيث يستطيع الإسباني فهم البرتغالي. وكذلك الحال بالنسبة للغة الهندية ولغة الأردو أو الهندستاني فهما لهجتان للغة واحدة، إذ إنَّ المتكلمين بهاتين اللغتين كانوا قادرين على أن يفهم بعضهم بعضاً، كلُّ بلغته، لأنَّ الخلاف بين اللغتين كان خلافاً بين المتكلمين أكثر مما

كان خلافاً بين طبيعة هذه اللغة أو تلك»⁽²⁵⁾ فالهندية تستخدم في الهند والأردو يستخدمها الباكستان وهما دولتان منفصلتان، غير أن الخلط في المفاهيم في هذا النموذج لا يعود لأسباب سياسية فقط بل إلى أسباب ثقافية ودينية أيضاً، فالهندية لغة الهندوس، والأردو أو الهندستاني هو لغة المسلمين، وتكتب الهندية بالخط الديفاناجاري خط اللغة السنسكريتية وهي لغة الهند القديمة، بينما تكتب لغة الأردو بالخط العربي، وتستمد الهندية مخزونها اللغوي من السنسكريتية، بينما تستمد الأردو مخزونها اللغوي من العربية والفارسية.

(ب) عدّ اللهجات المستقلة لغة واحدة (ماكرو):

من المعروف في نشأة اللغات وتطورها أن كل لغة كانت يوماً من الأيام لهجة من لهجات لغة ما ثم تطوّرت لهجات تلك اللغة حتى صار التفاهم بين أبناء لهجاتها غير ممكن فعدت بذلك كل لهجة من لهجاتها لغة مستقلة مثلما حدث للغة اللاتينية، غير أنه وفي بعض الأحيان ولأسباب سياسية ترفض بعض الدول أن تُصبح لهجات لغتها لغات مستقلة رغم أن التفاهم بين أبناء تلك اللغات غير ممكن ما يعني أنها صارت لغات مستقلة، كما هو الحال بالنسبة للغة الصينية والتي تتكون من عدة لغات كالكانتونية بلهجاتها والهانكانية بلهجاتها، والشانغانية، وهذه اللغات لا يوجد فهم متبادل بين أبناء كل لهجة وأبناء اللهجات الأخرى ومع ذلك تعدّها الحكومة الصينية لغة واحدة لأنّ الصين دولة واحدة. وتطلق منظمة الآيزو على اللغات التي تكون بداخلها لهجات ليس بينها تفاهم متبادل كحالة اللغة الصينية هذه مصطلح «لغات ماكرو». فاعتبار اللغة الصينية لغة موحّدة نابع من توجه سياسي وليست حقيقة علمية، فالدولة الصينية تعلم خطورة التعدّد اللغوي وأثره في وحدة الأمة، فوحدة اللغة من أهمّ الروابط القومية لأفراد الأمة وللشعوب المتعدّدة المتفقّة اللسان، إذ تعدّ إحدى مقومات استقلالها وكيانها السياسي والاجتماعي وحافزاً من أقوى الحوافز إلى التقريب بين الأفكار والميول، والوسائل والغايات، فينبني على ذلك خلق وحدة اجتماعية»⁽²⁶⁾ فاللغة الواحدة تنظم أعضاء الجماعة في شبكة واحدة تتشارك في المعلومات وتكوّن قوة مشتركة كبيرة»⁽²⁷⁾ فكلما كانت اللغة موحّدة وقوية، أصبحت عملية استيعاب المعلومات وتبادلها وإعادة إنتاجها والإبداع فيها، أيسر وأسرع»⁽²⁸⁾ فالأمر أشبه بالعملة في السوق فكلّما كانت العملة موحّدة في البلاد ازدادت وتيرة النمو الاقتصادي»⁽²⁹⁾.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال هذه المقارنة⁽³⁰⁾:

الدول غير المتجانسة لغوياً	الدول المتجانسة لغوياً
1- الدول غير المتجانسة لغوياً	1- مناطق صغيرة
2- مناطق واسعة	2- كثافة سكانية عالية
3- كثافة سكانية قليلة	3- مجتمعات صناعية
4- مجتمعات زراعية	4- معدل الدخل الفردي والقومي متوسط
5- معدل الدخل الفردي والقومي قليل	5- متحضرة وتمتدنة جداً
6- غير متطورة اقتصادياً	6- متطورة اقتصادياً
7- قلة عدد منسوبي الدراسات العليا	7- كثرة عدد منسوبي الدراسات العليا

8- التجانس الديني	8- عدم التجانس الديني
9- مستقلة سياسياً	9- مستقلة سياسياً حديثاً
10- نمت وتطوّرت واستقرّت	10- لم تكتمل نموّاً وتطوّراً
11- الاستقلال الدستوري	11- نظام تسلمتي
12- القيادة الجماعية	12- القيادة القروية

كما أن قصة برج بابل في سفر التكوين من التوراة، تشير إلى إدراك لأهمية اللغة الواحدة كوسيلة لوحدة المجتمع⁽³¹⁾. يقول ماريو باي معلّقاً على ما حدث فيها: «ولكن الإنسان نتيجةً لكبريائه الحمقاء، وتحديه للإله فقد هذه القدرة الذهبية التي كانت تمكّنه من الفهم الكامل، والمشاركة مع غيره في العمل وهذا ما توقف واختفى داخل حالة وصفت بأنّها مؤسفة، وهي تعدد اللغات»⁽³²⁾

3/ المبحث الثالث: الرقي والانحطاط:

إنّ الرقيّ كمصطلح وما يقابله من مصطلحات هي مفاهيم نسبية يكثر دورانها في حقول الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية وهي في الغالب مصطلحات قيمة ارتبطت بتصورات أيديولوجية غير أنّها تصادفنا أحياناً في بعض حقول الدراسات اللغوية بوصفها انعكاساً لتصورات اجتماعية أو ثقافية أو سياسية. و من الحقول التي يصادفنا فيها:

(أ) الازدواج اللغوي:

يقصد بالازدواجية استعمال مستويين مختلفين، أو أكثر من لغةٍ واحدةٍ (مع كون أحد المستويات نمطاً راقياً، ومستوى ريفياً، يستعمل في الأغراض الرّسمية).⁽³³⁾ والآخر مستوى وضيعاً يستعمل في الحياة اليومية. وقد تحدّث فيرجسون عن مصطلح الازدواجية اللغوية في عام 1959م تحت عنوان (الدقلسيا) وقد حاول أن يصف، على وجه الخصوص الوضع الاجتماعي اللساني الذي يوجد في العربية والإغريقية الحديثة والألمانية السويسرية والكريولية الهايتية، ففي هذه المجتمعات اللغوية ذكر أنّ هناك ضربين (أسلوبين) مختلفين أو أكثر من نفس اللغة، هما النوع التقليدي أو الرفيع (H)، أي العربية الفصحى، والنوع الثاني هو اللهجة الإقليمية أو النوع الوضيع (L) التي تسمى العامية.⁽³⁴⁾ ويؤخذ على فيرجسون إدخال الكريولة الهايتية ضمن الازدواجية فهي تتبع للثنائية اللغوية إذ إنّ طرفا الاستعمال في هايتي الفرنسية والكريولة أو اللغة المولدة. غير أنّ الدقلسيا تبدو بشكل صارخ في العربية والإغريقية وإن كان اليونانيون قد تخلّصوا منها بتبني المستوى الوضيع، وبهذا التحول يصبح هذا المستوى الوضيع ريفياً، بعد أن يؤدّي كل الوظائف التي كان يؤديها المستوى الرفيع، وفي هذا تأكيد لنسبية هذه المفاهيم، فاللغة اليابانية كانت يوماً ما مستوى وضيعاً وكذلك الحال بالنسبة للفرنسية والإيطالية وغيرها.

فالرقيّ والانحطاط هو المعيار الجوهرية الذي تقوم الازدواجية عليه فليست مجرد وجود لهجات للغة الواحدة يعني وجود حالة ازدواجية، فالعلاقة بين لغة قريش و لغات القبائل العربية الأخرى لا تقوم على مفهوم الازدواجية لأنّها لا تمثل مستوى وضيعاً وإن كانت تقل عن لغة قريش من حيث الفصاحة بحسب رأي علماء اللغة العرب القدماء. وكان أوّل اكتشاف للازدواجية في العربية من قبل الغربيين قد حدث مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، وكانت هذه صدمة قوية لهم وكشفاً مهمّاً عادوا به معهم إلى فرنسا

ليذيعوه، وقد كانوا من قبل يظنون أنّ الناس في مصر يتكلمون تلك اللغة التي كانوا يرونها في بطون الكتب وتلقونها على أيدي أساتذتهم على أنّها لغة الناس في حياتهم اليومية في مختلف شؤونهم».⁽³⁵⁾

(ب) الثنائية اللغوية:

تعني الثنائية اللغوية قدرة الفرد على استعمال لغتين، يمكن اعتبار كل واحدةٍ منهما بوجه أو أكثر لغة أصلية بالنسبة له».⁽³⁶⁾ فهي تقوم على وجود لغتين متنافستين في الاستعمال و تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي».⁽³⁷⁾ كالعربية والفرنسية في الجزائر والفرنسية والألمانية في لوكسمبورغ وغير ذلك، ففي بعض الأحيان يُنظر إلى إحدى اللغتين على أنّها أرقى من الأخرى، فالفرنسية في هاييتي ينظر إليها على أنّها أرقى من الكريولة «المولودة»، وكذلك ينظر إلى الفرنسية والألمانية في لوكسمبرغ، فعلى الرُّغم من تقاسم كل من الفرنسية والألمانية مجالات الاستخدام في لوكسمبرغ حيث تستخدم الألمانية في الكنيسة والصحافة والتربية والقطاع التجاري، بينما تستخدم الفرنسية في مجال القانون والمحاكم، وفي البرلمان، والتربية، فعلى الرُّغم من هذا التقاسم إلا أنّ الفرنسية يُنظر إليها على أنّها أرقى من الألمانية، ويظهر هذا التفضيل من خلال استخدام الألمانية في مراحل التعليم العام بينما تُستخدم الفرنسية في التعليم العالي، وكذلك في مجال السينما، فأفلام الشعبية يجري فيها الحوار باللغة الألمانية أمّا الأفلام التي تتمتع بالمستوى الثقافي الجاد فهي بالفرنسية.⁽³⁸⁾ فما الذي يجعل الفرنسية أرقى من الألمانية في لوكسمبورغ؟ إنّه مجرد انطباع لا يستند إلى معايير موضوعية ربما يرجع إلى وجود ازدواج في الألمانية واستخدامها من قبل العامّة.

(ج) الرقي والانحطاط عند علماء النحو العربي القدماء:

كثيراً ما يستخدم النحاة العرب القدماء عبارات ترفع من شأن بعض اللغات وتخفض أخرى مع أنّها من لغات العرب الذين يُحتج بكلامهم وفي هذا يقول ابن جني: « اللغات على اختلافها كلها حُجّة».⁽³⁹⁾ فتراهم يقولون هذا فصيح وهذا أفصح، وهذا قبيح وهذا أقبح، وهذا شاذ وهكذا، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، يقول ابن يعيش عن «عرفات»:«وفيها لغتان الصرف وتركه والصرف أفصح».⁽⁴⁰⁾ ويقول أيضاً: «لا تقول سكرانة ولا عطشانة ولا غرثانة في اللغة الفصحى».⁽⁴¹⁾ ثم يقول:«وقولنا في اللغة الفصحى احترازاً عمّا روي عن بعض بني أسد غضبانة وغضبانة وعطشانة».⁽⁴²⁾ ويقول عن إعمال ما عمل ليس: «أعلم أنّ ما حرف نفي يدخل على الأسماء والأفعال وقياسه أن لا يعمل شيئاً ... غير أنّ أهل الحجاز يشبهونها بليس ويرفعون بها الاسم وينصبون بها الخبر كما يُفعل بليس كذلك تقول ما زيدٌ منطلقاً وينصبون بها الخبر كما يُفعل بليس كذلك تقول ما زيدٌ منطلقاً وما أخوك خارجاً، فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد الكتاب العزيز قال: «ما هذا بشراً» وقال ما هنّ أمهاتهم».⁽⁴³⁾ فهو يقول عن لغة الحجاز أفصح ويزيد عليه ابن هشام بقوله: « وهي اللغة القويمة».⁽⁴⁴⁾ ويشير السيوطي إلى تقديم لغة الحجاز على لغة تميم صراحةً بقوله عن أدلة النحو:«وقولي:«وكيفية الاستدلال بها» عند تعارضها ونحوه، كتقديم السماع على القياس، واللغة الحجازية على التميمية إلّا لمانع...».⁽⁴⁵⁾ ويقول ابن هشام عن الأسماء الستة:«والأفصح استعمال الهنّ كعدّ».⁽⁴⁶⁾ ويقول عن التذكير والتأنيث في عبارتي «حَضِرَتِ القاضِيِ امرأةٌ» و«حَضَرَ القاضِيِ امرأةٌ» الأوّل أفصح».⁽⁴⁷⁾ ويقول في موضع آخر:«وإذا كان الفعل الماضي ثلاثياً معتل الوسط - نحو قال وباع - جاز فيه ثلاث لغات: إحداها- وهي الفصحى- كسر ما قبل الألف؛ فتقلب الألف ياءً...».⁽⁴⁸⁾ وقال عن عبارتي: «يا أبتا - بألف بعد التاء-

ويا أبتني- بياء بعد التاء»: «وهاتان اللغتان قبيحتان، والأخيرة أقبح من التي قبلها، و ينبغي ألا تجور إلا في ضرورة الشعر»⁽⁴⁹⁾.

فتلاحظ أنّ النحاة يقدّمون لغة قريش ويجعلونها أفصح لغات العرب فما وافقها فهو الأفصح ويستدلون أحياناً في تقديمها بنزول آيات القرآن الكريم موافقةً لها، ولكن في بعض الأحيان قد ترد اللغة المخالفة لها في القرآن الكريم والحديث النبوي كما في لغة أكلوني البراغيث، فقد أنكرها سيبويه وسماها «لغة أكلوني البراغيث» استخفافاً على الرُّغم من ورودها في القرآن الكريم والحديث النبوي، فقد جاءت في قوله تعالى: «وأسروا النجوى الذين ظلموا» وقوله: «ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم» وفي قول الرسول(ص): «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقوله: «أو مخرجي هم» ، ويسميا ابن مالك لغة يتعاقبون فيكم⁽⁵⁰⁾. بدلاً عن أكلوني البراغيث.

(د) الرُّقي اللغوي والاستعمار (اللغة والاستعمار):

حاولت الدّول الأوربية الاستعمارية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ترويج خطاب لغوي استعماري تهدف من ورائه إلى نشر لغاتها، فقد استطاع الاستعمار بكل ما أوتي من قوى أن يستحوذ على البلدان المغلوبة على أمرها، وأن ينشئ خطاباً لغوياً استعماريّاً حول اللغة والثقافة، يقدِّح في ثقافة تلك البلدان و يغضُّ من شأنها الحضاري والتاريخي، زاعماً أنّ اللغات الأروبية هي اللغات الحقيقية التي تحمل العلم والحضارة والثقافة، ولا يُحصل على التقدُّم والرُّقي إلا بها، ولا يولجُ عالم الحداثة والمعاصرة إلاّ بواسطتها، أمّا ما عداها فلا يعدو أنّ يكون لهجات أو لغيات قديمة لا تقوى على حمل الأفكار الحديثة⁽⁵¹⁾. ولم يكن محض صدفة أنّ اللغات الصناعية التي حوول تركيبها خلال هذه الفترة بما فيها الإسبرانتو لم تعط تمثيلاً متساوياً للغات ذات القيمة العالمية، فقد حصرت نفسها في اللغات ذات الأصل الجرمانى، أو اللاتينى أو الرومانى، أو اليونانى، مع إشارات سريعة إلى اللغات السلافية⁽⁵²⁾.

فلغات الشعوب الأخرى لا وجود لها في هذا المجال فهي لغات شعوب بدائية» فالخطاب اللغوي الاستعماري ينطلق من خلفية إنثروبولوجية ترى أنّ الرجل الأبيض يمثل قمة التطوُّر الحضاري البشري وأن الشعوب الأخرى ما هي إلاّ شعوب بدائية بربرية متخلّفة، ولربما نظر إليها على أنّها لم تتجاوز مرحلة الحيوان في وقت كانت تعجُّ فيه الأوساط العلمية بنظرية النشوء والارتقاء ففي أكتوبر من العام 1878م أقيم معرض بحديقة الحيوان بمدينة برلين الألمانية، وهذا المعرض حضره نحو اثنين وستين ألف شخص في يوم واحد، كان العرض الذي هرعت نحوه حشود من الجمهور الجامح المتحمّس هو مجموعة من نحو ثلاثين شخصاً من الرُّعاع بشرّة غامضة ولباس غريب (أو بالأصح من دون أي لباس، أطلق عليهم اسم «النوبيون» وكانوا في الواقع مجموعة من الرُّجال والنِّساء والأطفال من السُّودان⁽⁵³⁾). وفي سنة 1904م أقيم معرض ضخم في ولاية ميسوري الأمريكية بمناسبة مرور مائة عام على شراء لويزيانا وجرى إحضار جماعات عرقية غريبة ومثيرة من أنحاء العالم لعرضها في قرى منفصلة حسب موقعها المزعوم من التطوُّر وجاء في تقرير المعرض «النماذج الجسدية التي اختير تمثيلها هنا هي الأقل ابتعاداً عن النُّوع دون البشري رباعي الأيدي من القردة، بدءاً من سكان إفريقيا الأصليين من الأقزام، شاملاً للشعوب الرُّنجية من أواسط منداناو (الفلبين)، شعوب الأينو من جزر اليابان الشمالية... ونماذج مختلفة جسدياً من سكان أمريكا الأصليين»⁽⁵⁴⁾.

هذه هي الخلفية الأنثروبولوجية لهذا الخطاب اللغوي الاستعماري و التي يحاول أن يقنع بها أبناء المستعمرات، ليتبنوا لغة المستعمر والتي تمثل الطريق الوحيد للرقي والتطور والحضارة، فالكلام بلغة معينة هو مؤشر على قبول الحضارة أو الثقافة التي تعدُّ تلك اللغة أدواتها ووسيلتها للتواصل، وهو ما يعني في النهاية الاعتراف بأهمية ووزن هذه الثقافة».⁽⁵⁵⁾

وكانت فرنسا أكثر الدُول الاستعمارية ترويجًا وتطبيقًا لهذا الخطاب الاستعماري اللغوي. ومن رواد هذا الخطاب اللغوي الاستعماري العالم اللغوي «شليجل» ... صاحب نظرية التطور والارتقاء في اللغات البشرية، وقد قسّم اللغات إلى فصيلة تحليلية وأخرى إصاقية وثالثة عازلة، وتعدُّ اللغات الهندية - الأوربية- في نظرة في قمة هرم الارتقاء والتطور، ولغات السّود في أسفل السلم لأنها لغات بدائية».⁽⁵⁶⁾

والحقيقة أنّ هذا الخطاب اللغوي الاستعماري لا يستند إلى أي حقيق علمية لا في مضمونه اللغوي ولا في خلفيته الأنثروبولوجية، فليس هناك أيّ لغة غير مؤهلة للتعبير عن أعماق الأفكار، مهما اتصفت قبائل متحدثيها بالبدائية، فأى قصور في قدرة اللغة على التعبير عن فكر ما يعود إلى خلوها من مصطلحات معينة أو بعض قواعد لغوية، وتلك يمكن استعارتها»⁽⁵⁷⁾ فالمسألة لا تخرج عن حدود الثقافة وليست في طبيعة اللغة أو طبيعة الشعب المعين فإذا أخذنا بمصطلح الرّقي فما اللغة إلاّ عنوان لرقى الشعب، فإن كان متأخرًا كانت متأخرة، وإن كان متقدمًا كانت متقدّمة».⁽⁵⁸⁾ غير أنّ اللغات في أصل نشأتها متساوية وهي على قدر كبير من التعقيد، وهذا التساوي لا يقدح فيه اتسام بعض اللغات ببعض السمات البنائية أو التركيبية والتي تتميز بها عن اللغات الأخرى، فلغة أويخ وهي لغة قوقازية قديمة مات آخر المتحدثين بها سنة 1992م وهو فلاح تركي يُدعى توفيق إسينش، هذه اللغة تحتوي على أكبر عدد من الحروف الساكنة 81 حرفًا.

كما أنّ دراسة أجريت في اليابان على اللغات العالمية تستهدف معرفة أكثر اللغات وضوحًا صوتيًا في استخدامات الحاسب الآلي أثبتت أنّ اللغة العربية تنصدر هذه اللغات في هذه الناحية».⁽⁵⁹⁾

فهذه الأشياء لا تقدر في تساوي اللغات من حيث بنيتها التركيبية وعليه لا يصح أن توصف لغة بأثنا أرقى من لغة، فإن حدث ذلك فمرده إلى اعتبارات ثقافية أو سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية. ومن كل ذلك نخلص إلى أنّ الاعتبار السياسية والاجتماعية والثقافية قد تتدخل في بعض الأحيان في تشكيل صورنا لبعض المفاهيم اللغوية مخالفًا بذلك الواقع اللغوي الصحيح.

الخاتمة والنتائج

وفي ختام هذه الدراسة نوضّح أهم النتائج التي توصلت إليها وهي:
إنّ مفهوم اللغة الفصحى هو مفهوم نسبي تشكله أبعاد سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية تجعل العامة يعتقدون بأنّ لهجة ما أرفع من غيرها من اللهجات.
يخضع مفهوم اللغة واللهجة في بعض الأحيان إلى اعتبارات سياسية فيطلق على اللهجة مصطلح لغة؛ لأنّ متحدثيها هم شعب دولة مستقلة كما يطلق على اللغات المستقلة مصطلح لهجة؛ لأنّ هذه اللهجات تتفرّع عن لغة (ماكرو) هي لغة دولة موحّدة.

على الرغم من اعتبار مصطلح الأصالة وما يستتبعه من المساواة بين اللغتين معيارًا مهمًا في الثنائية اللغوية إلاّ أنّه وفي بعض الأحيان ولاعتبارات ثقافية أو سياسية أو اجتماعية ينظر إلى إحدى اللغتين على أنّها

أرقى من الأخرى.

تأثر النحاة العرب القدماء في نظرتهم للهجات العربية القديمة بالنظرة الثقافية والاجتماعية العامّة والتي تفضّل لغة الحجاز على سائر لغات العرب الأخرى. اعتمد الخطاب اللغوي الاستعماري في تفضيله للغات الأوربية على خلفية إنثروبولوجية انطلقت من أيديولوجيا سياسية ذات أهداف معينة. تتساوى جميع اللغات من حيث مرونة بنيتها التركيبية ومقدرتها على تحمّل طاقة فكرية أو علمية سواءً أكانت لغات مجتمع متمدّن أم مجتمع بدائيّ.

الهوامش:

- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة، 1992 ص 18 .
- (1) عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عُمان، الأردن، ط1، د ت ص 25.
 - (2) أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، المكتلة السلفية، القاهرة، 1908م ص 33.
 - (3) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ج 1، ص 10.
 - (4) سورة سبأ، الآية 13.
 - (5) سورة سبأ، الآية 27.
 - (6) سورة الشعراء، الآية 148.
 - (7) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 11.
 - (8) أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص 3.
 - (9) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 3، ص 5.
 - (10) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1985م، ص 45 - 46
 - (11) المرجع نفسه، ص 45
 - (12) أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر، 1403 هـ- 1983م، ص 367.
 - (13) أحمد العلوانة (1425)، عمر فرُوخ في خدمة الإسلام، كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد 102، 1425 هـ، هامش ص 85
 - (14) هيئة تحرير مجلة الدوحة، فتاوى كبار الكتاب والأدباء، الناشر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، 2013م، ص 57.
 - (15) انظر مي زيادة، بين الجزر والمد صفحات في اللغة والأدب والفن والحضارة، الناشر وزارة الثقافة والفنون والتراث- دولة قطر، 2016م، ص 53.
 - (16) أمباي لو بشير، قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، دار جامعة إفريقيا العالمية، 1416 هـ- 1995م ص 8.
 - (17) فالتة«هي عاصمة جزيرة غودش أكبر جزر مالطا.
 - (18) أحمد فارس الشدياق، الواسطة في أحوال مالطة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2015م
 - (19) غاي دويتشير، عبر منظار اللغة، ترجمة حنان عبد المحسن مظفر، عالم المعرفة، 2015م، ص 15.
 - (20) أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت، ص 79.
 - (21) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط 2، 1952م، ص 13.
 - (22) أنيس فريحة، اللهجات ودراساتها، ص 77.
 - (23) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 45.
 - (24) لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م، ص 241

- (25) محمد صالح سمك، فن تدريس اللغة العربية، د ت، ص 19.
- (26) ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، ترجمة حمزة بن قیلان المزیني، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1420هـ-2000م، ص 22.
- (27) الصديق عبد الله عمر، استعراض لكتاب لغة الطفل العربي لعلي القاسمي، مجلة العربية للناطقين بغيرها، 2011م، ص 199.
- (28) المرجع نفسه، ص 235.
- (29) انظر فواز محمد الراشد العبد الحق، مراثيات التخطيط اللغوي عرض ونقد مجلسة مجمع اللغة العربية الأردني، مج 20، العدد (5)، الأردن، 1996م، ص 125.
- (30) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1398هـ- 1978م، ص 95.
- (31) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 8، 1419هـ- 1998م، ص 225.
- (32) سمير شريف استينية، اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 1425هـ- 2005م، ص 665.
- (33) عبد الهادي محمد عمر تميم، اللغة العربية في المجتمع الإنموزج السوداني، دار جامعة إفريقيا العالمية، 1997م، ص 103.
- (34) محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت، 1413هـ- 1992م، ص 132-133.
- (35) سمير شريف استينية، اللسانيات، ص 668.
- (36) إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط 1، 1420هـ- 2010م، ص 75.
- (37) انظر المرجع نفسه، ص 76.
- (38) نقلاً عن جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1427هـ - 2006م، ص 39.
- (39) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج 1، د ت، ص 46.
- (40) المرجع نفسه، ص 67.
- (41) المرجع نفسه، ص 67.
- (42) المرجع نفسه، ص 108.
- (43) ابن هشام، قطر الندى و بلّ الصدى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 10، 1379هـ- 1959م، ص 143.
- (44) جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 14.
- (45) ابن هشام، قطر الندى و بل الصدى، ص 47.
- (46) المرجع نفسه، ص 183.
- (47) المرجع نفسه، ص 191.

- (48) المرجع نفسه، ص207.
- (49) انظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص32.
- (50) عبد الرحمن بودرع وآخرون، اللغة وبناء الذات، كتاب الأمة، العدد101، 1425هـ، ص63-64.
- (51) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص234.
- (52) غاي دويتشير، عبر منظار اللغة، ص75-76.
- (53) المرجع نفسه، ص99.
- (54) أحمد أبو زيد، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي، ط1، 2001هـ، ص45.
- (55) عبد الرحمن بودرع وآخرون، اللغة وبناء الذات، ص64.
- (56) غاي دويتشير، عبر منظار اللغة، ص18 - 19.
- (57) هيئة تحرير مجلة الدوحة، فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، 2013م، ص69.
- (58) أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان، السعودية، 2016م، ص30.
- (59)

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط2، 1952م
- (2) إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ-2010م
- (3) ابن هشام، قطر الندى و بلّ الصدى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط10، 1379هـ-1959م
- (4) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج1، د ت
- (5) أحمد أبو زيد، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي، ط1، 2001هـ،
- (6) أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان، السعودية، 2016م
- (7) أحمد العلاونة (1425)، عمر فرّوخ في خدمة الإسلام، كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد 102، 1425هـ
- (8) أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر، 1403هـ-1983م
- (9) أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، المكتبة السلفية، القاهرة، 1908م
- (10) أحمد فارس الشدياق، الوساطة في أحوال مالطة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2015م
- (11) أمباي لو بشير، قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، دار جامعة إفريقيا العالمية، 1416هـ-1995م
- (12) أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت ج
- (13) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ج 1
- (14) جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ - 2006م
- (15) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985م
- (16) ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، ترجمة حمزة بن قیلان المزيني، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1420هـ-2000م
- (17) سمير شريف استينية، اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 1425هـ-2005م
- (18) الصديق عبد الله عمر، استعراض لكتاب لغة الطفل العربي لعلي القاسمي، مجلة العربية للناطقين بغيرها، 2011م
- (19) عبد الرحمن بودرع وآخرون، اللغة وبناء الذات، كتاب الأمة، العدد 101، 1425هـ
- (20) عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عُمان، الأردن، ط1، د ت
- (21) عبد الهادي محمد عمر تميم، اللغة العربية في المجتمع الإيموذج السوداني، دار جامعة إفريقيا العالمية، 1997م
- (22) غاي دويتشير، عبر منظار اللغة، ترجمة حنان عبد المحسن مظفر، عالم المعرفة، 2015م
- (23) فواز محمد الراشد العبد الحق، مراثيات التخطيط اللغوي عرض ونقد مجلسه مجمع اللغة العربية الأردني، مج20، العدد (5)، الأردن، 1996م
- (24) لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م

الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية وانعكاساتها على التصور اللغوي

- (25) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ- 1998م
- (26) محمد صالح سمك، فن تدريس اللغة العربية، د ت
- (27) محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت، 1413هـ- 1992م
- (28) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة، 1992
- (29) مي زيادة، بين الجزر والمد صفحات في اللغة والأدب والفن والحضارة، الناشر وزارة الثقافة والفنون والتراث- دولة قطر، 2016م
- (30) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1398هـ- 1978م
- (31) هيئة تحرير مجلة الدوحة، فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، 2013م

الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في التحريض على العنف دراسة تطبيقية على عينة من شباب ولاية الخرطوم

محاضر - جامعة أمدرمان الأهلية - كلية
الأداب - قسم علوم الاتصال

أ. عبد السلام إبراهيم عبد القيوم نائل

مستخلص:

انطلقت هذه الدراسة من تساؤلٍ رئيسٍ هو إلى أي مدى تأثر الشائعات المنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي في التحريض على العنف؟ ، يتضمن هذا التساؤل تساؤلات فرعية تهدف جميعها إلى التعرف على رأي شباب ولاية الخرطوم ، باعتبارهم من أكثر الفئات استخداماً لمواقع التواصل الاجتماعي ، وأكثرهم معرفة بها ، كما يعتبرون أكبر فئة بحيث تمثل أكثر من 60 % من عدد السكان في السودان . وهذا ما أثبتته دراسات من قبل . هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أنواع الشائعات التي تؤدي إلى استخدام العنف ، والوقوف على التأثيرات النفسية للشائعات على الشباب السوداني ، كما أن هذه الدراسة اتبعت منهج المسح الميداني والمنهج الوصفي والتاريخي في الإطار النظري للدراسة ، كما أن الاستبانة تعتبر الأداة الرئيسية لجمع المعلومات من العينة المختارة لمجتمع الدراسة .

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي ، الشائعات ، التحريض ، العنف

Rumors across social media and its Role in instigation to violence Applied study in, Khartoum state youth

Abdulsalam Ibrahim Abdulgyum Nayil

Abstract:

This study is triggered by the main question; what the impact of rumors - spread on social media – on inciting violence. The main question includes sub-questions, all of which aim to identify the opinion of youth of Khartoum state for they are both the most group using and familiar with social media. They are also considered the largest group, representing more than 60 % of the population in Sudan. This has been proven by studies. This study aimed to reveal the types of rumors that lead to the use of violence, and to determine the psychological effects of rumors on Sudanese youth. The study adopted the field survey method, and the descriptive and historical approach in the theoretical framework of the study. The study used a questionnaire as the main tool for collecting data from the sample selected from the study population.

Keywords: social media, rumors, incitement, violence

مقدمة:

أسهم التطور في وسائل الإعلام الجديد في زيادة ممارسة الحرية في نقل وتداول المعلومات والأفكار والآراء، إلا أن هذه الحرية، وعلى الرغم من أهميتها تعتبر سلاح ذو حدين؛ فالحرية المطلقة في نقل وتبادل المعلومات، تساعد أصحاب المصالح الشخصية في تحقيق أطماعهم، والوصول إلى أهدافهم بشتى الوسائل. و مواقع التواصل الاجتماعي، التي تعتبر جزء مهم من وسائل الإعلام الجديد، أصبحت ضالة كل من في نفسه هدف، أو مصلحة، دون رقيب، ولا قانون يحد من ظاهرة التحريض على العنف في مواقع التواصل الاجتماعي.

كما أصبحت هذه المواقع تستخدم من قبل جماعات وأحزاب وهواة، فأصبح من الصعب التمييز بين الصدق والكذب، وبين المعلومة والرأي، الأمر الذي أصبح يشكل خطورة على بنية المجتمع السوداني الأصيل، وأصبحت تهدد أمنه واستقراره. كما تعد الشائعات من المواد الخطيرة التي يتم نشرها، خاصة تلك التي تدعو إلى الفتنة، وإثارة النزعات القبلية والعنصرية بين أطراف المجتمع السوداني.

مشكلة الدراسة:

- تنتقل مشكلة هذه الدراسة من تساؤل رئيس هو: إلى أي مدى تأثر الشائعات المنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي في التحريض على العنف: ويتفرع عن هذا التساؤل عدة تساؤلات:
- ما المقصود بمواقع التواصل الاجتماعي وما أنواعها؟
 - ما العنف وما أنواعه؟
 - إلى أي مدى تمثل الشائعات التي يتم نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي أهمية لدى الشباب؟

- إلى أي مدى تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي مصدر تلوث معلوماتي يدعو للعنف ؟
- إلى أي مدى أثرت الشائعات الداعية للعنف والمنشورة في هذه المواقع على الشباب ؟
- إلى أي مدى ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في التحريض ضد الأنظمة السياسية ؟

أهداف الدراسة:

التعرف على أبرز مواقع التواصل الاجتماعي نشرًا للشائعات .
الكشف عن مدى تقبل شباب ولاية الخرطوم للشائعات التي يتم نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي .

الوقوف على التأثيرات النفسية للشائعات على شباب ولاية الخرطوم .
الكشف عن أنواع الشائعات التي تؤدي إلى استخدام العنف .

عينة الدراسة:

تُعرف العينة بأنها «مجموعة من الأفراد، مشتقة من المجتمع الأصلي، ويفترض بها أن تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً حقيقياً»⁽¹⁾. تم تحديد العينة العشوائية البسيطة من الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي ، وتم تحديد حجم تلك العينة إلى (150) مفردة نسبة لـ كبر مجتمع الدراسة .

منهج وأدوات الدراسة:

استخدم الباحث منهج المسح الميداني .
الدراسات المسحية هي محاولة بحثية لتقرير وتحليل ووصف الوضع الراهن، لموضوع أو ظاهرة أو نظام أو جماعة، بهدف الوصول إلى معلومات وافية ودقيقة⁽²⁾ وتم استخدام هذا المنهج نسبة لطبيعة الدراسة التي تتطلب جمع معلومات من الجمهور.

تم استخدام أداتين في هذه الدراسة ، الأولى **الاستبانة**: عبارة عن مجموعة من الفقرات والأسئلة والعبارات التي يقوم الباحث بإعدادها بغرض الوصول إلى الاجابات أو البيانات التي يحتاج إليها؛ من أجل الوصول الى نتائج من خلالها تحقق أهداف كتابة البحث العلمي⁽³⁾.

كما استخدم الملاحظة : وتعتبر من أهم الأدوات المستخدمة في جمع البيانات. وهي تسمح للباحث بجمع البيانات والمعلومات من الحقل الطبيعي للدراسة⁽⁴⁾. جاء ذلك من خلال النقاش والحوار مع الشباب في أماكن تجمع الشباب « الميادين ، المقاهي ، الجامعات ، النوادي ... الخ » للتعرف على اهتماماتهم. أبرز الشائعات التي لقيت رواجاً في مواقع التواصل الاجتماعي . والتعرف على أضرار العنف والتحريض عليه في مواقع التواصل الاجتماعي على المجتمع .

تعريف المصطلحات :

مواقع التواصل الاجتماعي: تُعرف بأنها : مواقع مجتمعية تشاركية، يتشارك فيها أعضائها في الحياة الاجتماعية، والتواصل الاجتماعي؛ لإقامة روابط اجتماعية وثيقة، حيث يتم التفاعل بينهم عبر قنوات اتصال مختلفة تتمثل في الرسائل الفورية ، مشاركة المعلومات، وبعض وسائل الاتصال الأخرى؛ يُعبر كل فرد عما بداخله بحرية دون قيود مفروضة عليه⁽⁵⁾.

التحريض: هو تشجيع، أو إغراء شخص لآخر على ارتكاب جريمة، أو هو أمره لشخص مكلف تحت سلطانه بارتكابها حسب ما جاء تحت المادة 25 من القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م. أما المفهوم

الاصطلاح له يعرف بـ: «أنه عبارة عن خلق التصميم والعزيمة على ارتكاب وتنفيذ الجريمة. كما هو خلق فكرة الجريمة لدى الشخص المُحرَض بنية دفعه إلى ارتكاب الجريمة»⁽⁶⁾

العنف: هو سلوك معنوي أو مادي ترافقه قوة وإلحاق أذى بالآخرين ، ويتمثل في الاستخدام القسري ضد شخص ما رغماً عنه للقوة الجسدية والنفسية عبر الضرب أو التخويف ، مما قد يتسبب في جروح بدنية ومعاناة نفسية.⁽⁷⁾

الشائعات: « ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع تعتمد على المبالغة والتهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة ، بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو القومي تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو على النطاق العالمي بأجمعه»⁽⁸⁾

الشباب: تعددت الآراء في تعريف مفهوم الشباب بحيث لا يوجد تعريف واحد فهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح له ؛ نسبة لاختلاف الكُتَّاب والدارسين في تحديد مرحلة الشباب، فنجد من يحدد مرحلة الشباب من سن الخامسة عشر ، حتى الخامسة والعشرين ، وآخرين يحدونها من سن الثالثة عشر ، حتى سن الثلاثين. هذا الاختلاف أدى إلى ظهور اتجاهات متعددة لتعريف مرحلة الشباب وهي: **الاتجاه البيولوجي:** الذي يؤكد أن مرحله الشباب هي المرحلة التي يكمل فيها النضج العضوي والعقلي للفرد. **الاتجاه النفسي:** اهتم هذا الاتجاه بالنمو النفسي ويرى أنها مرحلة نمو وانتقال بين الطفولة والرشد. **الاتجاه الاجتماعي:** ينظر إلى مرحلة الشباب باعتبارها ظاهرة اجتماعية وليست ظاهرة بيولوجية فقط؛ فهي مرحلة تغير كمي ونوعي في ملامح الشخصية، ولا ترتبط بسن معين، هذه الملامح إذا ظهرت في فئة معينة صارت هذه الفئة شباباً.⁽⁹⁾

أولاً: مواقع التواصل الاجتماعي

أطلق على هذه المواقع على شبكة الإنترنت عديد من المصطلحات منها : (موقع الشبكة الاجتماعية ، شبكات التواصل الاجتماعي ، الشبكات الاجتماعية ، موقع التواصل الاجتماعي ، تطبيقات التواصل الاجتماعي) وجميع هذه المصطلحات تعبر عن التواصل والتفاعل بين مجموعة من الأفراد من خلال الشبكات الاجتماعية على الويب.⁽¹⁰⁾ وتعرّف مواقع التواصل الاجتماعي «بأنها أدوات اتصال تعتمد على شبكة الإنترنت ، تتيح للأشخاص التفاعل بعضهم مع بعض ، من خلال مشاركة المعلومات ، وتوفير للمستخدمين تبادلاً إلكترونياً سهلاً للمعلومات الشخصية والمحتويات الأخرى مثل: مقاطع الفيديو، والصور، ويتفاعل المستخدمون من خلالها عبر الحاسوب ، أو الجهاز اللوحي ، أو الهاتف الذكي ، عبر البرامج المستندة إلى الويب أو تطبيقات الويب ، ويتم استخدامها غالباً للمراسلة». وعرفها الفرنسي Guille Adrien «بأنها خدمة على الإنترنت تمكّن مستعمليها من شيئين أساسيين ، هما :

أولاً: إمكانية بعث صفحات أو حسابات خاصّة بالإنترنت يستطيعون من خلالها نشر رسائلهم.
ثانياً: إمكانية الاتصال بمستخدمين آخرين لتلك الخدمة قصد متابعة منشوراتهم.⁽¹¹⁾

الشائعة والتحريض على العنف:

تعد الشائعات الإلكترونية من الظواهر القديمة والمتجددة باللغة الأهمية، التي ترافق الأفراد في حياتهم اليومية، متخذة صور عدة، وتتعدد سبل انتشارها وتداولها، ويضاعف من هذه الأهمية شيوعها في كل مكان وزمان، وتزيد وتلقى رواجاً في فترة الأزمات السياسية والاقتصادية وغيرها.⁽¹²⁾ وتصنف الشائعات إلى عدة تصنيفات منها:

حسب الدافع الذي تم من أجله نشر الشائعة ويضمن هذا التصنيف، شائعات حاملة وهي التي تسعى لبث أخبار حاملة وغير حقيقية مثل: اشاعة خبر بانتهاء الحرب، أو التوصل لحصل سياسي في بلد يعاني من الخلافات السياسية. شائعات الكراهية: نشر صور غمطية سلبية عن شخصية أو جماعة أو حزب أو طائفة معينة في المجتمع.⁽¹³⁾

حسب الموضوع: تصنف إلى شائعة سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، دينية وغيرها.⁽¹⁴⁾

حسب سرعة سريانها: تصنف إلى

شائعة حايية: هي التي تنتشر ببطء شديد ويتسع نطاقها حتى تصل إلى الجميع.

شائعة مندفعة: وهي التي تنتشر بسرعة عالية جداً وسط المجتمع وفي سرعة قياسية تغطي كافة

مستخدمي الإنترنت.

شائعة غاطسة:

هي التي تنتشر بسرعة ثم تختفي وتعاود الظهور مرة أخرى.⁽¹⁵⁾

يرى الباحث أن من أخطر أنواع الشائعات، التي يتم نشرها في هذه الفترة «فترة الحكم الانتقالي والثورة السودانية والاحتجاجات» هي الشائعات التي تحرض على العنف سواء كان بين الأشخاص والآخرين، أو القبائل والجماعات والأحزاب السياسية والمؤسسة العسكرية والشعب وتدعو للطائفية. هذا النوع من الشائعات قد يؤدي إلى انفلات أمني خطير، يضر بالمجتمع في كافة مجالاته، ومهدد أمني داخلي لا تُحمد عقباه. ظاهرة العنف هي ظاهرة قديمة في المجتمعات، وتطور هذه الظاهرة ونموها يرجع إلى رقي المجتمع ودرجة الوعي والثقافة فيه، وعلى الرغم من ظهور منظمات تقف ضد العنف مثل منظمة حقوق الإنسان، إلا أن العنف مازال باقي داخل المجتمعات، ولم تزل مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة وبيئة خصبة للتحريض على العنف داخل المجتمع، باستخدام وسائل مختلفة مثل الشائعات على سبيل المثال.

هذا ويعرف العنف بأنه تطبيق قوة بدنية على هدف معين وتسبب الضرر له، وقد يكون هذا الضرر جسدياً أو نفسياً أو كليهما⁽¹⁶⁾، كما عرفته منظمة الصحة العالمية في التقرير العالمي حول العنف والصحة على أنه: «الاستخدام المعتمد للقوة الجسدية أو اللفظية أو النفسية ضد الشخص نفسه أو مجموعة أو مجتمع، الأمر الذي يتسبب باصابات جسدية أو الوفاة أو الأذى النفسي⁰ وللعنف عدة أنواع منها «العنف الجسدي واللفظي، والعنف الجنسي» وتنطوي تحت هذه الأنواع أنواع أخرى، كما أن له عدة أشكال مثل «العنف ضد الطفل وضد المرأة، وغيره من الأشكال»⁽¹⁷⁾

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع البحث من شباب ولاية الخرطوم المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي. عينة الدراسة: تتكون عينة الدراسة من (150) شاب تم اختيارهم بصورة عشوائية من الجنسين في الفترة ما بين 1 مارس 2022م إلى 1 مايو 2022م

الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في التصريض على العنف دراسة تطبيقية على عينة من شباب ولاية الخرطوم

أداة الدراسة: استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع المعلومات من العينة المختارة في الحصول على المعلومات . بجانب الملاحظة البسيطة.

تحليل الفقرات والمحاور:

استخدم الباحث عديد من الاختبارات الإحصائية لتحليل محاور الاستبانة ، واستخراج المتوسط الحسابي ، وكانت تفاصيل المحاور كالآتي :

التصنيف	أوافق	محايد	لا أوافق
الدرجة	1	2	3

أولاً: البيانات الشخصية:

المحور الأول:

يبين تعرض الشباب للشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي ، حيث قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة حيث تضمنت استخدام المتوسط الحسابي لكل فقرة من فقرات المحور الأول

المحور الثاني:

ما مدى تفاعل الشباب السوداني مع الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي ؟ حيث قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة حيث تضمنت استخدام المتوسط الحسابي لكل فقرة من فقرات المحور الثاني

النوع:

النسبة	التكرار	الفئات
54 %	81	ذكر
46 %	69	أنثى
100 %	150	المجموع

استهدفت الدراسة عدد 100 فرد لاستطلاع رأيهم حول الشائعات ودورها في التصريض على العنف بحيث كان عدد الأفراد الذكور 54 فرد بنسبة 54.4 % من العدد الكلي لأفراد العينة ، بينما كان عدد الإناث 45 أنثى من العدد الكلي لأفراد العينة بنسبة 45.5 % .

العمر:

النسبة	التكرار	الفئات
38 %	57	15-25
40.6 %	61	26-35
21.4	32	36-45
100 %	150	المجموع

يتضح من الجول أعلاه أن الفئات العمرية تراوحت بين عمر 15 عاماً ، حتى 45 عاماً فُسمت كالآتي: 57 فرداً من أفراد العينة بنسبة 38 % من العدد الكلي لأفراد العينة تتراوح أعمارهم بين 15-25 عاماً

. وكان 61 فرد من مجتمع العينة أعمارهم تتراوح بين 26-35 عاماً، كانت نسبتهم في مجتمع الدراسة تعادل 40.6 % من مجمل مجتمع العينة، أما الذين تتراوح أعمارهم بين 36-45 في عينة الدراسة كان عددهم 32 فرد بنسبة 21.4 % من العدد الكلي لأفراد العينة.

المستوى التعليمي:

النسبة	التكرار	الفئات
12 %	18	ثانوي
54.6 %	82	جامعي
33.4 %	50	فوق الجامعي
100 %	150	المجموع

يوضح الجدول أعلاه المستوى التعليمي للمبحوثين، حيث يضح أن نسبة حاملي الشهادة الثانوية 12 % وعددهم 18 فرد من العدد الكلي لأفراد العينة، أما حملة الشهادات الجامعية كان عددهم 82 فرد بنسبة 54.6 % من العدد الكلي لأفراد العينة، وكان عدد حاملي الدرجات فوق الجامعية (ماجستير - دكتوراه) 50 فرد بنسبة 33.4 % من العدد الكلي لأفراد عينة.

الحالة الاجتماعية:

النسبة	التكرار	الفئات
55.3 %	83	أعزب
23.3 %	35	متزوج
12 %	18	مطلق
9.4 %	14	أرمل
100 %	150	المجموع

يتضح من الجدول اعلاه أن نسبة أفراد العينة غير المتزوجين تمثل 55.3 % وعددهم 83 فرد من عدد أفراد العينة الكلي، بينما تمثل نسبة المتزوجين من أفراد العينة 23.3 % وكان عدد المطلقين 18 فرد بنسبة 12 % من العدد الكلي لأفراد العينة، أما عدد الأرامل في عينة الدراسة كان بواقع 14 فرد بنسبة 9.4 % من مجموع النسبة الكلي لمجتمع الدراسة.

التعامل مع المعلومات التي تدعو للعنف:

كيف تتعامل مع المعلومات التي تدعو للعنف ولا تعرف مصدرها؟

النسبة	التكرار	الفئات
18.6 %	28	احرص على كشف الحقيقة أمام الجميع
14.6 %	22	أفقد الثقة في المسؤولين وقادة الرأي
41.4 %	62	أفقد الشعور بالأمان والطمأنينة
25.4 %	38	أشعر بالخوف والقلق وعدم الراحة
100 %	150	المجموع

الجدول أعلاه يوضح كيفية تعامل المبحوثين مع المعلومات التي تدعو للعنف التي في مواقع التواصل الاجتماعي دون معرفة مصدرها، بحيث كان 28 فرد من أفراد العينة بنسبة 18.6 % يحرصون دائماً على كشف الحقيقة أمام الجميع والبحث عنها ، أما 22 فرد من أفراد العينة كانوا يفقدون الثقة في المسؤولين وقادة الرأي عندما يتعرضون لمعلومات تدعو للعنف في مواقع التواصل الاجتماعي ، بينما نجد 62 فرداً وبنسبة 41.4 % يفقدوا الشعور بالأمان والطمأنينة بسبب المواضيع التي تدعو للعنف ، وآخرين يشعرون بالخوف والقلق وعدم الراحة بسبب المعلومات التي تدعو للعنف في مواقع التواصل الاجتماعي ، وكانت نسبتهم 25.4 % وعدددهم 38 فرد من العدد الكلي لأفراد العينة .

نوعية الشائعات التي يتم نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي:

ما نوعية الشائعات التي تعرضت لها في مواقع التواصل الاجتماعي

النسبة	التكرار	الفئات
19.3 %	29	شائعات تدعو للعنصرية
14.7 %	22	شائعات ملفقة للشباب المطالبين بالحرية والحقوق السياسية
12 %	18	شائعات ملفقة للقوات النظامية
10.6 %	16	شائعات تدعو للعنف والحرب
9.3 %	14	شائعات تدعو لعدم اتاحة حرية التعبير للآخرين
32.7 %	49	كل ما ذكر
1.4 %	2	أخرى تذكر
100 %	150	المجموع

يوضح الجدول أعلاه أن 19.3 % من إجمالي أفراد العينة تعرضوا لشائعات تدعو للعنصرية في مواقع التواصل الاجتماعي ، وأن 14.7 % من عينة الدراسة تعرضوا لشائعات ملفقة للشباب المطالبين بالحرية السياسية في مواقع التواصل الاجتماعي ، وأن 12 % من عينة الدراسة تعرضوا لشائعات ملفقة للقوات النظامية بمختلف أنواعها ، و 10.6 % من عينة الدراسة تعرضوا لشائعات تدعو للعنف والحرب ، وأن 9.3 % من أفراد العينة تعرضوا لشائعات تدعو لعدم حرية التعبير عدد 49 فرد من عينة الدراسة وبنسبة 32.7 % تعرضوا لجميع أنواع الشائعات المذكورة .

شكل الشائعات المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي:

ما الشكل الأكثر انتشاراً في نشر الشائعات على مواقع التواصل الاجتماعي

النسبة	التكرار	الفئات
25.3 %	38	خبر أو معلومة في نص مقروء
13.3 %	20	التلاعب في مقطع فيديو
11.4 %	17	التلاعب في صورة فتوغرافية
50 %	75	كل ما ذكر
100 %	150	المجموع

يوضح الجدول أعلاه شكل الشائعة الأكثر انتشاراً في مواقع التواصل الاجتماعي بحيث كان 25.3 % من أفراد العينة يرون أن أكثر شكل للشائعات هو المعلومات والنصوص ، بحيث يرى 13.3 % أن التلاعب في مقطع فيديو ونشر على مواقع التواصل الاجتماعي وهو الأكثر انتشاراً ، وكان 11.4 % من أفراد العينة يرون أن أكثر أشكال الشائعات المنتشرة هي التلاعب في صورة فتوغرافية ، و 50 % من العدد الكلي لأفراد العينة يرون أن كل ما تم ذكره هو منتشر على مواقع التواصل الاجتماعي .

المحور الأول: يبيّن تعرض الشباب للشائعات في مواقع التواصل:

1	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة	الترتيب
2	اعتقد أن مواقع التواصل الاجتماعي يتم استغلالها في نشر الشائعات	50	33.77869	57.3	1
3	ألجأ الى نشر الأكاذيب للانتقام من بعض الأشخاص	50	29.10326	55.3	1
4	أشارك في نقل الأخبار دون الرجوع لمصدرها مع أصدقائي وفي القرويات المختلفة	50	36.05551	60	1
5	تتركز أغلب الشائعات المنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي حول الدعوة للعنصرية	50	6.082763	36	2
6	يعتبر رجال السياسة والدين هم أكثر فئة تدور حولها الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي	50	30.04996	56	3
7	تعتبر الشائعات مادة ذات أهمية بالنسبة لي	50.33333	26.40707	52.6	3
8	الشائعات التي تحرض على الأنظمة السياسية تنصدرها مواقع التواصل الاجتماعي أولاً	50	32.14032	58	3
9	أتقبل الشائعات وجميع أنواع الأخبار بصدق ولا أعمل على البحث لمعرفة صحتها	50	26.88866	54	1
10	أشعر بالضيق والقلق والخوف عندما أتعرض لشائعة في مواقع التواصل الاجتماعي	50.33333	24.66441	52	3

تشير بيانات الجدول السابق إلى مدى تفاعل الشباب السوداني مع الشائعات التي تدعو للعنف على مواقع التواصل الاجتماعي ، حيث كان اعتقاد 57.3% إن مواقع التواصل الاجتماعي يتم استغلالها في عملية نشر الشائعات في المرتبة الأولى ، كما أن 55.3% يلجؤون إلى نشر الأكاذيب للانتقام من بعض الأشخاص ويشاركون في نقل وتبادل المعلومات مع الأصدقاء في مواقع التواصل الاجتماعي دون الرجوع لمصادرها بنسبة 60% من العدد الكلي لأفراد العينة ويتقبلون الأخبار والشائعات بصدور رحب بنسبة 54% من إجمالي أفراد العينة . وجاء في المرتبة الثانية جاءت فقرة: أغلب الشائعات المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي تركز على الدعوة للعنصرية بنسبة 36% من العدد الكلي لعينة الدراسة. تليها في المرتبة الثالث فقرة: أن رجال السياسة والدين هم أكثر الفئات عرضة للشائعات بحيث كانت النسبة 56% ، وفقرة: أن الشائعات مادة مهمة بالنسبة للشباب بنسبة 52.6% ، وفقرة: تحريض الشائعات الشباب ضد الأنظمة السياسية بنسبة 58% ، وفقرة: شعورهم بالخوف والقلق عند تعرضهم لشائعة تدعو في مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 52% من إجمالي عينة الدراسة .

المحور الثاني: ما مدى تفاعل الشباب السوداني مع الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي :

1	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
2	مارست العنف اللفظي أو الضرب مع شخص ذات مرة بسبب شائعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي	50	36.42801	61.3	3
3	تعرضت للشتم والإساءة والضرب بسبب شائعة في مواقع التواصل الاجتماعي	49.66667	32.41913	56.6	3
4	الأخبار المنشورة من المعارضين السياسيين زادت رغبتني في الانتقام من الانظمة السياسية التي تقاوم بالعنف المحتجين المطالبين بحقوقهم	50	17.24336	46	3
5	أغلب فيديوهات المسؤولين ونجوم المجتمع التي يتم قصها ودمجها مع الأحداث تشعرني بالرغبة في النيل منهم	50	33.71943	58	3
6	أقلد حركات العنف التي يتم نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي .	50	6.082763	36	2
7	بعض الناشطين السياسيين يمارسون نشر شائعات العنف في مواقع التواصل الاجتماعي لأغراض سياسية	50	33.54146	58.6	1

1	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
8	تنتشر شائعات كثيرة في مواقع التواصل الاجتماعي تحرض الاشخاص على الآخرين كما تحرضهم على العنف ضد الاحزاب والجماعات	50	41.30779	65.3	1
9	أثرت الشائعات التي تدعو للعنف على الحالة النفسية للشباب السوداني	50	37.51	62	1
10	تعتبر شائعات العنف من أخطر أنواع الشائعات التي تنشرها مواقع التواصل الاجتماعي	50.33333	11.26943	42	1
	بعض الشائعات دعت المحتجين الى استخدام السلاح الأيض وقت الاحتجاجات السياسية	50	32.41913	56.6	3

يتضح للباحث من الجدول أعلاه أن فقرة: الناشطين والسياسيين يمارسون نشر الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق أغراض سياسية جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 58.6 % ، وفقرة: انتشار كثير من الشائعات عبر منصات التواصل الاجتماعي تحرض الاشخاص على الآخرين كما تحرضهم على العنف ضد الجماعات والأحزاب بنسبة 65.3 % ، وفقرة: تأثير الشائعات التي تدعو للعنف على الحالة النفسية للشباب السوداني بنسبة 62 % ، وشائعات العنف تعتبر أخطر أنواع الشائعات التي تنشرها مواقع التواصل الاجتماعي التي كانت نسبتها 42 % من العدد الكلي لأفراد عينة الدراسة ، أما المرتبة الثانية جاءت فقرة: تقليد الشباب لحركات العنف المنشور على منصات التواصل الاجتماعي بنسبة 36 % ، تلتها في المرتبة الثالثة ممارسة الشباب للعنف والضرب ذات مرة بسبب شائعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 61.3 % ، وفقرة: تعرض الشباب للشتم وللإساءة والضرب بسبب شائعة على مواقع التواصل لاجتماعي بنسبة 56.6 % ، وفقرة: الاخبار المنشورة على منصات التواصل الاجتماعي زادت رغبة الشباب في الانتقام من الانظمة السياسية التي تقاوم بالعنف المحتجين المطالبين بحقوقهم السياسية بحيث جاءت نسبتها 46 % ، وفقرة: بعض الشائعات دعت المحتجين السياسيين إلى استخدام السلاح الأبيض وقت الاحتجاجات السلمية وكانت نسبة هذه الفقرة 56.6 % من العدد الكلي لعينة الدراسة .

الخاتمة:

إن وسائل الإعلام الجديد، والتي تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي جزءاً منها ، له دور فعّال في التأثير على المجتمعات ككل ؛ فهي تؤثر على فئة الشباب باعتبارها الفئة الأكثر استخداماً لهذا النوع من الإعلام ، والفئة القادرة على التعامل مع التكنولوجيا . هذه المواقع وعلى الرغم مما تحمله من مميزات

وخصائص، إلا أن لها سلبيات كثيرة ، في مقدمتها : نشر الشائعات ؛ لأنها تمثل بيئة خصبة لتداول ونقل الأخبار التي تُلَقِّق التهم، وتدعو إلى العنصرية والتحريض . عليه خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها : أكدت الدراسة أن مواقع التواصل الاجتماعي يتم استغلالها من قبل جماعات في نشر الشائعات وسط الشباب السوداني بينت الدراسة أن معظم الشباب السوداني يقوم بعملية إعادة نشر الأخبار والمعلومات دون الرجوع إلى مصدرها غالباً أثبتت الدراسة أن معظم الشباب لا يبحثون عما إذا كانت الأخبار الواردة إليهم في مواقع التواصل الاجتماعي صحيحة أم لا . أثبتت الدراسة أن بعض السياسيين والناشطين والإعلاميين يمارسون نقل ونشر الشائعات المتعلقة بالعنف لأغراض سياسية . أكدت الدراسة أن هنالك كثير من الشائعات التي تعمل على التحريض بممارسة العنف ضد الأحزاب والجماعات والقبائل السودانية وسط الشباب السوداني . أثبتت الدراسة أن نشر الشائعات على مواقع التواصل الاجتماعي لها أثر على الحالة النفسية لدى الشباب وإصابتهم باليأس . إتضح من خلال الدراسة أن الشائعات تأتي في شكل (نص ، صورة ، فيديو ، رسم كاريكاتوري) يتم التلاعب فيهم مما يحقق للناشرين أهدافهم منها. أوضحت الدراسة أن معظم الشائعات التي يتم تداولها وسط الشباب السوداني هي عبارة عن شائعات تدعو للعنصرية ، والعنف والحرب ، وشائعات ملفقة على القوات النظامية ، والمتظاهرين المطالبين بحقوقهم السياسية ، وبعضها شائعات تمنح ممارسة حرية الرأي لفتات وجماعات معينة . أكدت الدراسة أن الشائعات التي تدعو إلى العنف بمواقع التواصل الاجتماعي تفقد الشباب الشعور بالأمن والطمأنينة كما تشعرهم بالقلق وعدم الراحة . أكدت الدراسة أن موقع (فيس بوك و واتساب) هي أكثر المواقع التي تروج للشائعات وسط الشباب السوداني .

التوصيات:

1. على الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي عدم نشر أي خبر أو معلومة داعية للعنف أو العنصرية أو تحرّض عليها .؟
2. على الشباب السوداني التأكد من صحة الأخبار والمعلومات الواردة إليهم قبل القيام بعملية إعادة النشر لها بين الأقارب والأصدقاء والمعارف .
3. عدم الانجرار خلف الناشطين والسياسيين والإعلاميين الذين يحرضون على استخدام العنف سواء كان ضد أفراد أو جماعات أو قبائل .
4. عدم النشر أو المشاركة في نشر شائعة بغرض الانتقام من الأفراد الجماعات .
5. على الشباب السوداني الالتزام بالوعي والعمل على توعية الأشخاص الذين يمارسون عملية النشر الأعمى (بدون التأكد من صحة المعلومات المنشورة) .
6. الاستفادة من إمكانات وسائل التواصل الاجتماعي في عملية كشف الحقائق وتفنيد الشائعات والعمل على إبطالها .
7. عدم الإعجاب بالصفحات التي تنشر الفتنة ، أو تدعو لها ، أو تلمّح لها .
8. عدم المشاركة في أي عمل عنف تمت الدعوة إليه عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو خلافه .

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يديك عزيزي القارئ صحيفة إستبانة لدراسة علمية بعنوان ” الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في التحريض على العنف بين الشباب دراسة تطبيقية على شباب ولاية الخرطوم“ أرجو منكم الاجبة عليها ولكم جزيل الشكر .

كل المعلومات داخل الاستبانة تستخدم لأغراض البحث العلمي فقط .

الباحث

أولاً : البيانات الشخصية

النوع: ذكر أنثى

العمر : 25-15 35-26 45-36

الحالة الإجتماعية: متزوج أعزب مطلق أرمل

المستوى التعليمي: أساس ثانوي جامعي فوق الجامعي

المحور الأول: تعرض الشباب للشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي

1 - كيف تتعامل عندما تتعرض لخبر أو معلومة تدعو للعنف ولا تعرف مصدرها

- أفقد الثقة في المسؤولين وقادة الرأي في مجتمعي

- أحرص على الكشف على الحقيقة أمام الجميع

- أشعر بالخوف والقلق وعدم الراحة

- أفقد الشعور بالأمان والطمأنينة

2 - مانوعية الشائعات التي تعرضت لها في مواقع التواصل الاجتماعي. (يمكن إختيار أكثر من خيار)

- شائعات تدعو للعنصرية والفتنة

- شائعات تدعو للحرب والعنف

- شائعات تدعو لعدم اتاحة الحرية في التعبير لآخرين

- شائعات ملفقة على القوات النظامية

- شائعات ملفقة على المواطنين المطالبين بحقوقهم

- كل ما ذكر

3 - ما الشكل الأكثر إنتشاراً في نشر الشائعات

خبر ومعلومات نصية التلاعب في صورة فوتوغرافية

التلاعب في تسجيل صوتي التلاعب في مقطع فيديو

4- في رأيك ما أكثر مواقع التواصل الاجتماعي نشرًا للشائعات

فيسبوك واتساب تويتر أستغرام تلغرام

أخرى تذكر.....

المحول الثاني: الشائعات والشباب السوداني

لا	أحياناً	نعم	المفردة
			(1) أعتقد أن مواقع التواصل الاجتماعي يتم إستغلالها في نشر الشائعات
			(2) الجأ الى نشر الأكاذيب للإنتقام من بعض الأشخاص
			(3) أشارك في نقل الأخبار دون الرجوع لمصدرها مع أصدقائي وفي القروبات المختلفة
			(4) تتركز أغلب الشائعات المنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي حول الدعوة للعنصرية
			(5) يعتبر رجال السياسة والدين هم أكثر فئة تدور حولها الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي
			(6) تعتبر الشائعات مادة ذات أهمية بالنسبة لي
			(7) الشائعات التي تحرض على الأنظمة السياسية تنصدها مواقع التواصل الإجتماعي أولاً
			(8) أتقبل الشائعات وجميع أنواع الأخبار بصدر رحب ولا أعمل على البحث لمعرفة صحتها
			(9) أشعر بالضيق والقلق والخوف عندما أتعرض لشائعة في مواقع التواصل الاجتماعي

المحور الثالث: التحريض على العنف بإستخدام الشائعات

لا أوافق	محايد	أوافق	المفردة
			1. مارست العنف اللفظي أو الضرب مع شخص ذات مرة بسبب شائعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي
			2. تعرضت للشتم والإساءة والضرب بسبب شائعة في مواقع التواصل الاجتماعي
			3. الاخبار المنشورة من المعارضين السياسيين زادت رغبتني في الانتقام من الانظمة السياسية التي تقاوم بالعنف المحتجين المطالبين بحقوقهم
			4. أغلب فيديوهات المسؤولين ونجوم المجتمع التي يتم قصها ودمجها مع الأحداث تشعرني بالرغبة في النيل منهم
			5. أقلد حركات العنف التي يتم نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي .
			6. بعض الناشطين السياسيين يمارسون نشر الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي
			7. تنتشر شائعات كثيرة في مواقع التواصل الاجتماعي تحرض الاشخاص على الآخرين كما تحرضهم على الاحزاب والجماعات
			8. أثرت الشائعات التي تدعو للعنف على الحالة النفسية للشباب السوداني
			9. تعتبر شائعات العنف من أخطر أنواع الشائعات التي تنشرها مواقع التواصل الاجتماعي
			10. بعض الشائعات دعت المحتجين الى إستخدام السلاح الابيض وقت الاحتجاجات السياسية

الشائعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي وورهابي التصريح على العنف دراسة تطبيقية على عين من شباب ولاية الخرطوم

من خلال تصفحك لمواقع التواصل الاجتماعي ما أكثر المواقع التي تنشر الشائعات الداعية للعنف ؟

.....
.....

ماهي إقتراحاتك في إبطال شائعات العنف وسط الشباب السوداني ؟

.....
.....

دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة

(دراسة وصفية تحليلية بالتطبيق على عينة من الجامعات السودانية)

محاضر جامعة السودان كلية علوم الاتصال

أستاذ مشارك جامعة أم درمان الأهلية
كلية الآداب قسم علوم الاتصال
أستاذ مساعد جامعة السودان
كلية علوم الاتصال

أ. محمد عثمان عمر الفكي

د. عكاشة أبو العلا حامد

د. شاذي محمود الزين

المستخلص:

هدفت الدراسة بعنوان دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة إلى ارتباط التقنيات الحديثة ودورها في تطوير إنتاج المواد الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية والرقمية بالجامعات السودانية، وتحديد المفاهيم وأساليب إنتاج المواد الإعلامية، والتعرف على الاستخدامات الحديثة ودور التكنولوجيا في إنتاج المواد الإعلامية. وحددت الدراسة معايير تحسين الأداء الواجب إتباعها في تنفيذ عمليات الإنتاج الإعلامي، واشتملت الدراسة على خمسة فصول: الإطار المنهجي، التقنيات الحديثة في الإنتاج الإعلامي، متطلبات الإنتاج الإعلامي، طرائق صناعة المواد الإعلامية في التعليم العالي، والدراسة الميدانية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب التحليل الإحصائي (الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية) لتحليل المعلومات والبيانات واحتوت الدراسة على أداة رئيسة وهي الاستبيان ثم المقابلة، والملاحظة وتم اختيار عينة من خبراء وموظفي العلاقات العامة بجامعة الخرطوم، وجامعة امدرمان الإسلامية، وجامعة الأحفاد، وجامعة القراءان الكريم والعلوم الإسلامية، وجامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا، وكلية الإمام الهادي وجاءت الدراسة بنتائج أهمها: مواقع التواصل الاجتماعي تدعم عمليات الإنتاج الإعلامي، يتطلب إنتاج المواد الإعلامية توافر الإمكانيات المادية اللازمة وتقنيات رقمية حديثة وفريق عمل مدرب على استخدامها، اندماج التقنيات والبرامج المختلفة تساعد في تطور إنتاج المواد الإعلامية، أداء كوادرات العلاقات العامة في الجامعات السودانية تتطلب التدريب المستمر ومعرفة التعامل مع التقنيات الحديثة، العلاقات العامة تستخدم الحاسوب وتطبيقاته من برامج وتصاميم متخصصة. وبناء على النتائج خرجت الدراسة بتوصيات لمعالجة القصور من أهمها: تفهم الإدارة العليا لدور العلاقات العامة الرئيس بتحسين الصورة الذهنية من خلال إنتاجها للمواد الإعلامية الرقمية، ودعم الإدارة العليا مادياً وتوفير أجهزة وأدوات حديثة شبكات لتنفيذ عملية الإنتاج، وإتباع الأسلوب العلمي وعناصر الإنتاج الإلكتروني والاستعانة بالخبراء لتطوير عملية الإنتاج، العمل على إقامة الدورات المتخصصة باستخدام التقنيات الحديثة والتطبيقات إنتاج المواد الإعلامية.

**The role of modern technologies in the development of the production of media materials for public relations
(An analytical descriptive study applied to a sample of Sudanese universities**

Researcher Preparation: Mohamed Osman Omer Alfaki, D. Okasha Hamid, D.Shaza Mahmoud

Abstract:

The study, entitled The Role of Modern Technologies in Developing the Production of Media Materials for Public Relations, aimed at linking modern technologies and their role in developing the production of print, audio, visual and digital media materials in Sudanese universities, identifying concepts and methods of producing media materials, and identifying modern uses and the role of technology in producing media materials. The study identified standards for improving performance to be followed in the implementation of media production operations, and the study included five chapters: the methodological framework, modern techniques in media production, media production requirements, methods of manufacturing media materials in higher education, and the field study. The researcher used the descriptive analytical approach, and the statistical analysis method (statistical packages for social sciences) to analyse information and data. The study included a main tool, which is the questionnaire, then the interview, and observation. A sample of experts and public relations employees were selected at the University of Khartoum, Omdurman Islamic University, Al-Ahfad University, and the University of the Holy Qur'an. and Islamic Sciences, the University of Medical Sciences and Technology, and Imam Al-Hadi College. The study came up with the most important results: social networking sites support media production processes, the production of media materials requires the availability of the necessary material capabilities, modern digital technologies and a trained team, the integration of different technologies and programs that help in the development of materials production Media, the performance of public relations cadres in Sudanese universities requires continuous training and knowledge of dealing with modern technologies. Public relations use the computer and its applications of specialized programs and designs. Based on

the results, the study came out with recommendations to address the shortcomings, the most important of which are: the understanding of the senior management of the main role of public relations in improving the mental image through its production of digital media materials, financial support for senior management, providing modern devices and tools, networks to implement the production process, following the scientific method and elements of electronic production, and the use of experts to develop The production process, working on the establishment of specialized courses using modern technologies and applications, the production of media materials.

المقدمة:

تمثل العلاقات العامة البوابة الرئيسة لعلوم الاتصال من خلال تطبيقاتها النظرية والعملية وتداخلها مع العلوم الأخرى، ومع ظهور ثورة التكنولوجيا في القرن الحادي والعشرين التي أحدثت التغيرات في العلوم التطبيقية والإنسانية، وساعدت التكنولوجيا الحديثة في تنمية الحياة الاجتماعية، فظهرت العديد من التحولات متمثلة في زيادة المعرفة وتقديم الصناعات، والتطور المتسارع في مجال الاتصالات والإنترنت، وتطبيقات التحول الرقمي وأطلق العالم على هذا التحول بالعصر الرقمي، الذي فرض على العلماء التسابق في البحث على الأساليب والبدائل الحديثة جاءت فكرة الدراسة لمواكبة التطور التكنولوجي من خلال برامج العلاقات العامة وأنشطتها في السعي والبحث عن التقنيات والأساليب الحديثة التي تطور من مدخلات إنتاج المواد الإعلامية. ويصور الذهن الغموض في وجود تقنيات حديثة تطور من إنتاج العلاقات العامة للمواد المقروءة والمسموعة والمرئية، لذا لابد من معرفة المفاهيم الأساسية للمواد الإعلامية وكيفية إنتاجها، والأساليب المستخدمة في عملية الإنتاج الإعلامي من جماليات الشكل والتصاميم والإخراج الفني لها، وكيفية إدخال التقنية الحديثة في مراحل الإنتاج المتعددة، مما يفرض احتمال أن إدخال العناصر الفنية من كوادر مؤهلة، وتقنية هي أساس الإنتاج في المواد الإعلامية، وكل الأساليب الحديثة المستخدمة تؤدي لتطوير المادة الإعلامية. وتسعى الدراسة لمعرفة أساسيات إنتاج المواد الإعلامية والتطبيقات والبرامج التي تطور الإنتاج والعوامل الفنية والتقنية المساعدة. وتشمل الدراسة المحاور التالية: أولاً: التقنيات المستخدمة في إنتاج المواد الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، والكشف في إيجاد الطرق والسبل المستحدثة اللازمة لعملية الإنتاج، إضافة لذلك التقنية الحديثة واستخداماتها، ثانياً: عوامل التطوير من موارد بشرية، ومعايير تطوير إنتاج المواد الإعلامية. ثالثاً: طريقة صناعة المواد الإعلامية بالجامعات والتطرق للعوامل المساعدة، واستخدامات الوسائل التقنية والتطبيقات الحديثة في عمليات الإنتاج وذلك لإثبات أو نفي فاعلية هذه التقنيات في تطوير إنتاج المواد الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية. (الباحث، 2022م)

مشكلة البحث:

أتاح الواقع الافتراضي (الإنترنت)، التطبيقات والتقنيات الحديثة والأجهزة المستخدمة في خطوات الإنتاج الإعلامي من الدعم التقني في تصاميم الأشكال، والعناصر الأخرى المساعدة، والإخراج للمواد الإعلامية،

وأساليب عرضها ودرجة تأثيرها مما أدى إلى: تعدد ميول الجمهور المستهدف واتساع نطاقه وسرعة انتشار المادة الإعلامية من برامج وأنشطة وهنا تتمحور مشكلة هذه الدراسة في السؤال التالي: إلى أي مدى طورت التكنولوجيا الحديثة (التقنية الرقمية) من إنتاج العلاقات العامة للمواد الإعلامية بالجامعات السودانية

أهداف البحث:

1. التعرف على أساليب تطوير إنتاج المواد الإعلامية.
2. توضيح العناصر متطلبات إنتاج المادة الإعلامية للطلاب.
3. بيان أساليب صناعة البرامج والأنشطة للعلاقات العامة في الجامعات.
4. تسليط الضوء على الدور التكنولوجي في إنتاج المواد الإعلامية.
5. إظهار دور التخطيط للعلاقات العامة في إنتاج المواد الإعلامية بالجامعات السودانية.
6. معرفة كيفية إنتاج العلاقات العامة للمواد الإعلامية.
7. تحديد المفاهيم الأساسية لإنتاج المواد الإعلامية.
8. تقويم الإنتاج الإعلامي في العلاقات العامة بالجامعات السودانية

ويتضمن البحث المباحث التالية:

1. تقنيات إنتاج المواد الإعلامية.
 2. متطلبات الإنتاج الإعلامي.
 3. تطبيقات إنتاج المواد الإعلامية
- تقنيات إنتاج المواد الإعلامية

تقنيات إنتاج المواد المقروءة: تتولى العلاقات العامة من خلال دورها الاتصالي على كتابة وإشراف وتحرير ونشر وتصميم موقع المؤسسة على الإنترنت، وتعتبر من الوظائف الحديثة للعلاقات العامة إدارة موقع المؤسسة على الإنترنت، وتصميم الموقع الإلكتروني هنالك نوعان من المواقع أو التصاميم هما: النوع البسيط وهو غالباً يعتمد على مجموعة من صفحات HTML التي تحمل مجرد معلومات عن موقعك، النوع الثاني محدث Dynamic وهو يعرف بالفاعل وتستخدم فيه برمجيات مختلفة تسهل عملية تبادل المعلومات مع الزائر والتفاعل معه، ويستخدم هذا النوع الشركات التي تحدث موقعها باستمرار. (نيازي، سالم-2014م-ص137)، أما النموذج الثاني من المواد المقروءة ألا وهي الصحافة الإلكترونية وهي صحافة الشاشة وتنشر موادها الإعلامية على شبكة الإنترنت من خلال موقعها الإلكتروني، وتتميز باستخدام الألوان الكثير والصوت والصورة، عبر الإنترنت وتنشر المناقشات حول موضوع معين أو العديد من الموضوعات، ويتم استخدام فنون وآليات ومهارات العمل في الصحافة المطبوعة بالإضافة إلى تقنية المعلومات. (الشميلية، وآخرون-2015م-ص172) وظهرت حديثاً الصحافة الروبوتية: (لديها ثلاثة مسميات وهي: الصحافة الروبوتية (Robot Journalism) أو الصحافة الخوارزمية أو صحافة الروبوت (Robo Journalism) ويتم إنتاج الأخبار بواسطة برنامج الذكاء الاصطناعي ويعني ذلك بأن تتم عملية الإنتاج تلقائياً عن طريق الآلات مصنعة بدلاً من العناصر البشرية، ويتولى البرنامج تفسير البيانات وتنظيمها وعرضها بطريقة تمكن الإنسان من قراءتها، وتم تطبيق هذا البرنامج والذي نجحت فيه صحيفة (تشانينا دايلي) الصينية في استخدام روبوت

أنتجت به مقال صحفي، ويتعبّر أول صحفي روبوت في العالم يقوم بإنجاز مهمته على أكمل وجه، ويقوم بكتابة التقارير والقدرة على تحليل. (صادق-2019م-ص3)، ومثال آخر تقنيات السبورة الذكية: وهي عبارة عن برنامج (Smart Notebook) يتصل بشاشة تفاعلية ويرسل كل نقطة اتصال، بجانب معلومات أداة القلم إلى الحاسوب المتصل بالشاشة، ويقوم البرنامج بتفسير المعلومات على أنها نقرات بالماوس وحبر رقمي، ويتيح البرنامج أيضاً إجراء عمليات الحاسوب العادية. (الخالدي-2012م-ص11)

العناصر التيبوغرافية: يقصد بها كل ما يحتويه الكتاب من بيانات مكتوبة تعرض على شاشة الحاسوب، ومنها الحروف واختيار الخطوط لكتابة الموضوعات وهي تعتبر من العوامل الهامة لجذب الإنباه، وغالباً يتم تقديم خطوط إرشادية لعرض النصوص المكتوبة، وأحياناً تتجه بعض الكتب الإلكترونية في الإنترنت على المبالغة في استخدام الفراغ حول الكلمات في حالة كتابتها ببنط كبير وبحروف ثقيلة مما جعل نسبة الفراغ حولها كبيرة، وقد حدد التيبوغرافيون النسبة المناسبة للفراغ بحيث تصل إلى ثلث حجم البنط المستخدم في الكتابة.

العناصر الجرافيكية:

يعتبر اللون أحد العناصر الجرافيكية الهامة في واجهة الكتاب الإلكتروني ويعد من الفنون والجماليات بالإضافة لكونه قناة اتصال، واللون يدعم جذب الانتباه أثناء الموضوعات، ويحظى الإنترنت بعدد من الألوان فالحاسوب يتيح 256 درجة لونية ويمكن تقسيمها إلى: ألوان خلفية تستخدم لملاً الفراغ داخل الأشكال والجداول، والألوان الأمامية وتستخدم في الخطوط والحروف والنصوص.

العناصر التكنولوجية: وتستدعى الحاجة للرسوم المتحركة في نقل المعلومات من رسومات، وتعتبر الرسوم المتحركة وسيلة تعليم وإعلام، وهي سلسلة من الصور والرسوم الثابتة لمراحل متتالية من الحركة وتعرض بصورة منتظمة على الشاشة. (نيازي، سالم-2013م-ص101)

برنامج كوارك إكسبريس (Quark express): وهو من برامج التصميم التي تتمتع بميزات متقدمة في معالجة النصوص (تحديد أشكال الحروف وأحجامها وتحديد العلاقة النسبية بين طولها واتساعها وإمالتها والتحكم في المسافات بينها) ويربط البرنامج الصور بالفقرات أو إدراجها بين النصوص، والبرنامج مزود بأدوات الجداول وتصميم الويب وتصدير الملفات لتلبية احتياجات مصممي الوسائط المتعددة، يوفر البرنامج إمكانية الدخول المجاني لموقع التعلم على شبكة الإنترنت والحصول على بعض الميزات من الموقع.

المدونات الإلكترونية: تعتبر المدونات الإلكترونية إحدى المواد الإعلامية المقروءة التي استحوذت على رواجاً كبيراً عند مستخدمي الإنترنت، ومن أسرع الاتجاهات نمواً على شبكة الإنترنت (التدوين الإلكتروني) فإن منصات المدونات الإلكترونية (weblog) و (blog) هي منشورات على شبكة الإنترنت تتألف من مقالات دورية، وهي برامج مثبتة على الحاسوب وتصنف إلى برامج التدوين الإلكتروني التي يتم تشغيلها من سطح حيث يتم إنشاء المدونة كاملة على الحاسوب ومن ثم نسخها على خادم الويب، (صادق-2019م-ص3)

متطلبات الإنتاج الإعلامي:

تمثل الموارد البشرية أهم مدخلات النظام الإنتاجي وأعظم القوى المؤثرة في تحديد هوية المؤسسات الحديثة ورسم معالم مستقبلها، كما أنه يعتبر بمثابة الضابط لإيقاع حركة المجتمع والمحدد لمكانته في المجتمع،

أضف إلى ذلك أنه يمثل الغاية من عملية التنمية وأدائها الرئيسية في ذات الوقت، ومن ثم فإن الاستثمار في العنصر البشري وتحقيق التوجيه السليم لأنشطته ورسم السياسات والنظم الإدارية اللازمة لتحقيق الفعالية المطلوبة لأدائها إنما يعتبر متطلباً حاكماً سواء بالنسبة للمجتمعات المتقدمة من أجل تدعيم برامج التقدم وضمان الاستمرارية في تحقيق الريادة أو بالنسبة للمجتمعات النامية لسد فجوة التخلف واللاحق بركب التقدم والقدرة على التعايش مع متطلبات وتحديات المستقبل، فالعنصر البشري في أي منظمة يحرك أدائها وهو المحدد لفعالية استخدام عناصر الإنتاج والأدوات الأخرى لتحقيق عملية الإنتاج الإعلامي، ويعتبر المنتج والمخرج وكاتب السيناريو والمحررين وفناني الأداء من الموارد البشرية الرئيسية في عملية الإنتاج، وتليها المعدات والبرمجيات المتعددة والأجهزة الرقمية وباقي الطاقم الفني بالإضافة لتخصيص الدعم المالي لضمان الإبداع في عملية الإنتاج الإعلامي، ويشمل طاقم العمل الإبداعي في إنتاج المطبوعات والصوت والصورة والفيديو والوسائط المتعددة من المحرر والمخرج المساعد وكاتب السيناريو والمصممين وفناني الأداء والتقنيين، وهناك العديد من الأنواع المختلفة لمنتجات التلفزيون والأفلام والمسرح منهم: المنتجون التنفيذيون، والمساعدون والمنتجون العاملون وتختلف المسؤوليات الدقيقة للمنتج الإعلامي على حسب النوع. (روبيرت، جورهام-2009م-ص49)

أهمية التخطيط في الإنتاج الإعلامي:

يعتبر التخطيط من الوظائف الرئيسة للعلاقات العامة وذلك لأهميته في رسم خطط إنتاج المواد الإعلامية وأنشطة العلاقات العامة لذلك التخطيط المكون الأساسي في بداية عملية الإنتاج الإعلامي، ويتسم هذا العصر بكثرة تعقيداته وكثرة العوامل المؤثرة على مختلف نشاطاته وهذا يحتم الأخذ بعين الاعتبار للتخطيط كمخرج من هذه التعقيدات بطريقة علمية تحقق الكثير من الفوائد وتجنب الكثير من المشكلات ويمكن إجمال أهمية التخطيط في: تحديد مسارات تفيد العمل في مجالاته المختلفة، واختصار للوقت والجهد في عملية التنفيذ. (المصري- 2016م- ص216)

مراحل تخطيط إنتاج البرامج:

هي الإجراءات التي ينبغي اتخاذها ويساعد التخطيط لبرنامج شامل ومتناسك على تحقيق الأهداف، وينطبق التخطيط على كل شيء، سواء أكان ذلك لإكمال البرامج وتدوم فترات البرنامج سنة أو عدة سنوات أو حتى أطول، أو فردية، وتتم مراحل التخطيط برؤية التحقق من الغرض من النشاط هو التأثير على المواقف أو الآراء أو السلوك بطريقة ما، وأيضاً الاستماع إلى أصحاب المصلحة والجمهور لمعرفة ميولهم للبرنامج، ومن المهم أيضاً جمع المعلومات واكتشاف كل ما يمكن معرفته عن المهمة الموجودة فيه إضافة لذلك البحث والتحليل الدقيق، يلي ذلك الإستراتيجية وهي استخدام تلك المعلومات لتحديد المبادئ التوجيهية والتوجه الأساسي للبرنامج، ثم يأتي البرنامج التكتيكي الذي يمكن أن يكون له تقييم فعال في هذه المرحلة، وأخيراً مراجعة كل عمليات مراحل تخطيط الإنتاج في الصورة النهائية. (جرجوري-2010م-ص39)

استطاع التلفاز التفاعلي أن يقدم العديد من الخدمات المتطورة والإنترنت بكل تطبيقاتها ومن تلك الخدمات: إتاحة للمشاهد طلب المواد والبرامج والأفلام من الخادم (Server)، ويمكن من خلال هذه الخدمة إجراء عمليات البيع والشراء وتفحص المنتجات والحصول على معلومات وافية ثم طلبها، وأيضاً يوفر

خدمة الإعلانات وخدمة الدليل الإلكتروني والتي تمكن المستخدم من اختيار البرامج المطلوبة، وكذلك خدمة المباريات الرياضية وتعدد زوايا التصوير ومكنت هذه الخدمة متابعي المباريات الرياضية من اختيار زوايا اللقطات، وإضافة لتلك الخدمات التي يقدمها التلفاز التفاعلي خدمة ألعاب الحاسوب وخدمة الدردشة وتقدمها الشركة المزودة للمشتركين للتعرف على بعضهم البعض من خلال عرض المعلومات الشخصية ويوفر أيضاً مناقشة الواجبات المدرسية في الدول المتطورة تقدم هذه الخدمة للطلاب. (الساعي-2020م-ص181)

مكونات البرامج الإذاعية والمسموعة التعليمية:

من الضروريات إلمام القائم بالاتصال في العلاقات العامة على مجموعة المكونات والعناصر التي يقوم عليها إنتاج المواد والبرامج الإذاعية، ومعرفة كيفية الاستفادة من العناصر في تكوين البرامج الإذاعية التعليمية وهي:

1. الصوت الإذاعي: كثيراً ما يلاحظ الخلط بين الصوت والمؤثرات فالصوت في الإذاعة يقصد به في الإذاعة الصوت البشري ويشمل في تقديم البرامج التعليمية من محاضرات وإعلانات الجامعة ورسالة الجامعة بطريقة شفوية من داخل الإستديو الإذاعي، ويعتبر الصوت البشري من أهم مكونات البرامج الإذاعية، وتستخدم المؤثرات الصوتية كعنصر مساعد لتحقيق الهدف من الكلمة أو الصوت الإذاعي، وبشكل عام تستخدم الكلمة المنطوقة في غالبية أشكال البرامج الإذاعية التعليمية.

2. المؤثرات الصوتية: وتعرف بأنها جميع الإضافات الصوتية التي تستخدم في البرامج الإذاعية التعليمية، ويتمثل دورها في دعم الصوت البشري في إيصال الرسالة الإذاعية، وتختلف طريقة دعم المؤثرات الصوتية للصوت البشري من مادة إلى أخرى، وتستخدم المؤثرات كخلفيات صوتية معبرة، وهناك أنواع مختلفة من المؤثرات الصوتية كأصوات الطبيعة مثل: المياه والحيوانات والطيور والرياح، وأصوات صناعية مثل: حركة الطائرات والسيارات.

3. الأصوات التفاعلية: هذا النموذج بين المرسل والمتلقي بما يسمى بالعملية التشاركية بينهما في صناعة المادة الإعلامية، وقد أثرت عملية التفاعل أو المشاركة من قبل المتلقين في عملية إعداد وإنتاج البرامج الإذاعية، وأصبحت من المكونات الرئيسة للمادة أو البرامج، وهناك أعداد كثيرة من المستمعين على الخط التلفوني المباشر أو وسائط الإعلام الجديدة أثناء البرامج وخلال التعليقات عبر وسائل التواصل وصفحات القناة الإذاعية الإلكترونية. (فقير-2013م-ص116)

تطبيقات الإنتاج الإعلامي:

التصميم والإخراج الفني لنماذج مواد مسموعة: تعتبر البرامج التي تقدمها الإذاعة التعليمية في مراحل الإنتاج هي نفس خطوات الإنتاج الإذاعي، ولكنها تتميز بارتباطها بالمنهاج المقررة، بحيث أنها برامج موجهة للطلاب، وهناك خطوات لاستخدام البرامج الإذاعية في التدريس وهي:

التمهيد:

بالاطلاع على الأدلة والنشرات المتعلقة بالبرامج الإذاعية التعليمية واختيار ما يتناسب منها مع موضوعات المقرر الدراسي، وإعداد مكان الاستماع من حيث توفير متطلبات الاستماع، بحيث يقف الأستاذ أمام الطلاب ولا يشغله شيء غير الإشراف، ويدون المفردات والمصطلحات الصعبة ليوضحها بعد انتهاء

دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة (دراسة وصفية تحليلية)

العرض، وأن يراعى الهدوء ولا تطرح الأسئلة إلا بعد انتهاء العرض، ثم التقييم والمتابعة: يتم بعد أقفال الجهاز إثارة المناقشة فيما سمعه الطلاب وطرح الأسئلة والإجابة عليها ويتابع ذلك بأنشطة متعلقة بالبرنامج. (سليمان-2003م-ص99)

هنالك العديد من التطبيقات المستخدمة في إنتاج المواد الإعلامية أهمها:

- أ. تطبيق Hedge Cam: يتحكم بالكامل بالصور والمقاطع التي تلتقطها الكاميرا، ويحتوي على إعدادات الصورة الذاتية (السيلفي) المتقدمة، بإضافة التعريض الضوئي ووضع اللقطات.
- ب. تطبيق Open Camera: يعطى مزايا في جودة الصور ويعتبر الأفضل تصميماً للصور.
- ج. تطبيق Snapseed: يعتبر من أفضل تطبيقات تحرير الصور للهواتف وتعديل الصور بعد التقاطها ويحسن من مستوى الصور، و متاح التطبيق مجاناً.
- د. تطبيق Hypocam: وعبرة استديو رقمي بحيث يمكن التقاط الصورة داخل التطبيق، ويتم عرضها مع إمكانية التعديل من تباين وألوان، بالإضافة لدراما صور الأبيض والأسود.
- هـ. تطبيق Adobe Photoshop Lightroom: يتميز بالتعديل الآلي للصور وضبط التباين والظلال وضع مؤثرات على الصور. (جينس-2018م-ص37)

التصميم الفني للمواد الإعلامية بالجامعات: المشاهدة الواقعية:

وهي تلك التي تشمل جميع الأنشطة والأجهزة والمواد التعليمية التي يقوم الأستاذ بعرضها على الطلاب، لاكتساب خبرات تعليمية محددة، أو من أجل توضيح الأفكار الغامضة على الطلاب، وتنوع العروض التوضيحية من حيث درجة واقعيته، فيمكن للأستاذ أن يجري عرضاً لتجربة عملية أمام الطلبة مستخدماً الأدوات والمواد الحقيقية، ويمكن أيضاً أن يكتفي بعرض نماذج أو عينات أو مقاطع بديلة للأشياء الحقيقية، كما يمكن أن يعتمد على تمثيل الخبرة درامياً معتمداً على قدرتهم التخيلية ويمكن أن يعرض الأستاذ تجارب علمية بالمشاهدة على الطلاب.

- أ. المعارض والمتاحف التعليمية: ويتم تجهيزها لعرض مواد أو منتجات تعليمية، سواء أكان ذلك بشكل دائم أو مؤقت، وتكون داخل الجامعة أو خارجها على مستوى المنطقة أو المدينة، وقد تكون معارض محلية أو دولية.
- ب. الرحلات والزيارات الميدانية: وقد تكون الرحلات مشياً على الأقدام كزيارة مركز المدينة أو أي جهة رسمية على صلة بالتخصص التعليمي، ورحلات لأماكن أثرية، أو معارض أو متاحف أو معامل اقتصادية كالمصانع والشركات، ويفضل أن تكون هذه الرحلات من ضمن خطة الأستاذ ومنسجمة مع المناهج ومرثية لها، وهذه الوسائل تتيح للطلاب فرصة اكتساب الخبرات من خلال المشاهدة، والاستماع معاً إن كانت متحركة ناطقة، وتعد الوسائل التعليمية في هذا المستوى أكثر انتشاراً واستخداماً في العملية التعليمية، بحيث تحقق المتعة والإثارة والدافعية للطلاب، إذا توافرت الحبكة الدرامية في العملية التعليمية (الطيبي، وآخرون-2008م-ص109)

الأفلام التعليمية:

تتميز الأفلام التعليمية من حيث عنصر الحركة إلى نوعين: أفلام ثابتة وأخرى متحركة:

1/ الأفلام الثابتة: ويتألف الواحد منها من عدد الصور الثابتة عليها بعض البيانات التوضيحية وتتنظم في تسلسل خاض على فيلم مقاس 35مم ملون أو أبيض وأسود، ويحتوي الفيلم الثابت عادة على ما يتراوح بين 20-60 إطار تعالج موضوعاً واحداً في خطوات متسلسلة، وقد يحتوى الإطار على صورة أو رسم بياني أو بيانات معينة، وتنحصر أهمية الأفلام الثابتة في أنها تجمع معلومات كثيرة في مساحة صغيرة، فقد يضم الفيلم كثيراً من الصور والرسومات في عدد قليل من الإطارات وذلك لقلّة ثمنها وسهول الحصول عليها وإمكانية تشغيلها بسهولة. (الطناوي-2013م-ص96)

الانفوجرافيك - وهو عبارة عن رسم تصويري متحرك يتفاعل معه القارئ وهذا يعتمد على جزء من مفهوم الرسوم المتحركة، أو الموجود في مواقع الويب شيء معين، وبعضها يظهر على هيئة فيديو الخطوات اللازمة لتصميم الانفوجرافيك، كما يلي:

1. بساطة وسهولة تحديد الفكرة التي ترغب بعرضها للجماهير بشكل جذاب ومثير، وماهية كمية البيانات والمعلومات، وحجمها، والرجوع لمصادر موثوقة للبيانات والمعلومات التي ترغب بعرضها وتمثيلها للفكرة المختارة، بطريقة بصرية.
2. يتم تحديد العناوين الرئيسية والفرعية من خلال عمل مخطط رسومي كتصور مبدئي للانفوجرافيك، يتمثل في: الشكل العام، الألوان، طبيعة التصميم.
3. مراجعة التصميم للانفوجرافيك وتنقيحه؛ للتأكد من أن البيانات والمعلومات التي تم جمعها عن الفكرة قد تم عرضها بالشكل الصحيح والمرغوب فيه، والتأكد من صحة الرسوم وتصوير البيانات والمعلومات، وهل تعبر عن ذات الفكرة المختارة. (حسونة، حرب-2018م-ص146)

نماذج التصميم الفني للمواد الإعلامية أولاً: المناقشة: تعتبر طريقة المناقشة من أقدم طرق التدريس والتي مازال شائعة حتى اليوم، وتقوم على الحوار بين الأستاذ والطالب في صورة أسئلة أو مناقشة، لذلك يطلق عليها أحياناً الطريقة الحوارية أو طريقة المناقشة، وهي طريقة تدريسية تعتمد على الحوار الشفهي بين المعلم والطلاب أو بين الطلاب أنفسهم، يتم من خلالها تقديم المادة التعليمية، ثانياً المحاضرة: هي عرض لفظي أو شفهي للمعلومات من الأستاذ إلى الطلاب، وقد يتخللها عرض الأسئلة أو المناقشة، وبهذا فإن الحواس المشاركة في استلام المعلومات من قبل الطلاب، وهي أيضاً طريقة التدريس التي تعتمد على قيام المعلم بمجرد عرض شفاهي للمعلومات على الطلاب دون السماح لهو بالسؤال أثناء الإلقاء، وإمّا بعد الانتهاء منه، ويكتفون بمجرد تلقي المعلومات دفعة واحدة، لذا يعد الأستاذ محور العملية التعليمية. (نون-2011م-ص98)

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

اتبع الباحث المنهجية في هذه الدراسة وهي علم الوصول إلى الحقائق العلمية بخطوات منتظمة، وإجراءات الدراسة هي الأسلوب المنظم الذي يستخدمه الباحث لدراسة إشكالية معينة هادفاً الوصول إلى نتائج علمية واضحة، وسوف يتم في هذا الفصل عرض قوة تأثير التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة بالجامعات السودانية، تناول الباحث في هذا الفصل من الدراسة الإجراءات

المنهجية التي أُتبعَت في هذه الدراسة على مجتمع وعينة الدراسة من حيث إجراءات بناءها واختبار صدقها وثباتها وتقويمها وذلك للتحقق من مدى ملاءمتها لجمع البيانات الأولية مع بيان كيفية اختيار العينة ونوعها، كما قدم الباحث في هذا الفصل البيانات الإحصائية المستخدمة وتحليل بيانات الدراسة وذلك من أجل استخلاص أبرز نتائجها وفيما يلي تناول الباحث هذه الإجراءات:

1/ مجتمع وعينة الدراسة:

احتوى مجتمع الدراسة على ستة نماذج لعينة قصدية من الجامعات السودانية الحكومية والأهلية وشملت كلٍ من: جامعة الخرطوم وموقعها في مدينة الخرطوم، جامعة أمدرمان الإسلامية وموقعها في مدينة أمدرمان، جامعة القرآن الكريم للعلوم الإسلامية وتقع في مدينة أمدرمان، جامعة الأحفاد للبنات وموقعها في مدينة أمدرمان، جامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا وموقعها في مدينة الخرطوم، كلية الإمام الهادي وموقعها في مدينة أمدرمان، وركز الباحث على تنوع وتعدد المجتمع ما بين الجامعات الحكومية والأهلية والعريقة منها والحديثة والأكثر انتشاراً وأوسع نطاقاً وحجماً، وتضم مجموعة متعددة التخصصات وعدد بقدر كبير من الكليات، وبين الجامعات المتخصصة بمجال معين وعدد كليات محدودة.

أما عينة الدراسة فقد اختار الباحث وحدد عينة قصدية شملت الخبراء والمختصين والموظفين وانحصرت على إدارات العلاقات العامة وأقسامها وفروعها بالجامعات المذكورة أعلاه، وقام الباحث بتوزيع عدد 93 استمارة، وكان المفقود منها عدد 19 استمارة نسبة لعدم استقرار تواجد الموظفين بالجامعات، والتالف عدد 4 استمارات، وتم استلام حصيلة مقدره وبلغت 70 استمارة.

2/ خطوات تصميم الاستبانة:

قام الباحث بتصميم الاستبانة الخاصة بالعاملين في العلاقات العامة لكلٍ من جامعة الخرطوم، وجامعة أمدرمان الإسلامية، وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وجامعة الأحفاد، وجامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا، وكلية الإمام الهادي و قسم الباحث الاستبانة الأولى إلى قسمين: القسم الأولي: يحتوي على البيانات الشخصية وقد احتوت على النوع، والعمر، والحالة الاجتماعية، والمؤهل العلمي، والتخصص، والمستوى الوظيفي، ثم عدد سنوات الخبرة، أما القسم الثاني من الاستبانة اشتمل على خمسة محاور وهي: التطبيقات الإلكترونية في إنتاج المواد الإعلامية ويحتوي على سبعة عبارات، ومحور أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المقروءة ويحتوي على ثمانية عبارات، ومحور أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المسموعة ويحتوي على سبعة عبارات، ومحور أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المرئية وشكل ثمانية عبارات، بالإضافة لمحور للأسئلة المفتوحة وتضمن سؤالين.

3/ اختبار الصدق والثبات للاستبانة:

لاختبار الصدق الظاهري تم عرض الاستبانة على عدد من محكمين ذو كفاء عالية وخبرة وهم: بروفيسور علي محمد شمو الخبير الإعلامي المعروف بجامعة الخرطوم، دكتور طارق ميرغني محمود أستاذ مشارك بكلية الدعوة للإعلام جامعة القرآن الكريم، دكتور معاوية مصطفى بابكر أستاذ مساعد بكلية علوم الاتصال ورئيس قسم العلاقات العامة بجامعة السودان، دكتور رباب خليل عبد الله أستاذ مساعد بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وكلية الامام الهادي، دكتور عبد الكريم أحمد بخيت أستاذ مساعد بجامعة أمدرمان الإسلامية، دكتور المشرف الأمين المشرق أستاذ مساعد بكلية الدراسات العليا كلية الإمام الهادي،

وبعد الاستعانة بالمحكمين تم إجراء التعديلات التي أوصوا بها وبذلك تم تصميمها في شكلها النهائي.

توضيح مقياس (ليكاتر) الخماسي:

بما أن المتغير الذي يعبر عن الخيارات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) مقياس ترتيبي، والأرقام التي تدخل في البرنامج وهي (موافق بشدة = 5، موافق = 4، محايد = 3، لا أوافق = 2، لا أوافق بشدة = 1) تعبر عن الأوزان ثم نحسب بعد ذلك المتوسط الحسابي (المتوسط المرجح) ويتم ذلك بحساب طول الفقرة أولاً، وهي عبارة عن حاصل قسمة 4 على 5، حيث 4 تمثل عدد المسافات (من 1 إلى 2 مسافة أولى، ومن 2 إلى 3 مسافة ثانية، ومن 3 إلى 4 مسافة ثالثة، ومن 4 إلى 5 مسافة رابعة)، تمثل 5 عدد الاختيارات، وعند قسمة 4 على 5 ينتج طول الفترة ويساوي 0.80 ويصبح التوزيع حسب الجدول وتم تقسيم الاستبانة إلى مقياس خماسي.

جدول رقم (4) يوضح الميزان التقديري وفقاً لسلم (ليكاتر) الخماسي

الدرجة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الفقرة
ضعيف	79,.	من 1 إلى 1,79	لا أوافق بشدة
	79,.	من 1,80 إلى 2,59	لا أوافق
متوسط	79,.	من 2,60 إلى 3,39	محايد
مرتفع	79,.	من 3,40 إلى 4,19	أوافق
	80,.	من 4,20 إلى 5,00	أوافق بشدة

5/ ثبات الاستبانة: لقياس مدى ثبات الأداة (الاستبانة) استخدمت الدراسة معادلة (ألفا كرومباخ)

(Cronbach's Alpha) وقد جاءت نسبة الثبات كما هو موضح أدناه:

جدول رقم (5)

Cronbach's Alpha	N of Items
.858	37

يتضح من الجدول أعلاه أن معامل الثبات العام للاستبانة مرتفع حيث بلغ (.858). لإجمالي عبارات الاستبانة، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات يمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة.

أسلوب تحليل الاستبانة:

من أجل إجراء التحليل الإحصائي، استعان الباحث بمختص في التحليل الإحصائي والذي قام بترميز جميع الإجابات التي تم الحصول عليها من المبحوثين، ومن ثم إدخال هذه الإجابات إلى برنامج التحليل الإحصائي (SPSS)، ومن أجل استخلاص النتائج التي تم التوصل إليها استخدم الأسلوب الإحصائي الوصفي (Descriptive Statistic)، والذي يتضمن الجداول التكرارية والنسب المئوية، والمتوسطات والانحراف المعياري، وذلك من أجل تحديد خصائص المبحوثين وتحديد دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد

دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة (دراسة وصفية تحليلية)

الإعلامية للعلاقات العامة.

تحليل وتفسير وعرض البيانات: المحور الأول: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات فئة

التطبيقات الإلكترونية

الانحراف المعياري	الوسط	النسبة	العبرة
716.	4.54	% 97.1	1/ تعتبر التكنولوجيا العنصر الأساسي لإنتاج المعلومات عبر الإنترنت
805.	4.30	% 88.6	2/ تتمثل عملية الإنتاج الإعلامي بتجهيز المعدات والبرمجيات المتعددة والأجهزة الرقمية والطاقت الفني
820.	4.37	% 87.1	3/ ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي (الفيستوك، تويتر، تلغرام، يوتيوب، تك توك) بصورة أساسية في عملية الإنتاج الإعلامي
963.	4.00	% 77.1	4/ تسعى العلاقات العامة في الجامعة بإعداد وإنتاج أشكال وأنواع مختلفة من المواد الإعلامية
900.	4.27	% 84.3	5/ دمج العديد من التقنيات والبرامج من مصادر مختلفة يدعم تطوير عملية الإنتاج الإعلامي
673.	4.56	% 95.7	6/ تدريب القائم بالاتصال على التقنيات الحديثة يحسن مستوى أدائه
557.	4.67	% 98.6	7/ الإمكانيات المادية أساسية لتوافر المعدات والأجهزة الإلكترونية التي تدخل في عمليات إنتاج المواد الإعلامية

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التحليل (2022م)

جاءت العبرة (7) في المرتبة الأولى بنسبة موافقة بشدة بلغت (98.6%) ووسط حسابي (4.67) وانحراف معياري (55.5)، تلتها العبرة (1) بنسبة موافقة بشدة (97.1%) ووسط حسابي (4.54) وانحراف معياري (716)، وحلت ثالثاً العبرة (6) بنسبة موافقة بشدة (95.7%)، وسط حسابي (4.56)، وانحراف معياري (673)، أما في المرتبة الرابعة فقد جاءت العبرة (2) بنسبة موافقة بشدة (88.6%)، وسط حسابي (4.30)، وانحراف معياري (805)، وفي المرتبة الخامسة (3) بنسبة موافقة بشدة بلغت (87.1%) ووسط حسابي (4.37) وانحراف معياري (820)، وفي المرتبة السادسة العبرة (5) بنسبة موافقة بشدة (84.3%)، واحتلت العبرة (4) بنسبة موافقة (77.1%)، وسط حساب (4.00)، وانحراف معياري (963)، وذلك يرمز بأن التطبيقات الإلكترونية تعتبر عنصر أساسي لإنتاج المعلومات، وباكتمالها وتجهيزه الأجهزة الرقمية والطاقت الفني تكتمل عملية الإنتاج، وساهمت تطبيقات التواصل الاجتماعي في عملية الإنتاج، والتطبيقات تسهل عمل العلاقات العامة وتنوع من أشكال الإنتاج

المحور الثاني: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات فئة أشكال وطرائق الإنتاج

الانحراف المعياري	الوسط	النسبة	العبارة
701.	4.17	% 88.6	1. تستخدم العلاقات العامة برامج وتصاميم متخصصة تعالج النصوص والصور والرسوم وإمكانية القص واللصق الإلكتروني
893.	4.01	% 72.9	2. يستخدم المصمم غالباً الصور المصغرة على الورق من أجل تنقيحها على الكمبيوتر لتصميم الشعارات واللافتات
824.	4.24	% 87.1	3. تروج العلاقات العامة للجامعة عن طريق الرسائل الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي
793.	4.26	% 84.3	4. يتواصل الصحفيون الرقميون مع المصادر عن طريق الرسائل الإلكترونية وشبكات التواصل الإلكتروني
820.	4.37	% 90.0	5. يتميز الصحفي الإلكتروني بسرعة نقله للأخبار وبثها
778.	4.34	% 87.1	6. تمنح التقنية الرقمية الفرصة لتجديد قراءة الخبر كل فترة زمنية وكتابة المزيد من تطورات الأحداث
788.	4.24	% 87.1	7. الصحافة الإلكترونية تعتبر نموذجاً لتطور الصحافة الرقمية
931.	4.06	% 80.0	8. تعرض المادة الإعلامية للطلاب من خلال استخدام الشاشات الرقمية بمختلف الأحجام

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التحليل (2022م)

جاءت العبارة (5) في المرتبة الأولى بنسبة موافقة بشدة بلغت (90 %) ووسط حسابي (4.37) وانحراف معياري (820)، تلتها العبارة (7) بنسبة موافقة بشدة (87.1 %) ووسط حسابي (4.24) وانحراف معياري (788)، وحلت ثلثاً العبارة (6) بنسبة موافقة بشدة (87.1 %)، ووسط حسابي (4.34)، وانحراف معياري (788)، أما في المرتبة الرابعة فقد جاءت العبارة (3) بنسبة موافقة بشدة (87.1 %)، ووسط حسابي (4.24)، وانحراف معياري (824). وفي المرتبة الخامسة (1) بنسبة موافقة بلغت (88.6 %) ووسط حسابي (4.17) وانحراف معياري (701)، وفي المرتبة السادسة العبارة (4) بنسبة موافقة (84.3 %)، ووسط حسابي (4.26)، وانحراف معياري (793) وجاءت سابعاً العبارة (8) بنسبة موافقة (80 %)، ووسط حساب (4.06)، استخدام العلاقات العامة لبرامج وتصاميم متخصص في مراحل الإنتاج، ويستخدم الجرافيك لتصميم الشعارات واللافتات، وعرض المواد على الشاشات، يظهر أشكال وطرق جديدة في إنتاج المادة المقروءة.

المحور الثالث: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات فئة أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المسموعة:

الانحراف المعياري	الوسط	النسبة	العبرة
700.	4.27	% 88.6	(1) يتميز البث بتقانة إذاعية رقمية من إنتاج الصوت بجودة عالية
783.	4.23	% 87.1	(2) تمثل مكونات عقد المؤتمرات بتجهيز المعدات والأجهزة مع توافر شبكة الإنترنت
769.	4.40	% 88.6	(3) تنفيذ برامج عقد الاجتماعات والمحاضرات الحية (أون لاين) عملية التعليم والتدريب
1.004	4.09	% 77.1	(4) تعتبر المؤتمرات عن بعد البديل الرقمي للمؤتمرات والاجتماعات العادية وتحقق أكبر إنتاجية وأعلى فائدة
799.	4.00	% 77.1	(5) تدخل برامج تعديلات الصوت والتقنيات الحديثة في إنتاج المدونات الصوتية
1.038	3.77	% 67.1	(6) تسجل الرسائل الصوتية الخاصة بالجامعة وإرسالها عبر تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي
932.	4.17	% 84.3	(7) تعمل العلاقات العامة على إقامة وتنظيم المحاضرات والندوات والزيارات في الجامعة

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التحليل (2022م)

جاءت العبرة (3) في المرتبة الأولى بنسبة موافقة بشدة بلغت (88.6%) ووسط حسابي (4.40) وانحراف معياري (769)، تلتها العبرة (1) بنسبة موافقة بشدة (88.6%) ووسط حسابي (4.37) وانحراف معياري (700)، وحلت ثلثاً العبرة (2) بنسبة موافقة بشدة (87.1%)، ووسط حسابي (4.23)، وانحراف معياري (783)، أما في المرتبة الرابعة فقد جاءت العبرة (7) بنسبة موافقة (84.3%)، ووسط حسابي (4.17)، وانحراف معياري (932). وفي المرتبة الخامسة (4) بنسبة موافقة بلغت (77.1%) ووسط حسابي (4.09) وانحراف معياري (1.004)، وفي المرتبة السادسة العبرة (5) بنسبة موافقة (77.1%)، ووسط حسابي (4.00)، وانحراف معياري (799). وجاءت سابعاً العبرة (6) بنسبة موافقة (67.1%)، ووسط حسابي (3.77)، وانحراف معياري (1.038)، وهذا يتضمن جودة الصوت تتوقف على التقنيات، تكوين المؤتمرات يعتمد المعدات وشبه الإنترنت، تنفيذ برامج المواد المسموعة في التدريب والتعليم، حققت المؤتمرات عن بعد فوائد لمجتمع الجامعة، إدخال التقنيات يساعد في إنتاج المدونات، تواصل الجامعة مع جمهورها بالرسائل الصوتية الإلكترونية، تقوم العلاقات العامة بتنظيم المعارض والزيارات وتعد المحاضرات والندوات، وكل ذلك يعتبر أشكال جديدة وطرق حديثة في إنتاج المواد المسموعة.

المحور الرابع: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات فئة أشكال وطرائق الإنتاج

الانحراف المعياري	الوسط	النسبة	العبرة
736.	4.46	% 91.4	1/يتم استخدام الحاسوب وتطبيقاته في معالجة الصورة والصوت والرسوم البيانية والفيديو
710.	4.40	% 90.0	2/يعتبر تصميم الجرافيك وسيلة مرئية تربط بين الأشياء ويرتب عناصر المادة المراد عرضها
737.	4.09	% 80.0	3/تمكن المنصة الإلكترونية من الرسم والكتابة على الشاشة ومشاركة الطلاب
816.	4.17	% 82.9	4/يقدم الفيديو التفاعلي معلومات سمعية وبصرية وفقاً لاستجابات الطلاب
783.	4.23	% 87.1	5/تستخدم الوسائط الرقمية والتصميم الجرافيكي في عملية تصميم المعارض
717.	4.50	% 90.0	6/باستمرار إنتاج البرامج التلفازي يحتاج إلى مواكبة التقنية الرقمية
783.	4.23	% 81.4	7/تعالج الأفلام التعليمية الموضوعات بخطوات متسلسلة وتجمع معلومات كثيرة في مساحة صغيرة
0.935	3.83	% 67.1	8/يتم استخدام الوسائط الرقمية المتعددة في الإنتاج المسرحي

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التحليل (2022م)

جاءت العبارة (1) في المرتبة الأولى بنسبة موافقة بشدة بلغت (91.4%) ووسط حسابي (4.46) وانحراف معياري (736)، تلتها العبارة (6) بنسبة موافقة بشدة (90%) ووسط حسابي (4.50) وانحراف معياري (717)، وحلت ثانياً العبارة (2) بنسبة موافقة بشدة (90%)، ووسط حسابي (4.40)، وانحراف معياري (710)، أما في المرتبة الرابعة فقد جاءت العبارة (5) بنسبة موافقة بشدة (87.1%)، ووسط حسابي (4.23)، وانحراف معياري (783). وفي المرتبة الخامسة (4) بنسبة موافقة بلغت (82.9%) ووسط حسابي (4.17) وانحراف معياري (816)، وفي المرتبة السادسة العبارة (7) بنسبة موافقة بشدة (81.4%)، ووسط حسابي (4.23)، انحراف معياري (783). وجاءت سابعاً العبارة (3) بنسبة موافقة (80%)، ووسط حسابي (4.09)، انحراف معياري (737)، وجاءت في المرتبة الأخيرة العبارة (8) بنسبة موافقة (67.1%)، ووسط حساب (3.83)، انحراف معياري (935)، وهذا يبرهن أن الحاسوب وتطبيقات تعالج عناصر الإنتاج، وتطبيق الجرافيك تقنية متكاملة لعملية الإنتاج، والمنصة الإلكترونية البديل التقني من التعليم التقليدي وتفاعل الطلاب مع الفيديو الرقمي، والتنظيم الحديث للمعارض يستخدم فيه وسائط رقمية، وإيضاً الأفلام الرقمية تعالج الموضوعات بفضل التقنية الحديثة، أما في الإنتاج المسرح التفاعلي فتستخدم فيه وسائط رقمية متعددة، وأخيراً من الملاحظ أن التقنيات الحديثة أدت إلى تحول جزري في شكل ونوع وأسلوب إنتاج المادة الإعلامية المرئية.

النتائج:

المتطلبات الأساسية للعمليات الفنية الخاصة بمراحل الإنتاج الإعلامي المتميز توافر الإمكانيات المادية اللازمة وتقنيات رقمية حديثة وفريق عمل مدرب على استخدامها.

أظهرت الدراسة بأن مواقع التواصل الاجتماعي الداعم الأساسي لعمليات الإنتاج الإعلامي من الإعداد إلى النشر لتوافرها عناصر إنتاج متعددة.

بينت الدراسة سعي العلاقات العامة بالجامعة للترويج المستمر في تنوع وابتكار أشكال إنتاج مواد إعلامية مختلفة للمنشورات والكتيبات والإعلانات والدوريات لتحسين الصورة الذهنية.

اندماج التقنيات والبرامج المختلفة في مراحل إنتاج المواد الإعلامية تساعد في عملية تطوير الإنتاج الإعلامي.

كشفت الدراسة بأن ترقية أداء كوادر العلاقات العامة في الجامعات السودانية تتطلب التدريب المستمر ومعرفة التعامل مع التقنيات الحديثة.

تأكيد اتصال الجامعات إلكترونياً مع جمهورها بتطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي لتسجيل وإرسال الرسائل الصوتية وتقوم بعرض المواد الإعلامية عن طريق شاشات رقمية.

إنتاج المادة الصوت والمدونات الصوتية بجودة عالية يتوقف على استخدام التقنيات الإذاعية الرقمية وبرامج تعديلات الصوت.

أبانت الدراسة بأن المكون الرئيس لعقد المؤتمرات والاجتماعات عن بعد المعدات والأجهزة وشبكة الإنترنت حققت تفاعل وفوائد أكثر على مجتمع الجامعات.

وضحت الدراسة أن التطبيقات الحديثة وبرامج عقد الاجتماعات والمحاضرات بواسطة شبكة الإنترنت تفيد وتطور عملية التعلم والتدريب.

تعمل العلاقات العامة بالجامعات على تنظيم المعارض والزيارات وتقوم بإعداد المحاضرات والندوات.

العلاقات العامة تستعين بتطبيقات الجرافيك وتقنيات الوسائط الرقمية لتساعد في إعداد وتصميم المعارض بتجميع وربط وترتيب عناصر أجزاء المادة الإعلامية المرئية.

أكدت الدراسة أن الإعلام بتحديثات التقنيات الرقمية بصورة دائمة من الضروريات الداعمة لإنتاج البرامج التلفازية.

التوصيات:

أهمية التصور الكامل لإدارة العلاقات العامة بالجامعات السودانية في تنوع جمهورها وتحديد أهداف شاملة لتطرح إنتاج مواد إعلامية تُعرّف الجامعة مستهدفة الطلاب المتوقع دخولهم الجامعة، ومواد إعلامية متعددة تفيد الطلاب الحاليين.

يرجى تفهم الإدارة العليا في الجامعات لدور إدارة العلاقات العامة الرئيس بتحسين الصورة الذهنية من خلال إنتاجها للمواد الإعلامية الرقمية.

ضرورة الدعم من الإدارة العليا في زيادة المخصصات المالية بمقدار كافي وتوفير المعينات من أجهزة وأدوات حديثة وتوافر شبكات الإنترنت لإتاحة العلاقات العامة القيام بتنفيذ إنتاجها للمواد الاعلامية.

من المهم أن تضع العلاقات العامة في الجامعات سعيها بتزويد القسم بأحدث الأدوات وسائل الاتصال مما يدعم ويطور العملية الفنية للإنتاج الإعلامي.

ضرورة الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي لمواكبة التكنولوجيا الحديثة ومتابعة كل ما هو جديد من تقنيات وتطبيقات تفيد مراحل الإنتاج الإعلامي من خلال البحث والتدريب.

أهمية دمج الأقسام التي تمارس نشاط العلاقات العامة بالجامعات في إنتاج المواد الإعلامية كدار النشر والإذاعات والقنوات الخاصة والعلاقات الخارجية في الجامعات تحت إشراف إدارة العلاقات العامة بالجامعات المتخصصة علمياً ومهنياً بالمجال.

المصادر والمراجع العربية:

- (1) نيازي، حسن - سالم، أحمد - مبادئ إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة_الطبعة 1- ايتراك للطباعة والنشر - 2014م - الصفحة 101-137
- (2) الشمالية، ماهر عود-اللحام، محمود، عزت-كافي، مصطفى يوسف-الاعلام الرقمي الجديد-الطبعة 1-دار الاعصار العلمي للنشر-2015م -الصفحة 172
- (3) صادق، عباس مصطفى-مجلة إذاعة وتلفزيون الخليج- الناشر جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج- الجزء 112—2019م- الصفحة 3
- (4) الخالدي، عوض خالد الجبور-السبورة الذكية-الطبعة 1-الدار الوطنية-2012م -الصفحة 11.
- (5) المصري، محمد عبد الرحمن-التخطيط الإستراتيجي-الطبعة 1-دار الكتب المصرية-2016م - الصفحة 216
- (6) الساعي، ندى-وسائل الاتصال الإلكترونية-الطبعة 1 - الجامعة الافتراضية-2020م -الصفحة 181
- (7) فقير، عماد الدين تاج السر -- إعداد وإنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة -الطبعة 1- دار البداية للنشر-2013م- الصفحة 116
- (8) سليمان، نايف-تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية-الطبعة 2-دار صفاء للنشر والتوزيع-2003م -الصفحة 99
- (9) الطيطي، محمد عيسى-العزة، فراس محمد-طويق، عبد الإله- إنتاج وتصميم الوسائل التعليمية-الطبعة 1-عالم الثقافة للنشر والتوزيع-2008م -الصفحة 109
- (10) الطناوي، عفت مصطفى-التدريس الفعال تخطيطه مهاراته استراتيجياته تقويمه-الطبعة 3-دار المسرة للنشر-2013م -الصفحة 96
- (11) حسونة، إسماعيل عمر-حرب، سليمان أحمد- تكنولوجيا الحاسوب والاتصالات في التعليم-الطبعة 1- دار جامعة الأقصى-2018م -الصفحة 146
- (12) نون، مركز تأليف-التدريس طرائق واستراتيجيات-الطبعة 1-جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-2011م- الصفحة 98

ثانياً المراجع الأجنبية:

- (13) Robert, Musburger-Gorham, Kinderm-Introduction to Media Production-1p- Elsevier Book-2009-Page 49
- (14) Gregory, Anne--Planning Managing Public Relation-Third Edition- Kogan Page Limited-2010-Page 39
- (15) Jens, Ruchatz-Exploring the Selife-1p-Singer International-2018-Page 37



جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
استمارة استبانة



الأخ الكريم / الأخت الكريمة.
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.
الموضوع: إجراء دراسة حول التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة بالتطبيق على عينة من الجامعات السودانية.
الهدف من الاستبانة هو جمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة علوم الاتصال تخصص العلاقات العامة والإعلان، وإكمال هذه الدراسة يتوقف على إجاباتكم على هذه الأسئلة. أرجو من شخصكم الكريم التفضل بملء هذه الاستمارة وفقاً لما يتفق مع وجهة نظركم، مع العلم أن كل البيانات والمعلومات التي تدلون بها لا تستخدم إلا لأغراض هذه الدراسة فقط وفي غاية السرية، شاكراً حسن تعاونكم وحسن مسيرتكم في مساندة البحث العلمي.
ملحوظة:

- 1/ الرجاء وضع علامة ✓ أمام الإجابة التي تراها مناسبة في المربع المخصص لذلك.
2/ في نهاية الاستمارة سؤالين مفتوحين الرجاء الإجابة عليهما.

الباحث / محمد عثمان عمر الفكي

رقم هاتف: 0962041044

أولاً: البيانات الشخصية:

1/ النوع:

ذكر أنثى

2/ العمر:

من 20 - 27 سنة من 28 - 37 سنة

من 38 - 47 سنة من 48 - 57 سنة

58 سنة فأكثر

3/ المؤهل العلمي:

ثانوي دبلوم بكالوريوس ماجستير

دكتورة

دور التقنيات الحديثة في تطوير إنتاج المواد الإعلامية للعلاقات العامة (دراسة وصفية تحليلية)

4/ التخصص:

علوم اتصال علوم حاسوب علوم إدارية

علوم اجتماع أخرى تذكر.....

5/ المستوي الوظيفي:

تقني اتصال محرر مصمم معد برامج

رئيس قسم مصور أخرى تذكر.....

7/ عدد سنوات الخبرة في الوظيفة الحالية:

من سنة إلى 5 سنوات من 6 إلى 10 سنوات

من 11 إلى 15 سنة من 16 سنة فأكثر

ثانياً: البيانات الموضوعية:

المحور الأول: التطبيقات الإلكترونية في إنتاج المواد الإعلامية

الرقم	السؤال	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
1	تعتبر التكنولوجيا العنصر الأساسي لإنتاج المعلومات عبر الإنترنت					
2	تتمثل عملية الإنتاج الإعلامي بتجهيز المعدات والبرمجيات المتعددة والأجهزة الرقمية والطاقم الفني					
3	ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك، تويتر، تلغرام، يوتيوب، تك توك) بصورة أساسية في عملية الإنتاج الإعلامي					
4	تسعى العلاقات العامة في الجامعة بإعداد وإنتاج أشكال وأنواع مختلفة من المواد الإعلامية					
5	دمج العديد من التقنيات والبرامج من مصادر مختلفة يدعم تطوير عملية الإنتاج الإعلامي					
6	تدريب القائم بالاتصال على التقنيات الحديثة يحسن مستوى أدائه					
7	الإمكانات المادية أساسية لتوافر المعدات والأجهزة الإلكترونية التي تدخل في عمليات إنتاج المواد الإعلامية					

المحور الثاني: أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المقروءة

الرقم	السؤال	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا بشدة أوافق
1	تستخدم العلاقات العامة برامج وتصاميم متخصصة تعالج النصوص والصور والرسوم وإمكانية القص واللصق الإلكتروني					
2	يستخدم المصمم غالباً الصور المصغرة على الورق من أجل تنقيحها على الكمبيوتر لتصميم الشعارات واللافتات					
3	تروج العلاقات العامة للجامعة عن طريق الملصقات والمنشورات والكتيبات والإعلانات والدوريات التي تصدرها					
4	يتواصل الصحفيون الرقميون مع المصادر عن طريق الرسائل الإلكترونية وشبكات التواصل الإلكترونية					
5	يتميز الصحفي الإلكتروني بسرعة نقله للأخبار وبنها بمجرد معرفته بها					
6	تمنح التقنية الرقمية الفرصة لتجديد قراءة الخبر كل فترة زمنية وكتابة المزيد من تطورات الأحداث					
7	الصحافة الإلكترونية تعتبر نموذجاً لتطور الصحافة الورقية					
8	تعرض المادة الإعلامية للطلاب من خلال استخدام الشاشات الرقمية بمختلف الأحجام					

المحور الثالث: أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المسموعة

الرقم	السؤال	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا بشدة
1	يتميز البث بتقانة إذاعية رقمية من إنتاج الصوت بجودة عالية					
2	تمثل مكونات عقد المؤتمرات بتجهيز المعدات والأجهزة مع توافر شبكة الإنترنت					
3	تفيد برامج عقد الاجتماعات والمحاضرات الحية (أون لاين) عملية التعليم والتدريب					
4	تعتبر المؤتمرات عن بعد البديل الرقمي للمؤتمرات والاجتماعات العادية وتحقق أكبر إنتاجية وأعلى فائدة					
5	تدخل برامج تعديلات الصوت والتقنيات الحديثة في إنتاج المدونات الصوتية					
6	تسجل الرسائل الصوتية الخاصة بالجامعة وإرسالها عبر تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي					
7	تعمل العلاقات العامة على إقامة وتنظيم المحاضرات والندوات والزيارات في الجامعة					

المحور الرابع: أشكال وطرائق إنتاج المواد الإعلامية المرئية

الرقم	السؤال	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا بشدة أوافق
1	يتم استخدام الحاسوب وتطبيقاته في معالجة الصورة والصوت والرسوم البيانية والفيديو					
2	يعتبر تصميم الجرافيك وسيلة مرئية تربط بين الأشياء ويرتب عناصر المادة المراد عرضها					
3	تمكن المنصة الإلكترونية من الرسم والكتابة على الشاشة ومشاركة الطلاب					
4	يقدم الفيديو التفاعلي معلومات سمعية وبصرية وفقاً لاستجابات الطلاب					
5	تستخدم الوسائط الرقمية والتصميم الجرافيكي في عملية تصميم المعارض					
6	باستمرار إنتاج البرامج التلفازي يحتاج إلى مواكبة التقنية الرقمية					
7	تعالج الأفلام التعليمية الموضوعات بخطوات متسلسلة وتجمع معلومات كثيرة في مساحة صغيرة					
8	يتم استخدام الوسائط الرقمية المتعددة في الإنتاج المسرحي					

المحور الخامس: الأسئلة المفتوحة

1/ برأيك ما المعوقات والتحديات التي تواجه عمليات الإنتاج الإعلامي بالجامعة؟

.....

.....

.....

2/ مقترحاتكم وتوصياتكم لإدارة العلاقات العامة لتطوير إنتاج المواد الإعلامية بالجامعة؟

.....

.....

.....

لكم جزيل الشكر والتقدير لتعاونكم مع الباحث

«اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق»

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات

أ. قشيوش رشيدة

المستخلص:

يتناول هذا المقال دراسة متواضعة حول أهمية اللغة العربية وبداية نشأتها ومدى تطورها، وأيضا مكانتها التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وبهذا فهي لغة متميزة تنفرد بخصائصها التي لا توجد في لغات أخرى، فمن خلال دراستنا لهذا البحث تطرقنا إلى توضيح ماهية اللغة العربية وصلتها بالحضارة والثقافة الإنسانية، فهي الحامل المادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إذ أن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام. والبحث في هذا الموضوع يطرح الإشكالية التالية: ما هو الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية؟ أو بالأحرى هل لها صلة تربطها بحضارة الإنسان وثقافته؟ وبهذا، فمن أبرز الخلاصات التي توصلنا إليها، أن اللغة العربية تعدّ العامل الأول في انتشار الثقافة وتداولها في المجتمعات المتحضرة وأنها من أهمّ مقومات الحضارة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية- الحضارة - الإسلام - لغة الدين- الثقافة الإنسانية.

“The Arabic language and its role in building civilization and human culture, reality and prospects”

Kechiouch Rashida

Abstract :

The Arabic language and its role in building civilization and human culture, reality and prospects” This course deals with the study of modest about the importance of the Arabic language and the beginning of its inception and the extent of its development, and also its position, which became after the advent of Islam, as it became the language of the Quran and the Hadith, but the language of religion in general, and in this they are distinct language to implement properties that don't exist in other languages, it is through our study of this research we touched on explaining what the Arabic language and its link with civilization, culture, humanity, the physical condition of this civilization and an effective means of linking successive generations, as a reason to produce the experiences and achievements of the scientific and cultural in general. Research on this subject raises the following problem: what is civilizational role played by the Arabic language? Or rather, is it related to human civilization and his culture? So, one of the most prominent conclusion we reached is that the Arabic language is the first factor in the spread of culture and its development in civilized societies, which become one of the most important components of human civilization.

Key words: Arabic language- civilization- Islam- language of religion- human culture.

مقدمة:

لقد كانت نشأة اللّغة العربيّة في شبه الجزيرة العربيّة ممّا وقر لها أسباب صيانتها والمحافظة على كيانها لعدّة قرون قبل الإسلام، وفضلا عن ذلك، قد اختارها الله عزّ وجلّ، العربيّة فأُنزل بها القرآن الكريم، وكانت هذه اللّغة الشريفة بما بلغته من اكتمال، وبخصائصها الفريدة المتميّزة مؤهّلة بحق الإعجاز الذي أودعه الله سبحانه وتعالى بتنزيله العزيز: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف، الآية 2). وبالإضافة إلى ذلك، قد غذت العربيّة لغة تحمل رسالة إنسانية مفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى؛ فكان العرب نواتها الأساسيّة، كما اعتبروها جميعا لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة

والمنطق والتصوف والأدب والفن ... ، والإشكال المطروح في هذا المقال هو:

هل اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية؟ فما هي مميزاتها ومجالاتها؟ وكيف كان الارتباط بين لغة العرب وحضارتهم؟ وما هو الدور الذي حققته في الثقافة العربية الإنسانية؟

وانطلاقاً من هذا النوع المتعدد من الإشكالية، فقد اقتضى مَنِيّ البحث أن أقسّمه إلى عدّة محاور أساسية مع إبراز أهدافها، فتحديثاً عن تاريخ اللغة العربية وعن تراثها اللغوي الأصيل، وعلاقتها بالإسلام وارتباطها القويّ بالحضارة والثقافة وما محل ما تقدّم به من سمات، ونزيد أنها لغة الدين والقرآن الكريم ولغة الوطن والعروبة، ففي إحيائها إحياء للدين، وفي إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدّسة وتهاون في شأنها، ولتحقيق أهداف الدّراسة اعتمدت على المنهج التاريخي نوعاً ما، حيث ظهرت فيه ظواهر ومراحل تطوّر اللغة العربية عبر فتراتنا التاريخية واستعنت بالمنهج الوصفي الذي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة أو محاكمة لها.

تمهيد:

اللغة العربية هي اللغة السامية التي حفظت وجودها، وهي لغة عالمية وفي الوقت نفسه، تعتبر لغة مقدّسة على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم، حيث لا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الدين الإسلامي إلا بإتقان اللغة العربية، حيث عملت طويلاً على نقل تاريخ وثقافة الحضارات العربية عبر الزمن، وفي هذه السياق، تعتبر من أهم العوامل التي حافظت على توحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ... ويمكننا القول، أمّا تعد من أعز اللغات من حيث المادة اللغوية فهي لغة إنسانية حيث تتميز بنظام صوتي وصرفي ونحوي وتركيب، ولألفاظها مدلولات مختلفة ... وفي ظل هذا الاهتمام، كان لانتشار الدين الإسلامي تأثيراً مباشراً وغير مباشر في رفع شأن ومكانة اللغة العربية، حيث أصبحت لغة العلم، والحضارة والثقافة والآداب السياسية لأزمنة طويلة في الديار التي حكمها المسلمون، فقد تحولت من لغة تختص بقبائل الصحراء إلى أمة إسلامية قادت الحضارة لقرون متتالية.

تاريخ اللغة العربية:

اللغة العربية ذات تاريخ طويل، ترتبط بداياته بتكون العربية في إطار اللغات الأفروآسيوية، ويمضي تاريخها من الجاهلية إلى عصر الحضارة الإسلامية لتصبح أهم لغات الحضارة على مدى عدة قرون، ثم كان على العربية بعد مرحلة من الانحسار أن تعبر عن قضايا الحضارة الحديثة إلى أن أصبحت من أهم اللغات في العالم المعاصر⁰.

انحدارها من الساميات:

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، واللغات السامية فرع من أسرة لغوية كبيرة، هي الأسرة الأفروآسيوية، إن اللغويين المحدثين يقسمون اللغات المختلفة إلى أسر، فأسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم عدداً كبيراً من اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية، أما الأسرة التي تنتمي إليها العربية فهي الأسرة الأفروآسيوية، وتضم عدة أفرع بكل منها مجموعة لغات⁽¹⁾.

وبناء على ما تقدم، فاللغات السامية هي فرع كذلك من الأسرة الأفروآسيوية، ويضم هذا الفرع إلى جانب العربية عدد من اللغات التي كان لها شأن في التاريخ الحضاري للشرق القديم والوسط.

وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والآشوريون في العراق والسريانيون والفيثيون في الشام والحبشة فيما وراء الساحل الغربي من البحر الأحمر - بحر القلزم، ولها صلة عظيمة جدا بلغة قدماء المصريين. وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة: «هي اللّغة الأولى القديمة التي انصهرت في هذه اللغات من بعد»⁰.

«ومن هنا استطاع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن يومئذ يبين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد».

اللغة العربية قبل الإسلام :

كانت العربية قبل الإسلام لغة محلية، يقتصر انتشارها على النصف الشمالي من الجزيرة العربية، ولذلك تسمى باسم اللّغة العربية الشمالية، وقد وصلت إلينا العربية الشمالية في نقوش قديمة، وعرفناها أيضا في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن الكريم وحفظت لنا كتب اللّغة ملامح من لهجاتها القديمة⁰.

يبين لنا د. عبد الغفار حامد هلال في كتابه أصل العرب ولغتهم بين الحقائق الأباطيل، حيث استنتج في بحثه الطويل في فقه اللّغة العربية إلى أن اللّغة العربية هي إحدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية - فالعرب موجة متأخرة جدا من الموجات التي نزلت شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية، ويرى أن ينسحب هذا الحكم على بقية اللغات السامية أخوات العربية⁰، فيقول:

«وإذا اعتبرنا اللّغة العربية نموذجاً لبقية اللغات السامية خرجنا بأن ما يسمونه مجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التي خرجت من هذه الشجرة، ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها⁰». ويرجع ذلك الاهتمام البالغ باللّغة العربية - في حقيقة الأمر - إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللّغة التي نزل بها القرآن، فسعوا إلى حفظ تراثها اللغوي والدفاع عنه، وكان الناس على عهد الرسول يسألون فيما صعب عليهم فهمه من ألفاظ القرآن، ولعد وفاته كانوا يرجعون إلى أهل العلم بحثا عن تفسير كلمة أو فهم معنى مستغلق، وكانوا لا يتخرجون من التنقيب في الشعر حتى يعبروا على صالتهم ويصلوا إلى هدفهم، وتنقل المصادر عن ابن عباس، ترجمان القرآن، عبارات تؤكد هذا النهج، إذ ورد فيها قوله: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا إلى ذلك فيه. وانطلاقا من هذا، فالعربية ليست كما يدعي بعض اللغويين العرب، لغة متميزة تنفرد بخصائصها لا توجد في لغات أخرى، ومن جهة أخرى ومن جهة أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات «الغربية» التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية⁰. وضمن هذا الاهتمام، فاللّغة العربية بصفتها «لغة» تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية)، ومن البديهي تضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات. ونذكر هاهنا أيضا أنها بصفتها «عربية» تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وإما توجد في بعض اللغات. والأمر المؤكد هو كونها «عربية» لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد

في أية لغة من اللغات، ومما لا شك فيه هو لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلا في لغة أو لغات أخرى، هند أوربية كانت أو غير هند أوربية⁰.

فالإسلام هو شرعة هذه الأمة ومنهاجها كما أوحاه الله إلى رسول المبعوث إليهم رحمة منه وفضلا، يأخذون ما آتاهم، وينتهون عما نهاهم، يتخذون وحيه المجموع في كتابهم إماما، عرفوا وجه الحكمة فيما يأخذون وما يدعون أو لم يعرفوه، إيمانا وتسليما «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»⁰.

تعريف الحضارة لغة واصطلاحا :

أما الحضارة (بفتح الحاء وكسرهما) فهي: -لغة- الإقامة في الحضر، والحضر خلاف البدو، وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله، مفتخرا بداوة قومه، مستخفا بساكني القرى والمدن⁰:
فمن تكن الحضارة أعجبتة
فأبي رجال بادية ترانا ! ؟
والمعنى الاصطلاحي للحضارة، هي على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلا فخلقا، مادة وروحا، دنيا ودينا.

فهي -إذا في إطلاقها وعمومها- قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علاقته بالكون وما وراءه، وهي في تخصيصها بجامعة من الناس أو أمة من الأمم -فهي تعد تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها من غيرها من الجماعات والأمم⁰. وفي ظل هذا الاهتمام هي نظير المدينة، التي هي في أصل الاستعمال ساكني المدن، والتي تقابل الكلمة الأوربية (Civilisation).

وبناء على ما تقدم، فالحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم، في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، ويقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الضائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه، والممرة فيه⁰، وبقدر ما تزيد من أصنافها تزيد أهل صناعتها، ويتلون ذلك الجيل بها، ومتى اتصلت الأيام وتعاقت تلك الصناعات، حذق أولئك الصناع في صناعتهم، ومهروا في معرفتها. وبناء على ذلك، فالأعصار بطولها وانفاسخ أمدها وتكرر أمثالها تزيد استحكاما ورسوخا ... وهذه هي الحضارة⁰. ويمكن القول، حينئذ أن الحضارة هي تفنن في الترف وإحكام الصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله⁰.

مفهوم الحضارة في الإسلام :

ولقد عمد الإسلام إلى إقامة مفهوم كامل للحضارة: قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس الوقت وحيطة التقدم المادي بالأخلاق والتقوى وتوجهه إلى صالح الإنسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف.

فالحضارة التي أنشأها الإسلام جمع الروحية والمادية، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، وقد رسمت حضارة الإسلام منهجا ثابتا قوامه النظرة الإنسانية وطابع التوحيد والعدل والإخاء واستصفت كل ما كان في تراث الأمم والحضارات القديمة فصهرت الجوانب الصالحة منه في بوتقتها، وطلت تقود العالم كله بسلاح

الخلق والتقوى والرحمة والإخاء، ولم تستطيع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الإسلام وقيمه الإسلامية، وهذا الترابط بين التقدم وبين المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحديد والأخلاق والضوابط دون أن يفقد التقدم أخلاقيته أو تقواه، هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب، وهذه هي نقطة الاختلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب^٥. ويمكن القول حينئذ، أن الحضارة الغربية وريثة الأصول الإسلامية لم تلبث أن ارتدت إلى أصولها اليونانية الوثنية والرومانية العبودية، ووصلت بين الروح والمادة، والعقل والقلب والدنيا والآخرة وأعلت الجانب المادي وحده أعلاء الحاملا واعتبره الأساس الوحيد لبناء الفكر والمجتمع، وانتقصت كل ما يتصل بالدين والأخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الأصيل الذي يرمي إلى إسعاد البشرية عامة وليس إسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص^٥. وبناء على ما أومأنا إليه أنفا، فقد تتمثل مقومات الحضارة الإسلامية في عناصر أساسية أهمها:

قامت الحضارة الإسلامية على أساس مفهوم الإسلام، وقد أمدتها القرآن بالروح والهدف ومؤشرات الحركة وضوابط العمل وأعطائها القوة والتماسك، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والتزلف معا والتحرر من الجمود والتحلل معا، والجدير بالملاحظة فقد اتسمت الحضارة الإسلامية بالسماحة والإنسانية والعالمية فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائرهم وفتحت أمامهم أبواب العمل، وقد تمثلت مفهوما أساسيا هو طابعها الأصيل: هو الجمع بين الدنيا والآخرة وبناء الحياة والعمل فيها على أساس من الأخلاق والتقوى والإخاء الإنساني والرحمة^٥، ولقد ربطت العالم بالدين والسياسة بالأخلاق. كما اتسمت بالبساطة والبعد عم التعقيد والصراع.

فالإسلام عبادة ومعاملة، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة، فيه رحابة التقبل لكل جديد متى كان صالحا، والتفتيح على آفاق الأمم والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضا^٥. ومن هنا نستنتج أن حضارة الإسلام كانت حضارة جامعة وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات، فلقد كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب والعقل، واتسمت بطابعها المميز الذي لا ينصهر في الحضارات أو العقائد، وكذلك حافظت على مقوماتها الأصلية.

اللّغة العربية والحضارة :

إن الدور الحضاري الذي قامت به اللّغة العربية، كما أن هناك كتبا تناولت هذا الموضوع بشيء من الدقة والأصالة، والشرح وبالحجة اليقين ... إنما الذي يجب أن يذكر هو دور اللّغة العربية التاريخي الذي قامت به في إفريقيا وخارج الحدود العربية وغير إفريقيا باعتبارها لغة الدين الذي دانت به تلك الحكومات والممالك التي قامت في كثير من البلدان ولاسيما في إفريقيا والإمبراطوريات كإمبراطورية مالي وغانا، ومملكة سانغاي، وقد كانت اللّغة العربية هي لغة الإدارة والتعليم فيها^٥، ومنذ ذلك الوقت وبدخول الإسلام إلى هذه الأماكن أصبحت تدرس في معظم أنحاء إفريقيا والعالم الإسلامي حيث يعيش أقوام غيرنا ناطقين بها ولكنهم أقبلوا على تعلمها نظرا لدورها الحضاري والديني ...^٥، ومع هذا فقد أدركت إفريقيا أهمية اللّغة العربية كأداة اتصال بينها وبين العالم كله ما دامت قد أصبحت لغة رسمية غي هيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات دولية أخرى.

والجدير بالذكر، أن اللغة العربية تمتاز بتراثها الحضاري وبكتابتها التي تزخر بآلاف المخطوطات والكتب قديما وحديثا، كما أنها سجل لأرقى الحضارات التي عرفتها البشرية في السابق، وكما هو معلوم وشائع أصبحت اليوم لغة الدراسة والتعليم في الجامعات والكليات في أكثر فروع المعرفة، في حين أننا لا نجد لغة واحدة إفريقية يدرس بها في جامعاتها ما عدا اللغة العربية التي أصبحت لغة الدراسة في الجامعات العربية⁰.

اللغة العربية وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية:

إذا كانت اللغة وسيلتنا لإدراك العالم، فإن المعادلة تنقلب هنا ليصبح إدراكنا للعالم هو ما يتحكم بشكل أو بآخر في قضايا لغتنا، ونظرتنا إليها، ويحدد أفق انتظارنا، فاللغة العربية ترتبط بكيان المتلقي العربي ارتباطا لا يضاها، لأنه نابع من اعتبارات دينية، وحضارية، ونفسية ... لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة التي شرف الله بها أمة العرب، وكرمها لما أنزل آخر كتاب سماوي وهو كتاب ناسخ للكتب السماوية السابقة بلسانها. إن التشريف الذي حظيت به اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، جعل قديستها من قدسية القرآن ومكانتها من مكانته، فربط العرب بين اللسان العربي والأعمال الإيمانية⁰، حيث يقول الإمام الشافعي في هذا الشأن: «على كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيها افتراض عليه من التكبير، وأمم به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»، وهذا الفرض بالضرورة الحفاظ على هذه اللغة، والاعتناء بها لأن حب العربية من حب القرآن وحبهما من حب الله⁰ (حيث يقول في هذا الشأن: «إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف عليها همته»:

لغة القرآن الكريم:

تكفل الله سبحانه باللغة العربية وبرعايتها وحفظها، فكان في حفظ القرآن حفظ للغة العربية، وكل من «يؤمن بأن القرآن حقيقة خالدة مجبر على أن يؤمن بأن لغة القرآن -وهي العربية الفصحى- هي أيضا حقيقة خالدة، لأن خلودها مرتبط بخلوده وبقائها ببقائه»⁰، ويشهد على ذلك كون العربية هي اللغة «الوحيدة بين المجموعة السامية التي تثبت على مر العصور في حين لم تثبت تلك اللغات»⁰ التي عاصرتها أو تكونت بعدها.

رمز العروبة والإسلام:

فتعلم اللغة العربية أمر واجب على كل مسلم إذ «لا عروبة ولا إسلام لمن لا يحسن اللغة العربية يوقرها من أبناء العرب، وإذا حيت اللغة العربية حيي معها الاعتزاز بالشخصية العربية، والتعلق بكتب التراث، وعلى رأسها القرآن والحديث وسير الأبطال والصالحين»⁰، ويدل هذا الارتباط بين العروبة والإسلام من أروع ما تفتقت عنه عبقرية الإسلام وهو وجه من وجوه إعجازه.

إن هذا الارتباط مكين بين لغة العرب وحضارتهم، وكل منهما مبني على الآخر، وبناءا عليه فإن «الحضارة لا تتأق لأحد إلا عن طريق اللغة ... الحضارة في نوع من التعريف الموجز، هي لغة وعن طريق اللغة يكون التفكير كله، ويكون التفاهم كله، ويكون التواصل كله، ويكون التفاعل بين العقول والأفكار،

اللّغة هي أضخم عملية حضارية، تنشئ الحضارة وتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل»⁰.

فحضارة العرب في كليتها مبنية على الكلمة وسحرها وبيانها، أو لنقل بالكلمة الواحدة إنها حضارة لغو، لغو لا قدح فيه، فلما كانت العربية شاملة لكل ميادين الحياة أخذت اللّغة أيضا هذا الطابع الشمولي وهي ميزة أخرى لا تعدلها فيها لغات أخرى وإلى هذا يذهب صاحب كتاب دفاعا عن العربية، حيث يقول : «أما الحضارة العربية - الإسلامية التي تحملها وتحويها اللّغة العربية فأنها عنيت بنواحي الحياة كلها بأسس معاني الإنسانية، فهي أولا حضارية روحية وأخلاقية. ثم إنها حضارة تشريع، ثم إنها حضارة فلسفة وفكر متفتح، ثم إنها حضارة علمية درست الطبيعة والإنسان دراسة تجريبية، ثم إنها حضارة آداب وفنون جميلة، ثم إنها حضارة صناعة وتجارة. فاللّغة العربية تحمل ثروة من الثقافة الإنسانية لا تنضب»⁰.

وبناء على ما أومأنا إليه يمكن القول: إن اللّغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية، فهي الحامل للمادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام، فهي من ثمة الوسيلة التي تجعل الإنسان لا ينقطع عن الحياة بانتهاه أجله، وذلك لأن اللّغة تعينه على الامتداد تاريخيا ليسهم في تعميق فكر الأجيال اللاحقة، وتشكيل وعيها الثقافي⁰.

وحدة اللّغة والثقافة :

والثقافة كما مر معناها مرارا هي مجموعة المعارف العقلية والشرعية واللغوية، هذه هي الثقافة الإسلامية التي تمثل مجموعة المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها، ولم تكن هذه الثقافة إلا ثقافة شفوية آنذاك، والمهم هنا أمران: أحدهما أن الجانب المتعلق بالاعتقاد وفهمه كان جانبا واضحا وعلى عمقه بسيطا يفهمه القاضي والداني، فلم يكن المسلمون قد خاضوا في علم الكلام آنذاك ولا علم المنطق، ولم تكن الفلسفة وأفكارها قد طغت، بل كان جو علم النبي صلى الله عليه وسلم الذي حملته الصحابة هو الطاعني والسائد آنذاك، فضلا عن أن الجماهير الواسعة من الناس كانوا هم أهل اللّغة ويفهمونها حق فهمها بالعمق والوضوح، فلم تنشأ فكرة التأويل بالنحو الذي أتى به أهل اللّغة مع زيادات شرح بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الألفاظ المتسع في مدلولها مثل «الصرعة» و«الرقوب» و«المفلس» وغير ذلك⁰. والثقافة العربية الإسلامية عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي شأن كل ثقافة تتكون من مقومات أساس فكرية وروحية أهمها العقيدة وهي الإسلام، واللّغة العربية وآدابها والتاريخ والتراث ووحدة العقلية والمزاج النفسي، وقد تأكد أنه لا يمكن لأية ثقافة من الثقافات أن تنمو إلا إذا كانت ذات صلة بدين من الأديان، فالدين هو الذي يكسب الحياة الاجتماعية معناها، ويمدها بالإطار الذي تصوغ فيه اتجاهاتها وأمالها⁰. ومع ذلك فإن اللّغة لا يمكن أن تعتمد كليا على الجينات لأنها تتأثر تأثرا قويا بالثقافة، وفي الحقيقة فنحن نصح عاجزين فعليا في ثقافة لتكلم لغة مختلفة ما لم نلجأ إلى الإشارة، وهناك ما قد يغري المرء بأن يعتقد أن اللّغة هي آلية للحفاظ على سلامة الثقافة وإبقاء الأجانب خارجها، وفي هذا الصدد كثير من الخصائص الإنسانية تعتمد بوضوح لا على الشفرة الجينية بل على الثقافة التي

يتصادف أن نكون جزءا منها⁰.

وضمن التوجه نفسه يطلق «ريتشارد دوكنز» على هذه الخصائص المحددة ثقافيا اسم «المذكرات» وهي تضم القصص والأغاني والمعتقدات والمخترعات والنظم السياسية والمطبخ وفي الحقيقة كل ما نعدّه فعلا جزءا من الثقافة⁰. ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب، أن في ازدهار اللّغة ازدهار للحياة العقلية، وتقدما في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأن في قوة اللّغة قوة للأمية الناطقة بها، وأن اللّغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة⁰، وبعكس ذلك يكون في ضعف اللّغة ضعف للأمة الناطقة بها، ويمكننا القول حينئذ أن هذا الضعف يسري إلى مفاصل المجتمع وإلى مرافق الحياة جميعا وفي هذا السبيل يكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة⁰.

إن رصد ملامح الثقافة العربية من خلال المسألة اللغوية في الفكر العربي المعاصر يحملنا على استكشاف ثلاث أزمنة كبرى اختزنت سلطة اللّغة العربية خلال تلك الحقبة، اثنان منها انتهتا إلى توازن نسبي والثالثة استعصت وما ننفك تلقي بتحديات القاهرة، وثلاثتها هي أزمة اللّغة العربية مع اللغات الأخرى، وأزمتها مع العلم اللغوي وأزمتها مع نفسها⁰.

كان رواد الفكر العربي المعاصر على وعي بأن اللّغة العربي تحمل معها مجدا تاريخيا جليلا لأنها كانت في معظم القرون لغة الغالب وبفضل ذلك تعامل أهلها مع اللغات الإنسانية تعاملًا نبيلًا خلا من كل العقد الثقافية والمربكات النفسية، ولكن حركة الاستعمار بعد أن يتسنى من خلخلة الصلة بين الهوية الدينية والهوية اللغوية تفرغت بالكلية إلى ربط المعرفة العلمية باللّغة الأجنبية: الانجليزية والفرنسية تخصيصًا وظلت العربية تقاوم داخل قلاع غدت كالرموز في تجسيد العلاقة المكيّنة بين الثقافة واللّغة: جامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين⁽³⁵⁾. وإذا نظر المرء خارج أوروبا، إلى الثقافة اللغوية التي اعتمد عليها الأوروبيون بشكل كبير ومفيد جدا فإن الحاجة لم تزل ماسة إلى كتابات وتفسيرات جديدة، فقد تمت في الواقع دراسة كثير من المؤلفات اللغوية الصينية والعربية والهندية بشكل واسع النطاق، ولكن هذه الدراسة كانت إلى حد كبير من زاوية مكانة هذه المؤلفات في التاريخ الثقافي والأدبي لهذه الشعوب نفسها، ولكن المعالجة العلمية التي تربط الكتابات المتفردة في هذا الميدان بالنظرية اللغوية الحالية وتطبيقاتها، وسوف تسد ثغرة واسعة في فهمنا لتاريخ العالم الثقافي. وبناء على ما تقدم، فاللّغة العربية مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة وأداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساسا، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغاتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللّغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها فصارت تكتب بها. والثقافة العربية الإسلامية ليست مجردة، فنحن لا نكتفي فيها بالبحث عن أصول الأشياء ولا عن حقائقها وحدها، ولا نبحت فيها بحثا مجردا، لأن الثقافة جزء من الإنسان، فإذا كان العقل يغذيها، فأنها لا تنبع من العقل وحده، وإنما تنبع في النفس البشرية، وتنبع في الأحاسيس وتنبع في الذوق، وتنبع أكثر من ذلك في الوجدان، بل هي أيضا تتصل بالجانب الأساس الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان، ألا وهو الضمير إن الثقافة تتصل بالضمير والضمير أعمق وأروع من العقل. ومن هنا نستنتج أن الضمير الإسلامي هو منبع الثقافة العربية الإسلامية،

ولذلك فهي ثقافة الوجدان الإنساني. وانطلاقاً من هذا التوجه، فيمكن القول على أن الثقافة العربية، هي ثقافة الأمة العربي التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة، ولا يوحدتها إيمان برسالة سماوية حتى إذا بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم بالإسلام، كان هو الدين هو الرسالة الخالدة للعرب.

العربية ومؤامرة التّغريب:

مضت العربية حقبا طويلة تخدم التواصل والفكر والعلم والدين، إلى أن اصطدمت بحملات المؤامرة. والمؤامرة على العربية قديمة قدم المؤامرة على الدين، وقد لبست في بعض حلقاتها ثوب البحث العلمي، وهي صورة خادعة تجد لها ممن يلم بخيوط المؤامرة استجابة ساذجة. ومن المعروف أن العربية كانت منحصرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ثم بدأت تنتشر معه في كل اتجاه، اصطدمت مع لغات كثيرة أثرت فيها وتأثرت بها بعض التأثير، ولكنها سادت وعمت، وهي الآن تواجه صراعا شديدا بسبب ظهور جديد للحضارة والعلم الذي يفرض على العربية أن تستوعبه، وبسبب وجود لغات تنازعها البقاء، بعضها محلي وبعضها أجنبي، ولا بد أن تقاومها وتظهر عليها، وهي مطالبة بأن تتفوق على اللغات واللهجات، وتعبّر عن الحضارة والعلم، وأن تستعيد دورها في إطار الجامعة الإسلامية بعد أن سلبتها إياه الجامعة اللاتينية، وذلك بأن تستعيد مكانتها على السنة المسلمين ومطّ تفكيرهم.

تقول الأستاذة عائشة عبد الرحمن:

«ليست عقدة الأزمة في اللّغة ذاتها، العقدة - فيما أتصور - هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها معزل عن سليقتهم اللغوية: قواعد صنعة وقوالب صماء، تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها».

إن وجود لغة عليا للفكر والأدب والعلم، مع لهجات محلية للتعامل، ظاهرة طبيعية عرفتها العربية منذ قديمها الجاهلي، وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحية.

فظلت اللّغة العربية لغة الدين والدولة والعلم والتعليم إلى يومنا هذا.

الاستعمار الغربي والنهضة اللغوية الأولى :

تشكل عصور النهضة تغيرا، كان له كبير الأثر في إنهاء العقول من غفلتها، وفي إخراجها من ديار العصور السابقة التي عم فيها الجهل، وسيطرت العجمية وتفشت الأمية، في دار الإسلام والعرب من أذناها حتى أقصاها. وظهر قبس النهضة الأولى، منذ مطلع القرن التاسع عشر، وحدثت فيه تغيرات كثيرة سياسية واجتماعية وعقلية وفكرية وأدبية وعلمية.

كانت اللّغة العربية سلاح تلك الشعوب الذي جابهت به السيطرة الأوروبية التي عملت على عرقلة انتشار اللّغة وهو الفكر والثقافة الإسلامية. وكان للطباعة والصحافة والمدارس والمكاتب والجمعيات والمجامع دور في تحرير الشعوب الإسلامية والعربية من الخمول والجمود الذين شلّ مظاهر الحياة. وحاولت طائفة من العلماء فرض اللّغة العربية كأداة للتعبير في السياسة والقضاء والعلم والأدب، وأوصت بتقديم المعنى على اللفظ، فكان هذا الطور الأول لمحاولات انطلاق «النهضة اللغوية الأولى».

وهكذا حاول الاستعمار محاربة العربية، بلهجاتها الشعبية للوصول إلى تمزيق نسيج الأمة، وفك وحدة اللّغة والمزاج والفكر والفعل، وليجعل من الأمة الإسلامية عقليات متضاربة بدلا من عقلية واحدة. فكان هذا الاتجاه الاستعماري يحاول إحلال لغته محل العربية. وقد كانت «الجزائر» بحكم سبق الاستعمار إليها، حقل التجربة في غزو الاستعمار لغرب العالم الإسلامي، ومصر في قلب المشرق، حيث كانت ميدانا لتجربة تمزيق الوحدة اللغوية.

نموذج من أبطال الجزائر: «الشيخ عبد الحميد ابن باديس»:

لقد اجتاز هذا الزعيم الروحي، بمواطنيه، بحر اليأس، ونقلهم إلى الشاطئ الآخر ... فرسم بذلك منعطفًا حادا في تاريخ المجتمع الجزائري، في ظل ذلك الاستعمار الرهيب. يقول المفكر الإسلامي الجزائري الكبير «مالك بن نبي»: إن الجزائر ما قبل ابن باديس، كانت البطولات فيها تتمثل في «جرأة الفرد» في «قوة رجل»، فلم تكن حوادثها تاريخا بل قصصا ممتعة، «ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مأساة ضمير لصاحبه، لا يصل صدها إلى الضمائر الأخرى فيوقفها من نومها العميق». ويعتبر أن معجزة الحياة في الجزائر قد بدأت بصوت «عبد الحميد ابن باديس»، الذي يقيظ «المعنى الجماعي»، وحوّل مناجاة الفرد إلى حديث الشعب.

أحيا «ابن باديس» روح القرآن في قلوب المسلمين، في الوقت الذي كان الاستعمار قد أجهز على هذه القلوب طامحا إلى فرنستها. وكان المبشرون يلقنون المسلمين أنهم أوروبيون مسيحيون في أصولهم، وأن العروبة والإسلام أجنبيان عنهم!!! ولكن ما لاحظه المستشرق الفرنسي «ماسينيون» الضالع مع الاستعمار، أنه كانت -رغم هذا كله- تسود الجزائر عاطفة بدت له غريبة جدا، تلك هي طموح المسلمين إلى أن ينفذوا بدينهم إلى عقول الفرنسيين وأرواحهم. وقد لاحظ أن كتابا من الجزائريين -كانوا يجيدون اللّغة الفرنسية إجادة تامة- راحوا يستخدمونها في بث الدعاية في فرنسا، المعرضين بحكم ظروفهم لخطر الخروج عن أصول الدين، بل لكي يُدخلوا إلى الدين الإسلامي من يستطيعون من الفرنسيين، وقد وفقوا فعلا إلى غرضهم، حيث دخل في الإسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء.

لقد ناضل الشعب الجزائري طويلا، وتحمل من أفانين التعذيب والفتك والتدمير ما جعله من أعظم شعوب العالم صبورا على المكاره وشجاعة وثباتا وتفانيا ... ذلك أن قيم العروبة والإسلام، والمبادئ العالية التي كان قد أوجها في الصدور، الإمام عبد الحميد ابن باديس وصحب الميامين، قد أثمرت الآن ... فكان الثوار - قادة وجنودا - هم أولئك الذين تشرّبوا مبادئه فأشربت نفوسهم صلابة وعزما ومضاء.

وحقيقة «عبد الحميد ابن باديس» أن يوصف، بصنيعه الهادئ المستمر على ممر السنين إذ كان الشعور وشحن الهمم، بأنه - كما عبر الدكتور محمود قاسم* - هو «الرجل السهل الممتنع الذي بدأ ينحت في الصخر نحت خرير الماء الهادئ، حتى أتى على الصخر وأزاله من طريق هذه الأمة». وفي مجال اللّغة العربية، جاهد الإمام عبد الحميد ابن باديس في سبيل أن تكون العربية في مكانها الشرعي في الجزائر، إذ هي لسان دينها ووعاء قرآنها وكان يرى أن اللّغة أقوى في توحيد الأمة من العرق والدم، وفي هذا المجال يقول: «... تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزائها ويوحد شعروها، ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل

ذلك هو تكلمها بلسان واحد. ويطيب لنا أن نقول بأن الأمة العربية قد أنجبت على ترابها أبطالاً ونوابغ لعبوا دوراً رائعاً في الجهاد المسلح وفي الصراع الحضاري، وكانت مسيرتهم وما تزال ضوءاً يكشف للأجيال عظمة هذه الأمة العربية التي أنجبتهم.

لطالما تميّزت الأمم والحضارات على مرّ الأزمان والعصور بلغاتها الخاصّة بها، والتي اعتبرت ركناً أساسياً من الأركان التي تقوم عليها أي ثقافة، وبالتالي هي مظهر مهم من مظاهر الاختلاف بين الأمم تتباهى وتفخر بمزايا لغتها، وتحرص دوماً على تعليمها للأجيال الصاعدة، فضلاً عن نشرها بين الأجانب ممن لا يتقنونها، فهي بوابة التعرف على الحضارات، والتمازج بين الأمم والشعوب في شتى أصقاع الأرض.

مميزات اللغة العربية ومكانتها :

لكل أمة ثقافة تخصها، وتتصل بغيرها من الثقافات وتتفاعل معها وتزداد بهذا التفاعل ثراءً وعمقاً وحيوية وثقافة الأمة هي هويتها التي تميزها بما تنتظمه من العقيدة والأعراف والأدب والعلم والعلاقات الإنسانية الداخلية والخارجية.

يقول الدكتور مازن المبارك في كتابه النفيس (اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي): «إن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وإن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح للعلم والبحث العلمي، وسيؤدي ذلك إلى وجود حجاب بينهم وبين لغة و ثقافة وتراث أمتهم».

إن الثقافة الإسلامية ليس غايتها تهذيب الفرد أو الجماعة في بيئة معينة وإنما ترمي إلى تثقيف الجنس البشري بأكمله، والدين الإسلامي غايته الإنسان في كل مكان يشجعه لتحسين ذاته، وترقية أحواله وإعلاء شأنه في جميع مجالات الحياة الحرة الكريمة هذه هي روح العقيدة الإسلامية التي أرادها الله عز وجل لعباده الصالحين والتي جاءت رحمة للعالمين في مختلف مجالات السلوك والعلم. زيادة على ما تتسم به اللغات بشكل عام فإن للغة العربية من الميزات ما يؤكد رجحانها على سواها.

أما ميزات فتكمن في كونها لغة التنزيل إذ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾.

وما اختيارها من الله عز وجل لتكون لغة آخر رسالة سماوية لبني البشر إلا دليل على رجحانها، وقدرتها على حمل المعاني الإلهية، توصيلها إلى بني آدم بلسان عربي وصفه الله تعالى بالإنباء، إذ قال تعالى في سورة أخرى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، وفي هذه الآية تشديد على إنابة العربية. وفي فضل العربية قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بالعربية فإنها تثبت العقل، وتزيد المروءة». وفي رجحان العربية على سواها من لغات العالم قال الفراء: «لقد وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى، وكرامة أكرمهم بها». وفي منزلتها عند الله وجوب المتابعة عليها قال الثعالبي: «إن من أحد الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحل النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي لها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته عليها» ومضى قائلاً «ومن هداه الله إلى الإسلام، وشرح صدره للإيمان اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات». وفي أصلها ورقيا على

غيرها وخصائصها قال جرجي زيدان : «إنها إحدى اللغات السامية، وأرقاها مبنى واشتقاقا وتركيبا، وهي أرقى لغات العام».

قال البيروني عن اللغة العربية المقدسة : «والهجو بالعربية خير إليّ من المدح بالفارسية» وكما يقول غيره : «لئن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها». زد على ما تقدم فإن اللغة العربية تتسم بالسعة إذ يقول فيها أحد العلماء : «إن لسان العرب أوسع الألسنة، وأكثرها ألفاظا ولا يستطيع الإحاطة بها غير نبي».

يقول «الطاهر بن عاشور» : «ومزية القراءات من هذه الجهة عائد إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، بتلقي ذلك عن قراءة القرآن الكريم من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وإذا كان من أهم وظائف اللغة العربية التعبير عن العالم الإنساني فردا ومجتمعاً، باطنا وظاهرا فإنه تبعاً لذلك - يقترن تمام اللغة بتمام الأصوات الإنسانية الممكنة، وتمام المخارج الصوتية، ويتحدث الأستاذ «الدكتور عثمان أمين» عن «مزايا اللغة العربية» ويقدم شهادتين من مستشرقين عن تلك «المزايا» فيقول : « من الإنصاف أن نبادر فنقر بأن العلماء الفرنسيين ليسوا كلهم من علماء الاستعمار، وليسوا كلهم من المتعصبين على الإسلام، بل إن منهم منصفين ذوي نزاهة، أشادوا بالعربية أيما إشادة، ويكفي هنا أن نذكر اثنين من نبهاتهم المعاصرين، ممن بذلوا في تنوير مواطنهم جهود مشكورة هما: «لوي ماسينيون»، و«هنري لوسل».

فقد أظهرتنا بحوث الأستاذ لوي ماسينيون: على أن اللغة العربية قد امتازت بخصائص قلّ أن نجد لها مثيلا في اللغات الأخرى، وأبرز ماسينيون في بحوثه ومحاضراته فكرة تبدو جديدة بالقياس إلى آراء المستشرقين السابقين، وهي أنه - في حين أن اللغات الهندو-أوروبية إنما جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي، نجد اللغة العربية وكأنها هي لغة التأمل الداخلي، تأمل الفكر والروح، وكأنها هي مجعولة لكي يتذوق أصحابها مقصدا من المقاصد الإلهية. ولما كانت العربية هي المصدر الوحيد لدى العرب للوصول إلى الفعل الإلهي، فقد أحبها أهلها حبا راسخا عميقا، ومن هناك كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيحاء، تعبر بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضفاضة، «اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة و ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية».

ويسرنا أن ننوه هنا بمقال الأستاذ الفرنسي المستشرق «هنري لوسل»، نشره في جريدة «لوموند Le Monde» بعنوان: «اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس بنظرة جديدة إلى العالم» فكتب لوسل داعيا إلى تعليم اللغة العربية في المدارس الفرنسية، مبينا أن هذه اللغة تيسر الملائمة السمعية مع اللغات الأخرى، فقال: «إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معاني الفرنسية أو اللاتينية، أو أي لغة أوروبية، وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب حيث يجد نفسه أولا أمام الأبجدية العربية، وربما كان فيها في بادئ الأمر موضع للنقد، وسرعان ما يجد لها جاذبية خاصة. وخلاصة القول، وجدت الدراسة أنّ اللغة العربية مقوم أساسي من مقومات الثقافة العربية الإسلامية وبالتالي فهي منبع الحضارة الإنسانية، وهي لغة

• اللّغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وأفاق

الإسلام، والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ممّا ساهم ذلك في تعزيز قيمتها ومكانتها عند العرب والمسلمين، وبالتالي فهي ثابتة في أصولها وجذورها، متجدّدة بفضل ميزات وخصائصها. أود في الختام أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجاتي لهذا البحث، وقد حصرتها في النقاط الآتية:

1. لقد امتازت اللّغة العربية أنها لغة الوحي والقرآن والوعاء والقالب الذي يحفظ ثقافة العرب وإبداعهم.
2. يعد نزول القرآن معجزة السماء والرسالة العالمية من الله للبشر بهذه اللّغة الشيء الأهم الذي أبرز مكانتها حيث حملت اللّغة العربية أفضل وسيلة لنقل أسمى المعاني في هذا الكتاب العظيم، كما أنها حفظت بحفظه عبر الأزمان.
3. كون اللّغة العربية اللّغة الحضارية الأولى في العالم لوقت طويل.
4. مساعدة اللّغة العربية على استمرار الثقافة العربية بين الفئات المختلفة، والمحافظة على الاتصال بين الأجيال.
5. حظيت الحضارة العربية والإسلامية بمكانة مرموقة بين حضارات العالم، بفضل لغتها التي مكنتها من نشر ثمار إبداع العلماء، والفلاسفة، والمفكرين، وغيرهم الكثير، فكانت لغة الضاد هي لغة العلم والمتحدث الرسمي به.
6. إن اللّغة العربية تمتاز بتراتها الحضارية، وهي رمز العروبة والسلام، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو طريق أساسي من طرق بناء المستقبل. وبهذا فهي تحمل في طياتها ثروة من الثقافة الإنسانية.

الهوامش:

القرآن الكريم.

- (1) 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
- (2) ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، المجموعة الأولى.
- (3) أبو منصور الثعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
- (4) أحمد حساني، «دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات»، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2000.
- (5) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، دار الأنصار، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- (6) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن»، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، 1402هـ - 1982م.
- (7) أنور الجندي، اللّغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، مصر.
- (8) حافظ إسماعيل علوي، «اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة»، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009.
- (9) حسني عبد الجليل يوسف، «اللّغة العربية بين الأصالة والمعاصرة»، 2005.
- (10) حسين الحاج حسن، «حضارة العرب في صدر الإسلام» - مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت- ط 2، السنة 1426 هـ - 2006 م.
- (11) روبنز «موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ترجمة د. أحمد عوض.
- (12) ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، «اللّغة العربية وتحديات العصر»، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- (13) شكري فيصل، «قضايا اللّغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع»، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ - 1987.
- (14) الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوابغ العرب، دار العودة - بيروت، السنة 1976.
- (15) الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر، تونس، السنة 1984 م.
- (16) عائشة عبد الرحمن، «لغتنا والحياة»، دار المعارف، مصر، د. ط، السنة 1969.
- (17) عباس محمود العقاد، «اللّغة الشاعرة»، مزايا الفن والتعبير في اللّغة العربية، مكتبة غريب، مصر، دون تاريخ.
- (18) عبد السلام المسدي، «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009.
- (19) عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللّغة العربية» مع الترحمتين الإنجليزية والفرنسية، التصنيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، دون طبعة، 2013.
- (20) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الطبعة 2، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1436هـ - 2015م.
- (21) عبد العلي الودغيري، «اللّغة والدين والهوية»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،

1420هـ - 2000م.

- (22) عبد الغفار حامد هلال، «أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل» دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ - 1997.
- (23) عبد القادر الفاسي الفهري، «اللسانيات واللّغة العربية»، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000.
- (24) عثمان أمين، «فلسفة اللّغة العربية»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1970 م، دون طبعة.
- (25) فاضل الجمالي، «دفاعاً عن العربية» نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996.
- (26) فداء ياسر الجندي، «العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية»، دار الفكر المعاصر، 2003، دمشق، دون طبعة.
- (27) محمد عطية الأيراشي، لغة العرب ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر.
- (28) محمد محمد حسين، «الإسلام والحضارة الغربية»، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت.
- (29) محمد محمد حسين، «مقالات في الآداب واللّغة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- (30) محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامّة وفي تعليم اللّغة العربية للأجانب خاصّة.
- (31) محمود السعران، «علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، بدون طبعة، دون تاريخ.
- (32) محمود فهمي حجازي، ود. النغمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في «العربية نصوص ودراسات» القاهرة، 1979.
- (33) ميخائيل نعيمة، «بين العامية والفصحى» (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين - بيروت، ط 1، مارس 1973.
- (34) هشتم جمعة هلال، علي بن أبي طالب (حياته - عصره - خلافته وأعماله)، الطبعة 1، وهران، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 1436هـ - 2015م.